علم الدلالة
إطار جديد

تأليف
ف . ر . بالمر

ترجمة
دكتور صبري ابراهيم السيد
جامعة عين شمس

١٩٩٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

عِلم الدلالة
إطار جديد

تأليف

ف . ر . بالمر

ترجمة

دكتور صبري ابراهيم السيد

جامعة عين شمس

١٩٩٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

تقديم
بقلم المترجم

جذب علم الدلالة انتباه الدارسين في السنوات الأخيرة أكثر من أي فرع آخر من فروع الدراسة اللغوية . ولم يلتفت إليه اللغويون فقط ، بل التفت إليه علماء النفس ، والفلاسفة ، والمناطقة أيضاً .

والكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة من ثمار الفكر اللغوي في العصر الحديث ، وفيه من الموضوعات الجوهرية الشيء الكثير . إنه يشير على نحو واضح ومحكم إلى ما اهتم به العلماء التقليديون ، ويطلعنا على كثير من التطورات الحديثة في هذا المجال .

وقد نشر الكتاب عام ١٩٧٦ ، في جامعة Cambridge بلندن ، وأعيد طبعه مرتين (عام ١٩٧٧ ، ١٩٧٩) .

وقد كتب اللغوي جون ليونز Lyons تقريظاً للكتاب في الملحق الأدبي لصحيفة التايمز ، جاء فيه : «إنه كتاب كثير الفائدة . . شامل بالقدر الذي نتوقع أن يكون ، وهو بهذا الحجم . ولقد كتب بأسلوب واضح ومقنع ، وتميّز بغزارة الأمثلة التي توضع النقاط النظرية التي يثيرها في غضون أبوابه الثمانية» .

ومؤلف الكتاب أستاذ في علم اللغة بجامعة Reading .

ولقد توزعت موضوعات الكتاب على ثمانية أبواب ، وأربعين فصلاً ،

تناول فيها بالمر موضوع علم الدلالة ؛ حدوده ، وتاريخه ، ومجاله ، واستعرض أنواع المعنى وقضاياه : كالترادف ، والاشتراك اللفظي ، والتنافر ، والاشتمال ، والتضاد ، والتضام ، والتعبيرات ، ثم التفت إلى الفصائل النحوية ذات العلاقة الدلالية ، ففصل الكلام في الجنس والعدد ، والذات والكلمات الأسية ، والتعدي والسببية ، وغير ذلك . وجال بنا المؤلف بين نظريات عدة : كالتسمية ، والتصور ، والإشارة ، والسياق ، والسلوك ، والمكوّنات ، والتحليل ، والتركيب . . إلخ .

أما الإصدارات الحديثة ؛ كعلاقات «الحالة» ، والأدائيات والأحداث الكلامية ، والموضوع والتعبير ، والافتراض الضمني والتوليد ، فقد خصص لها الباب الأخير من الكتاب .

ومن خلال الأمثلة التي استشهد بها بالمر في كتابه ندرك مدى توسع اللغويين وإحاطتهم بالعديد من اللغات واللهجات التي أذكر منها :

لغة في شمالي أمريكا (Algonquian) ، الأنجلوسكسونية (Anglo - saxon) ، العربية (Arabic) ، لغة في الحبشة (Bilin) ، البرازيلية (Brazilian) ، اللهجة الكوكنية (Cockney) ، الكوشية (Cushitic) ، التشيكية (Czeck) ، الإنجليزية (English) ، لغة الإسكيمو (Eskimo) ، لغة بالحبشة (Fijian) ، الفرنسية (French) ، الألمانية (German) ، الجورجية (Georgian) ، الجرمانية (Germanic) ، اليونانية (Greek) ، الحامية (Hamitic) ، لغة بالفلبين (Hanunóo)، (Hopi)، الهندوأوروبية (Indo - European)، الإيطالية (Itzlian)، اليابانية (Japanese)، اللاتينية (Latin) ، المايانية (Mayan) ، المكسيكية (Mexican) ، لغة الباسك (Pasque) ، الرومانسية (Romance) ، السنسكريتية (Sanskrit) ، السامية (Semitic) ، الإسبانية (Spanish) ، السواحيلية (Swahili) ، لغة بالحبشة (Tigre) ، لغة إقليم ويلز بلندن (Welsh) .

أما الأعلام واللغويون الذين ذكرهم ، وناقش أفكارهم ، أو استشهد بأمثلتهم ، فمنهم : أوستن (J. L. Austin) ، بازل (C. E. Bazell) ، بيرويش (M. Bierwich) ، بلومفيلد (L. Bloomfield) ، بريل (M. Bréal) ، كارناب (Rudolph Carnap) ، كارول (LewisCarroll) ، كولي (J. Mc. Cawley) ، تشومسكي (Noam Chomsky) ، كونكلن (H. C. Conklin) ، كراتيلس (Cratylus) ، فيلمور (C. J. Fillmore) ، فيرباس (J. Firbas) ، فيرث (Firth) ، فودور (J. A. Fodor) ، فرايز (C. C Fries) ، جريم (Grimm) ، جلبرت (W. S. Gilbert) ، هاليداي (Halliday) ، هاريس (Zelling Harris) ، هوميروس (Homer) ، جيلمسليف (Hjelmslev) ، انتوش (A. Mc Intosh) ، جوز (M. Joos) ، كاتز (J. J. Katz) ، كينان (E. Keenan) ، لاكوف (G. Lakoff) ، ليونز (J. Lyons) ، مالينوفسكي (B. Malinowski) ، موريس (Charles Morris) ، نيدا (E. A. Nisa) ، أوجدن (C. K. Qgden) ، أوزجود (C. E. Osgood) ، أفلاطون (Plato) ، ريد (A. W. Read) ، ريتشاردز (I. A. Richards) ، راسل (Bertrand Russell) ، سابير (Edward Sapir) ، دي سوسير (Ferdinand de Saussure) ، سكنر (B. F. Skinner) ، ستروسن (Strawson) ، سوسي (G. J. Suci) ، سويت (Henry Sweet) ، تاننبوم (P. H. Tannenbawm) ، ترایر (J. Trier) ، أولمان (Ullmann) ، ويلز (H. G. Wells) ، هورف (B. L. Whorf) ، وتجنستين (L. Wittgenstein) .

وقد خلص بالمر من كتابه إلى أن علم الدلالة هو «مجموعة من الدراسات التي تهدف إلى استخدام اللغة بالنظر إلى وجوه مختلفة وكثيرة من التطبيق ، وإلى السياق اللغوي وغير اللغوي ، وبالنظر إلى المشتركين في المحادثة ، ومعرفتهم وممارستهم للأشياء ، والحالات التي تكون فيها المعلومة المحددة وثيقة الصلة» .

وقد ذيلت ترجمتي للكتاب بمجموعة من المصطلحات الإنجليزية التي وردت داخل نصوصه .

وعلى الله قصد السبيل

المترجم

الباب الأول
تمهيد

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ مصطلحا علم الدلالة والمعنى .
٢ ـ علم الدلالة وعلم اللغة .
٣ ـ اللغة المنطوقة .
٤ ـ علم الدلالة التاريخي .
٥ ـ علم الدلالة في فروع أخرى .

تمهيد

علم الدلالة Semantics مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى meaning ورغم أن المعنى يهيمن على جوانب لغوية عدة ، ليس هناك اتفاق عام على ماهية المعنى ، أو السبيل إلى وصفه . وسوف أحاول هنا أن أعرض بإيجاز للموضوعات التي يشملها علم الدلالة ، وبعض الطرق التي يمكن أن نعالجه بها . غير أنني ـ بسبب طبيعة الموضوع ، وتنوع وجهات النظر فيه ـ لا آمل في مثل هذا الكتاب الصغير في أكثر من تقديم نظرة تمهيدية عامة .

الفصل الأول

مصطلحا علم الدلالة

Semantics

ظهر مصطلح «علم الدلالة» في الإنجليزية حديثاً . (أنظر Read ١٩٤٨ ، تتعرف على تاريخه بالتفصيل) . ورغم أن كلمة Semantick وردت في القرن السابع عشر ، في عبارة : Semantick Philosophy ، وتعني «الكهانة» ، لم تظهر كلمة Semantics حتى استخدمت في وثيقة قرئت على الجمعية الأمريكية لعلماء فقه اللغة عام ١٨٩٤ كان عنوانها : «Reflected meanings a point in Semantics» .

وقد صيغت كلمة Sémantique الفرنسية من اللغة اليونانية ، في العام السابق على يدي بريل M. Bréal . وفي كلا الحالين لم تستخدم الكلمة في الإشارة إلى المعنى ، بل إلى تطوره ، وهو ما سنطلق عليه بعد قليل «علم الدلالة التاريخي Historical Semantics» .

ومن ناحية ثانية ، ظهر كتاب بريل : «Studies in the science of meaning» عام ١٩٠٠ ، وكانت النسخة الأصلية الفرنسية قد ظهرت قبل ذلك بثلاث سنوات . ورغم أنه كتاب صغير ، فهو رائع جدير بالقراءة ، والشيء المحزن أنه قد أهمل هذه الأيام . إنه من أوائل الكتب التي عرضت لعلم اللغة كما نفهمه اليوم ؛ ذلك لأنه : أولاً : يتعامل مع الدلالة باعتبارها «علم» المعنى ، وثانياً : لم يكن مشغولاً ـ في المقام الأول ـ بالتغير التاريخي للمعنى (أنظر الفصل الرابع من الباب الأول) .

غير أن مصطلح «علم الدلالة» لم يجذب الانتباه لبعض الوقت . ومن أشهر الكتب في علم الدلالة كتاب : «The meaning of meaning» الذي الفه أوجدن C. K. Ogden وريتشاردز I. A. Richards ، ونشر لأول مرة عام ١٩٢٣ . ومع ذلك فإن علم الدلالة لا يظهر في الجزء الرئيسي من الكتاب نفسه ، بل يظهر في أحد الملاحق ، التقليدية ، آخذاً عنوان : « مشكلة المعنى في اللغات البدائية »، وكتبه عالم الإنسانيات مالينوفسكي B. Malinowski.

ولقد استخدمت مصطلحات أخرى إلى جانب مصطلح «Semantics» ، فقد تكلم ويلز H. G. Wells في كتابه : «The shape of things to come» عن علم الإشارات Significs ، لكنه قال إنه كان بمنأى عن الأنظار ولم يزدهر حتى القرن الحادي والعشرين . أما الأسماء الأخرى التي استخدمت فتشمل : Semics, Sememics, Semiotics, Semalogy , Semasiology ، رغم أن العلماء غالباً ما يستخدمون بعضاً من هذه المصطلحات لتوافق اهتماماتهم وتوجهاتهم الخاصة ، بما يعنيه مصطلحنا Semantics هنا ، بكلا المعنيين الأوسع والأضيق .

ومما يؤسف له أن لمصطلحي Semantic و Semantics في اللغة الشائعة بين عامة الناس استخداماً يقدم - خاصة في الصحف - صورة سطحية لاستخدامنا حسب ، ويشير إلى تلاعب اللغة - في الغالب للتضليل - خلال اختيار الكلمة الصحيحة . فمثلاً رأينا في صحيفة الجارديان Guardian عام ١٩٧١ العنوانين التاليين : « At the Pentagon مناورة «Semantics manoeuvre reduced to semantics»، التشرد «Homelessness». وتصدّر العنوان الأول مقالة تقترح أن تستخدم كلمة «mobile manoeuvre» في معنى «ينسحب»، في حين كانت النقطة الأساسية في العنوان الثاني أن السلطات استطاعت أن توحي بأن عدد الذين لا مسكن لهم تناقص إلى حد بعيد، وذلك باستخدام تعريف دقيق للغاية لكلمة «تشرد».

كذلك هناك قصة حقيقية حدثت بالفعل ، مع الراقصة التي تتجرد من ملابسها على المسرح ، حين كتبت إلى لغوي أمريكي بارز تسأله أن يمدّها بكلمة تحل محل كلمة strip - tease بسبب دلالتها غير الأخلاقية . وقالت له : «آمل أن يستطيع علم الدلالة أن يساعد أفراد مهنتي غير الموسرين» . فاقترح عليها اللغوي البارز ـ وكان عالماً باللغات الكلاسيكية ـ استخدام كلمة «المتجردة ecdysiast» .

ومصطلح المعنى meaning هو ـ بالطبع ـ أكثر إلفاً لنا . غير أن المعجم يعرض عدداً من المعاني المختلفة لكلمة meaning ، أو بعبارة أدق للفعل mean ، وقد سجل أوجدن وريتشاردز ما لا يقل عن ستة عشر معنى ، استحسنها كبار العلماء ، غير أنه لا يمكن لجزء من كتاب من هذا النوع أن يستقصي تعريفات هذه الكلمة ؛ ما هو شائع بين عامة الناس منها وما هو علمي ، ولا أن يسأل عما إذا كان بين معنيَيْ mean و meaning شيء مشترك . لكن نظرة سريعة إلى بعض الاستخدامات الشائعة قد تلقي بعض الضوء ، لأننا نستطيع أن نسأل : أي الكلمتين يقترب من المصطلحات التي نحتاجها في علم الدلالة .

وبداية ، علينا ألّا نرى حلقة محكمة بين المعنى الذي نطلبه ، ومعنى يقصد intend الذي نجده في عبارة : «أنا أقصد أن تكون هناك غداً I mean to be ther tomorrow» . وربما يكون مهماً أننا لا نستطيع ، في هذا السياق ، أن نتحدث عن «my meaning» ، للإشارة إلى «ما أعني أن أفعله» . إن أكثر المعاني قرباً من المعنى الذي نحتاجه هنا هو معنى عبارة : «هذه السحب تعني رعداً» أو عبارة : «الضوء الأحمر يعني قف» ، لأن كلمة mean هنا (وكلمة meaning أيضاً) تستخدم علامات ، طبيعية واصطلاحية ، تدل على شيء ما يحدث أو سوف يحدث ، أو على شيء ينبغي أن يفعل . ومثل هذه العلامات يمدنا بمعلومات أو يعطينا إرشادات ، ومن السهل علينا أن نفترض أن اللغة تتكون من علامات من نوع مماثل . ومع ذلك ، عندما

ننظر إلى استخدام كلمتى mean وmeaning في الإشارة إلى اللغة يتبين لنا أنهما نادراً ما توحيان بمفهوم العلامة (رغم أننا سنرى حالاً أن كثيراً من اللغويين قد اتبع القياس من البداية حتى النهاية) . إن أكثر الاستخدامات مناسبة للكلمتين ـ فيما يتعلق بأغراضنا ـ نجده في جمل مثل :

ماذا يعني «حسن الخط» ؟

«حسن الخط» يعني «الكتابة المتأنقة باليد» .

فالإجابة عن مثل هذه الأسئلة تكون بكلمات أخرى يعتقد المتكلم أن السامع يستطيع أن يفهمها . وهذه بالطبع ميزة المعجمات . إنها تمدنا بالتعريفات عن طريق ذكر الكلمات أو العبارات التي تعطينا إياها لكي نفهم ، وفيها المعنى نفسه ، رغم أن ماهية «التماثل same -ness» مشكلة لا نستطيع أن نهرب منها (الفصل الأول من الباب الرابع) . أما إلى أي مدى نتعامل مع المعنى بالنظر إلى تكافؤ المصطلحات فذلك شيء يتضح أكثر عندما نتعامل مع لغات أجنبية . فلو سئلنا ما «chat» في اللغة الفرنسية لأجبنا بلا ريب بأنها «قطة» . ومن المهم أن نذكر أننا لن نسأل ماذا تعني «قطة» في الفرنسية ، ونحن نتوقع الردّ بكلمة chat ، وعلينا أن نقول ـ بدلاً من ذلك ـ ما المقابل لكلمة «قطة» في الفرنسية ؟

إذن ففي تقرير المعنى علينا أن نقدم كلمة أكثر إلفاً من تلك التي يسأل عن معناها . إننا نترجم من كلمات غامضة أو مصطلحات فنية ، أو لغة أجنبية إلى كلمات نستطيع أن نفهمها بسهولة . ومع ذلك فمن الواضح أن هذا لن يأخذنا بعيداً في دراستنا للمعنى ، لأننا رغم أن مبادىء تصنيف المعجم قد تكون وثيقة الصلة بأسئلتنا ، لا نهتم كلية ، أو في المقام الأول ، بتصنيف المعجمات .

وهناك معنى مختلف لكلمة meaning في مثل هذه الجملة : «إنه لم يكن ما قاله ، بل ما عناه» . فلقد كتب كارول Lewis Carroll عن الفرق بين

القول والمعنى في مسرحيته : Alice's Adventures in Wonderland وأصل The March Hare قائلاً :

«إذن عليكِ أن تقولي ماذا تعنين».

وردت أليس Alice بعجلة : «أنا على الأقل أعني ما أقول - هذا هو الشيء نفسه ، فأنت تعرف» . فقال بائع القبّعات : «ليس هذا هو الشيء نفسه البتة» .

إن هذا الاستخدام لافت للنظر لأنه ، إذا كان لكلماتنا معنى ، فكيف نعجز عن قول ما نعنيه ، أو بالأحرى كيف يمكن أن تعجز الكلمات عن أن تعني ما تعني ؟ والإجابة عن هذا بالطبع أننا نرغب في زعم أن الكلمات لا تعني ما قد يعتقد - على نحو واضح - أنها تعنيه ، وأن هناك معنى آخر إلى جانب المعنى «الحرْفي» للكلمات . وهناك طرق مختلفة لاكتساب هذا ، فنستطيع أن نستخدم بساطة ملامح مثل التنغيم intonation ، أو حتى العلامات غير اللغوية ؛ كالغمز بالعين ، كي نبين أن الكلمات يجب ألّا تؤخذ حرفياً . وبخصوص هذه المسألة فإن الإنجليزية فيها درجة تنغيم مهمة تسمى الهابطة الصاعدة The Fall - rise فيها يخفض التنغيم ويرتفع على الكلمة المنبورة accented في الجملة . وهذه الدرجة تعبر عن أشياء مضمرة ، إنها تقول : «ولكن . . .» وعلى سبيل المثال فإنها مع جملة : «إنها ماهرة clever جداً» قد تقول (أي تدل ضمناً) إنها ليست أمينة honest ، أو ليست جذابة للغاية ، في حين أنها مع جملة : «أنا أظن ذلك» توحي بأنني لا أعرف على وجه الحقيقة (حيث إن نغمة مختلفة سوف تعبر عن ثقة اعتقادي) . وبالمثل أستطيع أن أقول بسخرية : «إنه ماهر جداً» وأنا أعني أنه «غبي جداً» ، ولو غمزت عند قولي : «إنه ملْكي» فذلك يحتمل أنني أنوي أن أوحي بأنه ليس كذلك .

ثانياً : إن كثيراً مما نقوله «يفترض ضمناً» الكثير ؛ فالمثال التقليدي :

«متى توقفت عن ضرب زوجتك ؟ يتضمن أنك ضربتها ذات مرة ، دون القول بذلك . وسوف نناقش هذا أيضاً بالتفصيل فيما بعد .

ويبدو أننا لن نمضي في دراسة المعنى بالنظر إلى الاستعمالات الشائعة أو حتى العلمية للكلمات الوثيقة الصلة بالموضوع فقط ، بل علينا أن نحاول أن نرى ما المعنى ، أو ماذا يجب أن يكون ، داخل إطار نظام نظري أو علمي . إن علم الدلالة جزء من علم اللغة Linguistics ؛ الدراسة العلمية للغة .

الفصل الثاني

علم الدلالة وعلم اللغة

دعنا الآن نحاول أن نضع علم الدلالة داخل علم اللغة ، ونرى ما ينطوي عليه ذلك ، بداية ، نستطيع أن نزعم أن علم الدلالة هو جزء من علم اللغة ، أو مستوى من مستوياته ، كعلم الأصوات Phonetics وعلم النحو Grammar . ومع ذلك يقبل علماء اللغة كلهم تقريباً ـ صراحة أو ضمناً ـ النموذج اللغوي الذي يكون علم الدلالة فيه في «طرف» ، وعلم الأصوات في «طرف آخر». أما علم النحو فيقع في مكان ما بينهما . (رغم أنه لا توجد بالضرورة هذه المستويات الثلاثة بالضبط) . وكون هذا جديراً بالتصديق واضح تماماً ؛ فاللغة يمكن أن ينظر إليها باعتبارها نظام اتصال يجعل شيئاً ما على اتصال بشيء آخر ؛ رسالة من ناحية ومجموعة من العلاقات أو الرموز من ناحية أخرى . ولقد أشار اللغوي السويسري دي سوسير Ferdinand de Saussure إلى هذه باعتبارها دالاً (Signifiant) ومدلولاً (Signifié) . ومما يؤسف له أنه استخدم مصطلح علامة sign في الإشارة إلى ترابط هذين ، لكن بعض أتباعه المحدثين استخدموه للدالّ وحده ، وهذا أكثر قبولاً) . وأمثلة نظم الاتصال عديدة ، وكلها ـ بلا شك ـ أكثر بساطة من اللغة . فعلى سبيل المثال تستخدم الإشارات الضوئية نظاماً من الألوان ؛ مجموعة ألوان مؤتلفة ، لكي تعطي تعليمات للسائقين بالسير أو الوقوف (وأيضاً لكي تنبه إلى أن التعليمات على وشك أن تصدر) . وبالمثل تصدر الحيوانات أصواتاً ليتصل بعضها ببعض ؛ فقرود الجبّون gibbons ـ على سبيل المثال ـ لها

مجموعة من الصيحات تعبر بها عن اكتشاف الطعام ، وعن الخطر ، وعن شوق الصداقة ، وعن الرغبة في المصاحبة ، ولها صيحة واحدة مقصود بها تحديد الموقع حسب ، وكذلك منع أفراد الجماعة من الانتشار بعيداً منفردين .

ورغم أنه من المعقول أن تنظر إلى اللغة أساساً باعتبارها نظام اتصال ، يجب ألّا نذهب بالتمثيل بالنظم الأخرى إلى حد بعيد ، وذلك لأسباب عدة منها ، أولاً : أن اللغة ليست دائماً تحمل «رسالة» بالمعنى الحقيقي ، ومن المؤكد أنها ليست قطعة من المعلومات ؛ فإن جزءاً من وظيفتها يعني بالعلاقات الاجتماعية (انظر الفصل الرابع من الباب الثاني ، والفصل الثاني من الباب الثالث) ، رغم أن هذا أيضاً حقيقي بالنسبة لنظم الاتصال الحيواني . وثانياً : أن كلًّا مِّن «العلاقات» و«الرسائل» (الدالات والمدلولات) في اللغة هي نفسها عقدة هائلة ، والعلاقة بينهما شيء أكثر تعقيداً . ولهذا السبب زعم البعض على نحو مقبول أن اللغة الإنسانية تختلف في النوع kind ـ فضلاً عن الدرجة degrée ـ عن «اللغات» الأخرى . وثالثاً : أن تحديد مواصفات الرسالة على نحو دقيق في اللغة صعب للغاية ، وربما مستحيل . أما في نظم الاتصال الأخرى فليست هناك مشكلة ، لأن الرسالة يمكن تحديدها ـ وعلى نحو مستقل ـ بالنظر إلى اللغة ، أو بالأحرى بالنظر إلى لغة كالإنجليزية ؛ «فاللون الأحمر» يعني «قف» . وأما بالنسبة للغة فليس لدينا ـ على وجه العموم ـ حل سهل كهذا ، لأننا لا نستطيع أن نحدد معنى (الرسالة) بطريقة مستقلة عن اللغة . إننا نستطيع ـ فقط ـ أن نبسط مجموعة واحدة من المعاني بالنظر إلى مجموعة أخرى ؛ نستطيع فقط أن نصف لغة بالنظر إلى لغة .

إنني أزعم أن علم اللغة هو دراسة «علمية» للغة . وهناك شرط ضروري هو أنها لا بد أن تكون تجريبية empirical . ولما كان علم الدلالة جزءاً من علم اللغة ، وجب ألّا يكون هو الآخر أقل «علمية» . وما تعنيه كلمة

«علمية» أو كلمة «تجريبية» ـ على وجه التحديد ـ هو موضع جدل ، لكن هناك شرطاً ضرورياً للدراسة العلمية هو أن العبارات المصوغة داخلها يجب أن يكون إثباتها عن طريق الملاحظة ـ من حيث المبدأ على الأقل ـ ممكناً . إن من السهل تطبيق هذا على علم الأصوات ؛ فإننا نستطيع أن نلاحظ ما يحدث ؛ نستطيع أن نستمع إلى شخص يتكلم . ونستطيع ، فضلاً عن هذا ، أن نصف ما تقوم به أعضاء النطق vocal organs ، أو نستطيع أن نقيس بدقة ، وبمساعدة الآلات العلمية ، الخصائص الطبيعية للأصوات الصادرة . غير أن الأمر الذي يؤسف له أن ليست هناك طرق مماثلة وسهلة للتعامل مع علم الدلالة . إضافة إلى ذلك ، لو كان علم اللغة «علمياً» لما كانت له صلة بالشواهد المحددة ، ولامتدت الصلة إلى القوانين العامة généralisations . وقد أثار هذه المسألة دي سوسير ، رغم أن ذلك تمّ في إطار تصوري مختلف نوعاً ما ، عند تمييزه بين اللغة (Langue) والكلام (Parole) . وقد ظهر هذا التمييز ـ من جديد ـ في أعمال تشومسكي Noam Chomsky وتابعيه على أنه «القدرة competence» و«الأداء performance» . (يختلف تشومسكي كثيراً عن دي سوسير في طبيعة النظام داخل اللغة أو القدرة ، لكن التميز النظري هو ذاته) فكل منهما معنيّ أساساً ـ وكذلك نحن ـ بإبعاد ما هو فردي أو عرضي محض (التكلم أو الأداء) ، ومعنيّ بالإصرار على أن الدرس الحقيقي لعلم اللغة هو اللغة أو القدرة . لكن اللغة أو القدرة ـ عند كل من دي سوسير وتشومسكي ـ هي نوع من النظام المثالي ، دون أي أساس تجريبي واضح ، وأنا أفضل أن نفكر ـ فضلاً عن ذلك ـ في القوانين العامة . وهذه النقطة واضحة تماماً في علم الأصوات ؛ فعالم الأصوات ليس معنياً ـ في المقام الأول ـ بالأصوات الخاصة التي يصدرها شخص ما في وقت من الأوقات ، فهو قد يدرس بعناية طريقة التلفظ بكلمة مثل «كتاب» ، لكن لكي يفعل هذا سوف يستمع إلى كثير من «النطق الفردي» لهذه الكلمة ، وسوف يصل إلى إفادة عامة لقاعدة هذا النطق . حقاً

في إمكاننا اليوم ـ بمساعدة العقل الالكتروني ـ أن نصل إلى «معدل» **النطق** ، محسوباً بالعقل الالكتروني ، وناتجاً عن الجهاز الذي يستطيع أن ينتج **أصواتاً** كلامية إنسانية . إن ما يحدث في كل مرة يتكلم فهيا الفرد ليس ـ عادة ـ ذا أهمية في ذاته ، إنه بالأحرى جانب من الدليل على وجود القوانين العامة . والشيء نفسه لا بد أن يكون حقيقياً بالنسبة لعلم الدلالة . فنحن بالطبع لن نهتم بالمعنى الذي يرغب أي فرد في أن يعرضه على كلماته . إننا قد نتذكر كارول مرة أخرى (من خلال المرآة) :

قال Humpty Dumpty بصوت هازىء : «عندما أستخدم كلمة فإنها تعني ما أختاره أنا ـ ليس أكثر ولا أقل» .

إن المعنى الخاص بالفرد ليس جزءاً من الدراسة العامة لعلم الدلالة . إنه بالطبع طريف ومهم لأغراض معينة ، كأن نرى كيف ينحرف فرد عن النموذج الطبيعي ، ولماذا ينحرف . وهذا ضروري في دراسة الأدب ؛ فالشاعر قد لا «يعني» تماماً ما تعنيه أنت وأنا . وواضح أنه مهم أيضاً في الدراسات المتعلقة بالطب النفسي ؛ حيث يكون الفرد غير قادر على استخدام لغته بالطريقة التي يستخدمها بها الآخرون . لكن من المهم أن ندرك أنه لا سبيل إلى الدراسات الأدبية ولا الدراسات المتعلقة بالطب النفسي ، بغير نماذج «طبيعية» عامة نقارنها بها .

ولقد وضع تمييز مفيد بين «الكلام المنطوق utterances» و«الجمل sentences» ، حتى نستطيع أن نفرق بين الكلام المنطوق : «على المنضدة كتاب» وجملة : «على المنضدة كتاب» . وقد يظهر هذا في البداية مثيراً للدهشة ، ومما يؤسف له أن التمييز غالباً ما يكون مفقوداً ، لأننا نتحدث عن أفراد «ينطقون» أو «يتكلمون» هلى هيئة «جمل» . غير أن النقطة الأساسية هي أن النطق «حدثٌ في زمن» ـ إنه يصدر عن شخص ، وفي زمن محدد ، في حين أن الجملة كيان تجريدي ليس له وجود في زمن ، وإنما هو جزء من

النظام اللغوي للغة . والتمييز يرتبط ـ على نحو واضح ـ بالتمييز بين اللغة أو القدرة والكلام أو الأداء ، فالجملة تنتمي أساساً إلى الأول ، والنطق ينتمي إلى الأخير . وهذا شيء مهم لأننا عندما نتحدث عن شيء قاله إنسان نصفه ـ عادة ـ بكلمات تناسب الجملة . وبعبارة أخرى إننا نستخدم معلوماتنا اللغوية (بما في ذلك معنى الجملة) للتحدث عنه . وعلى سبيل المثال ، لقد أشرت إلى المنطوق : «على المنضدة كتاب» ، الذي قد يكون نطقه إنسان ما في زمن معين . لكن لكي أشير إليه عليّ أن أكتبه في كلمات تخضع لعادات التهجي spelling والترقيم punctuation كلها . وعندما أفعل هذا فأنا أعيّنه مثالاً لجملة : «على المنضدة كتاب» ، بمعنى أنني لكي أتحدث عن منطوق ، عليّ أن أعالجه باعتباره مثالاً للكيان العام ، الأكثر تجريداً ، ألا وهو الجملة . (والطريقة الوحيدة لتجنب هذا هي وضع المنطوق على شريط ، لأن كتابته كتابة صوتية من المحتمل أن تفرض بعض خصائص الجملة) . خاصة أنني عندما أكتبها أطابق الكلمات ، لكن الكلمات ليست جزءاً مفترضاً من المنطوق . ولا يمكن الوصول إليها بالملاحظة المباشرة ، وإنما هي نتيجة تفكير لغوي معقد بكل معنى الكلمة (الفصل الخامس من الباب الثامن) . وينتج عن هذا أن علماء الدلالة لن يكونوا (وحقيقة لن يستطيعوا أبداً أن يكونوا) معنيين بمعنى المنطوقات ، وإنما ـ فقط ـ بمعنى الجمل ، وينتج عنه أيضاً أننا لا نستطيع أن ندرس علم الدلالة دون افتراض الكثير من علم النحو ، ومن جوانب أخرى من بنية اللغة .

الفصل الثالث

اللغة المنطوقة

The Spoken Language

من أهم خصائص «الاتجاه اللغوي» نحو دراسة اللغة أنه ليس معنياً باللغة المكتوبة حسب ، بل باللغة المنطوقة كذلك (وعادة مع تركيز أكثر) . وهناك أربع حالات ـ على الأقل ـ تكون فيها اللغة المنطوقة أقدم ـ أو أكثر جوهرية ـ من اللغة المكتوبة .

أ ـ الجنس الإنساني استخدم الكلام زمناً طويلاً قبل أن يعرف الكتابة ، ولا تزال هناك لغات ليس لها شكل كتابي .

ب ـ الطفل يتعلم الكلام زمناً طويلاً قبل أن يتعلم الكتابة .

جـ ـ اللغة المكتوبة يمكن ـ على نطاق واسع ـ أن تتحول إلى كلام دون أن تفقد شيئاً . أما العكس فغير صحيح ؛ إذ إننا لو كتبنا ما قيل لفقدنا الكثير .

د ـ الكلام يلعب دوراً أكبر ـ في حياتنا ـ من الكتابة . فنحن نمضي في الكلام وقتاً أكثر بكثير مما نمضيه في الكتابة أو القراءة .

وتحتاج النقطة الثالثة إلى شرح أكثر ، إذ إن الصيغة المكتوبة لها ملامح قليلة لا تتمثل بسهولة (أو لا تتمثل على الإطلاق) في الكلام . وعلى سبيل المثال ، فإن استعمال الحرف الطباعي المائل في هذا الكتاب في الإشارة إلى الأمثلة لن يكون دالاً إذا قرىء بصوت عال . وكذلك الفقرات التي فيها علامة تشير إلى بدء الفقرة ، رغم أن ذلك قد لا يشكل خسارة

كبيرة . أما اللغة المنطوقة فلها خصائص لافتة للنظر لا يمكن رؤيتها بسهولة في الشكل المكتوب ، خاصة أن لها ما يعرف بملامح النظم prosodic [1] والملامح التي يمكن تحديدها بجانب اللغة Para - linguistic . وتشمل ملامح النظم ـ أول ما تشمل ـ ما يعالج عادة تحت إسم التنغيم ، والنبر stress . ولقد أشرنا إلى استخدام التنغيم الهابط الصاعد في الإيحاء «لكن . . . .» ، وأي متكلم بالإنكليزية يستطيع بسهولة أن يلمّ بالفائدة الكبيرة التي يجلبها التنغيم للأغراض المتنوعة . ويستخدم مصطلح «النبر» لظواهر عدة ، تشمل الفرق بين فعل مثل «يدين convict» والإسم «الإدانة convict» ، لكن فيما يخص غرضنا فإن الاستخدام الأكثر أهمية هو هذا الذي يشار إليه أحياناً على أنه النبر (ليس بمعنى «النبرات» المختلفة ، أعني ملامح اللهجة التي قد تشيع بين الناس في أجزاء مختلفة من البلد) ، فالنبر قد يقع على كلمات عدة في الجملة . تأمل ـ على سبيل المثال ـ جملة : هل ماري سوف تلبس هذه القبعة ؟ «Is Mary going to wear that hat ?» ، فالنبر قد يقع على أي كلمة (ربما باستثناء كلمة to) بمعان متضمنة متنوعة ، فإن وقوعه على الفعل «wear» قد يوحي بأنها لا بد أن تأكلها بدلاً ! هذا النوع من النبر يمكن أن يظهر بالطبع في الكتابة ، عن طريق الحروف الطباعية المائلة أو عن طريق وضع خطوط أفقية تحت الكلمات ، لكننا نادراً ما نلجأ إلى هذه الأساليب . وعلى أية حال ، فإن استخدام النبر ليس شيئاً بسيطاً كما يوحي هذا المثال . ذلك أن دلالة التنغيم والنبر موضوع بارز في حد ذاته . غير أن المعنى تدعمه كذلك ملامح يمكن تحديدها بجانب اللغة para - linguistic كالإيقاع rhythm ودرجة السرعة وارتفاع الصوت (فالصياح والهمس لهما دلالة كبيرة) . وبالإضافة إلى ذلك فنحن عندما نتحدث نستخدم علامات غير لغوية كثيرة (مصطلح para - linguistic يستخدم أحياناً في الدلالة على هذه العلامات كذلك) . فابتسامة أو غمزة بالعين قد توحي

---

(١) يطلق عليها د. كمال بشر : التطريز الصوتي (علم اللغة العام ـ الأصوات ص ٤٩) (المترجم) .

بأننا لا نعني حقيقة ما نقول باعتبارها درجة تنغيم «تهكمية» .

ومع ذلك لن أناقش دلالة هذه الملامح في هذا الكتاب ، وذلك لأسباب ثلاثة : أن الموضوع واسع ؛ وأنه صعب إلى أبعد حدّ ، لأن معاني ملامح النظم ومعاني الملامح التي تحدد إلى جانب اللغة صعب جداً تحديدها ، وأن (لهذين السببين) الاتفاق بين العلماء حول طريقة معالجتها لا يزال غير تام . وفوق ذلك فأنا أعترف بأن هذا إغفال يؤسف له . وسوف أشير إليها بإيجاز ، حيث إنها وثيقة الصلة ـ وعلى نحو مباشر ـ ببعض الفصائل categories المحدَّدة دلالياً . فالتنغيم لا يمكن إسقاطه من مشكلة الأحداث الكلامية Speech acts . (الفصل الثاني من الباب الثامن) ، في حين أن النبر يتضمنه كل من الموضوع Topic والتعبير comment (الفصل الثالث من الباب الثامن) . وكثير من الملامح التي يمكن تحديدها بجانب اللغة لا بد أن يتضمنها أيضاً السؤال عن الأحداث الكلامية ، لكن حتى الآن لم يحاول أحد أن يربط بين الاثنين .

إننا لا بد أن نعترف ـ حتى بمعزل عن ملامح النظم والملامح التي تحدد إلى جانب اللغة ـ بأن شكل اللغة المنطوقة ، والأغراض التي تستخدم فيها مختلف للغاية عن شكل اللغة المكتوبة وأغراضها . إن التركيز على اللغة المكتوبة ضلّل علماء النحو ، فقد عجزوا عن أن يروا أن اللغة المنطوقة تختلف عن اللغة المكتوبة ، وحاولوا ـ بطريقة ضالة ـ أن يصفوا اللغة المنطوقة بمصطلحات تناسب اللغة المكتوبة . وكان هذا أكثر خداعاً لعلماء الدلالة ، لأن اللغة المكتوبة هي أساساً سرد أو عرض لمعلومات واقعية ، أو موضوعات Arguments . وأدى هذا إلى ادعاء أن المعنى يهتم أساساً بالمعلومات ، بما أسماه الفلاسفة بالأخبار Propositions . لكن الوظيفة الأساسية للغة ـ لا سيما اللغة المكتوبة ـ ليست هي الإخبار بشيء . إنها تؤدي وظائف أخرى مختلفة تماماً كما سنرى فيما بعد (الفصل الرابع من الباب الثاني) .

الفصل الرابع

علم الدلالة التاريخي

Historical Semantics

حقيقة لن أقوم في هذا الكتاب بمناقشة علم الدلالة التاريخي ، الذي يعني دراسة تغير المعنى عبر الزمن (إلاّ في هذا الفصل) . إن عدداً كبيراً من الدراسات التي قام بها العلماء حتى الآن عن علم الدلالة هو من النوع التاريخي ، وقد ذكرت فيما سبق أن مصطلح علم الدلالة استخدم أولاً في الإشارة إلى تطور المعنى وتغيره . ولا ريب في أن دراسة تغير المعنى يمكن أن تكون ساحرة أو جذابة ، ونستطيع أن نبدأ بمحاولة تصنيف أنواع التغير الذي يحدث :

أشار اللغوي الأمريكي العظيم بلومفيلد L. Bloomfield إلى عدد من النماذج ، لكل منها اسم تقليدي . وإليك نماذجه ، مقرونة بأمثلة ، وإلى جانبها المعاني القديمة :

تضييق المعنى [١] (Narrowing) : meat طعام meat لحم .
توسيع المعنى [٢] (Widening) : nestling صغير الطير bird الطير .
الاستعارة [٣] (Metaphor) : biting مرّ bitter لاذع .

(١) ومثله في العربية إطلاق «العيش» على «الخبز» ، و«اللحاف» على «الغطاء الذي يوضع على الأسرّة» (د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ص ١٥٤ ، د. عبد العزيز مطر : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١٣٢) (المترجم) .
(٢) ومثله إطلاق «الاستحمام» على «ما كان بالماء الحار أو البارد» ، و«اللبن» على ما كان من بنات آدم أيضاً (دلالة الألفاظ ص ١٥٥ ، لحن العامة ص ١٩٧) . (المترجم) .
(٣) ومثلها وصف «الاستقبال» بأنه «بارد» ، و«اللون» بأنه «دافىء» ، و«التحية» بأنها «عاطرة» =

الكنـاية[1] (Metonymy) (قـرب في مسـافـة أو زمن) : check : خـدّ فك jaw .

المجاز المرسل [2] (Synecdoche) (علاقة كل / جزء) : fence : منطقة، town مدينة، heated room حجرة حارة ، stove موقد .

المبـالغة [3] (Hyperbole) (المعنى الأقـوى للأضعف) : strike with thunder يضرب محدثاً صوتاً كقصف الرعد ، astound يصعق .

انحـدار الدلالـة [4] (Litotes) (المعنى الأضعف للأقـوى) : torment يعذب ، kill يقتل .

انحطاط الدلالة [5] (Degeneration) : boy ولد، knave خادم .

رقي الدلالة [6] (Elevation) : boy ولد ، knight فارس .

وسنحـاول بـدورنـا أن نجـد أسبـابـاً لهـذه التغيـرات . إن بعض هـذه التغيرات يحدث عن طـريق المصادفة؛ فكلمة «نقود money» ترتبط بـالكلمة اللاتينية meneo (يحـذّر admonish) ، لأن النقود كـانت تصنع في رومـا في معبد الإلهة جـونو مـونيتا Juno Moneta . ودبـابات tanks الحـرب الحديثـة تسمى هكذا بسبب قرار سلام في حرب عـام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ لخداع الألمـان بأن يظنـوا أن صهاريـج المياه water — tanks قـد أرسلت . وهناك تغيـرات أخرى نشأت من احتياجات جديدة ؛ فكلمة «عربـة car» كانت كلمـة شعريـة

= د. كمال بشر : دور الكلمة في اللغة ص ١٧٠) ، ومثلها أيضاً استخدام «الأسنان» للمشط ، و«الرجل» للكرسي ، و«العين» للحقيقة أو الصواب . (المترجم) .

(١) ومثلها إطلاق «الخرطوم» على «الفم» ، لا «الأنف» (لحن العامة ص ٣٧٣) (المترجم) .

(٢) ومثله إطلاق «المكتب» على ما يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه ، أو المصلحة الحكومية ، أو المكان الذي تدار منه الأعمال (دور الكلمة ص ١٧٣) (المترجم) .

(٣) ومثلها قولك : «انتظرتك سنة» وأنت لا تعني غير ساعة أو زمن محدود . (المترجم) .

(٤) ومثله قولك : «إن لم تفعل هذا فسوف أقتلك» وأنت لا تقصد غير ضربه مثلاً . فهنا ضعف معنى القتل وانحدر . (المترجم) .

(٥) ومثله انحطاط الكلمات : (كنيف ـ لباس ـ مزيّن ـ ساعٍ ـ مره) (المترجم) .

(٦) ومثله الكلمات : (الطائرة ـ القطار ـ السفرة ـ السيارة) (المترجم) .

مهجورة تطلق على المركبة الخفيفة التي تجرها الخيل ، إلى أن اخترعت السيارة . ومعظم المصطلحات العلمية اكتسبت معاني خاصة ليس لها علامة قريبة بالاستخدام غير العلمي ؛ فالكتلة mass والطاقة energy في علم الفيزياء ليس معناهما ما يعرفه الشخص العادي [١] . كذلك هناك سبب للتغير السريع وهو الحظر أو التحريم ؛ فالكلمة التي تستخدم لشيء بغيض تبدل بكلمة أخرى ، وتلك بدورها تبدل بأخرى فيما بعد ، مثلما حدث في الكلمات : «مرحاض privy, W. C, lavatory, toilet, bathroom . . .» إلخ [٢] .

إن التغير التاريخي هو - إلى حد بعيد - مجال علم اللغة التاريخي والمقارن comparative ، أو ما يسمى عادة فقه اللغة المقارن comparative philology ، الذي يحاول أن يعيد بناء تاريخ اللغات ، وعن طريق تاريخها ، يربط اللغات التي تأتي على نحو واضح من مصدر مشترك أو أسرة عليا ancestor . ويهدف ذلك فيما يهدف إلى تشريع «قوانين صوتية» ، لكي نظهر على سبيل المثال ارتباط الحرب P في اللغة الرومانسية أي الناشئة عن اللاتينية بالحرف F في اللغات الجرمانية Germanic (وهذا تصور لما يعرف بقانون جريم Grimm)[٣] . ويمكن توضيح ذلك في الإنجليزية حيث يأتي ثنائي من الكلمات من الرومانسية والجرمانية ، مثل «أب father» / «أبوي

(١) ومثلهما كلمة «التوجيه» ؛ فهي في الاستخدام العادي تعني الإرشاد ، أما في علم القافية فتعني الحرف الذي قبل الروي المقيد (المترجم) .

(٢) عن أثر العوامل النفسية والاجتماعية في التطور اللغوي ، أنظر : د. عبد الرحمن أيوب : اللغة والتطور ص ٧١ ، ١٢١ ، محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٢ : ٢٢٣ (المترجم) .

(٣) نشر جريم في عام ١٨٤٨ كتابه «تاريخ اللغة الألمانية» ، وكان فيه أول من عالج تطور الحركات في اللغة الألمانية بأسلوب علمي . وقد علل هذا التطور بأنه نتيجة للتطور في الدلالة ، وسمى القواعد التي سار عليها التطور الصوتي بالقوانين الصوتية ، وعرفت فيما بعد بقوانين جريم (اللغة والتطور ص ١٩ ، وانظر أيضاً ماريوباي : أسس علم اللغة - ترجمة د. أحمد مختار عمر ص ٤٧ - ٥٠) (المترجم) .

«paternal» ، «ريشة feather / قلم pen» ، «سمك fish» صيّادية «piscatorial» . غير أن تشريع القوانين الصوتية يعتمد على معرفة أن الكلمات التي نقارنها هي « نفسها » ، بمعنى أنه يمكن افتراض أن لهذه الكلمات أصلاً مشتركاً ، ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلاّ باعتبار معانيها . وهذا كاف في حالة الأمثلة السابقة (فتذكر أن الأقلام كانت في الأصل من ريش الطيور) . وغير مثير للدهشة أننا نستطيع أن نربط بين كلمة «شاة ewe» والكلمة اللاتينية «نعجة ovis» والكلمة الإنجليزية «ovine» ، أو بين كلمة «أطيان acre» والكلمة اللاتينية «حقل ager» والكلمة الإنجليزية «agriculture» . وقد يكون أكثر إثارة للدهشة (من حيث الصوت ، لا المعنى) أن كلمة «بقرة cow» وكلمة «لحم البقر beef» أيضاً مرتبطتان (رغم أن هذا أكثر تعقيداً) . أما الأقل احتمالاً ـ بالنظر إلى المعنى ـ فهو الأصل المشترك لكلمتي «ضيف guest» و«معادٍ hostile» ، حتى نتذكر أن الغرباء قد يعاملون إما باعتبارهم أصدقاء وإما باعتبارهم أعداء . وبوجه عام فإن التطابق غير الواضح للمعنى يؤيده ـ على نحو تام ـ دليل القوانين الصوتية . فنحن نجد كلمات يتعين ـ بواسطة القوانين الصوتية ـ أن تكون مرتبطة ، وبعد ذلك نبحث عن علاقات دلالية معقولة . ومما يؤسف له أن هذا ليس ممكناً مع مجموعات اللغات كلها ، ففي أجزاء كثيرة من العالم يصعب تأسيس العلاقات اللغوية ، وذلك لأننا ـ أساساً ـ ليس لدينا سجلات قديمة . وبالتالي فإن التخمين قد يضطلع بالأمر . لقد رأيت محاولات لربط كلمات من لغات أفريقية مختلفة بسبب بعض التشابه الصوتي . وليس القوانين الصوتية ، على أساس المعاني : «نهار day» ، «شمس sun» ، «نار fire» ، وبالمثل المعاني : «سماء sky» ، «فوق above» ، «يمطر rain» . فإذا لم تكن المطابقة ـ بالنظر إلى القوانين الصوتية ـ مقنعة (وهي ليست كذلك) فإن مثل هذه المطابقات لا تكون مقنعة .

وبعيداً عن الدراسة العلمية لتغير المعنى ، فإن الواقع أن الناس مولعون

بالاشتقاق Etymology ، أي اكتشاف المعاني القديمة للكلمات (أو - إذا ما تتبعنا اشتقاق الاشتقاق - اكتشاف معانيها «الحقيقية») . حقاً إن المعاجم تحاول أن تشبع هذا الولع عن طريق إيراد الأصل الأكثر قدماً لكل كلمة على الأقل . ويرجع الاهتمام بالاشتقاق إلى قرون عدة ؛ فأول مناقشة جادة نجدها في محاورة أفلاطون Plato كراتيلس Cratylus ، وكثير من الاشتقاقات المزعومة فيها مناف للطبيعة والعقل [(١)] . لكن عدداً منها صحيح . والأمر الذي يعصّب المسألة بالنسبة للشخص العادي هو أن الكلمات غالباً ما تكون على غير ما تبدو عليه ؛ فكلمة «عنب الثعلب Gooseberry» ليست لها علاقة بكلمة «إوَزّ geese» ، وكلمة «فراولة strawberry» ليست مرتبطة على نحو مباشر باستعمال «القش straw» لحماية الثمر (رغم أن كلاً من straw التي تكسو نفسها والقش straw الذي ينتثر) . لكن قليلاً سوف يتوقعون أن كلمة «الهستيري hysterical» ترتبط بكلمة «رحِمْ womb» (في اليونانية greck)، أو أن كلمة «سيد lord» وكلمة «سيدة lady» لهما صلة بكلمة «رغيف loaf» (من الخبز) .

إن الاشتقاق في حد ذاته ذو أهمية قليلة ، حتى لو كانت له قيمة الفضول ، وحقيقة لا بد أن لا يكون في المعاجم مكان للّغو . إن الصعوبة الرئيسية هي أنه لا يمكن أن يكون هناك معنى «حقيقي» أو «أصلي» ، لأن اللغة الإنسانية قد امتدت إلى الوراء بعيداً جداً . إنها تحاول - على سبيل

---

(١) ربط علماء العربية بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة والمعاني المتشابهة ، فكان ما سمي بالاشتقاق العام مثلما تشتق من الفعل «فهم» صيغاً أخرى مثل : فاهم ، مفهوم ، تفاهم . . . إلخ . أما الاشتقاق الكبير فيفسر لنا عادة بأن بعض المجموعات الثلاثية من الأصوات يرتبط ببعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب ، ويمثل له ابن جني (ت ٣٩١ هـ) بعدة مجموعات لا يخلو معظمها من التكلف والتعسف ، مثلما اعتبر أنْ أصوات (الجيم والباء والراء) مهما اختلف ترتيبها تعبر عن القوة والشدة ، وحروف (ركب) مهما اختلف ترتيبها تعبر عن الإجهاد والمشقة . أما النوع الثالث من الاشتقاق وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر فيمثل له عادة بكلمات مثل : (ازوهز - الحثل والحفل) ونحو هذا (د. إبراهيم أنيس : من أسارر العربية ص ٦٢ - ٦٨) (المترجم) .

المثـال ـ القول بـأن كلمة «nice» تعني حقيقـة «دقيق precise» ، مثلمـا تعني العبارة : «فرق دقيق nice distinction» . لكن دراسة تاريخها تظهر أنها كانت تعني ـ فيما مضى ـ «أحمق silly» (باللاتينية «جاهل nescius») ، ولا بـد أنها كانت مرتبطة في الزمن الماضي بكلمة «ليس ne» ، ويحتمل أن السابقة ـ SC كـانت تعني «يقطع cut» كمـا في كلمة «مقص scissors» وكلمـة «مقص كبير shears» . ومـاذا قبـل هـذا ؟ لا نعـرف . إذن واضـح أن ليس هنـاك مكـان لمناقشة جادة حول الاشتقاق هنا .

وكما قلت ـ في بداية هذا الفصل ـ لن تكون هنـاك مناقشـة أخرى لعلم الـدلالة التـاريخي . وقد يكـون هذا مثيـراً للدهشة ، وربمـا مخيباً لـلآمال ، بالنسبة للقارىء الذي هيأته الكتب ذات الطبعات الشعبية المبسطة ، وممارسة معظم المعجمات لهذا ، للتفكير في المعنى بـالنظر إلى تغيـر المعنى . لكن اللغويين بوجه عام يعودون فيقبلون التمييز الواضح الذي وضعه «دي سـوسير» بين علم اللغـة التاريخي diachronic وعلم اللغـة الوصفي عُـةلاأفحـةخـلاً ؛ فالأول يهتم باللغة عبر الزمن ، أما الثاني فيعنى بها كمـا هي ، أو كما كـانت في زمن معين . ورغم وجود بعض المشكلات النظرية حول رسم خط واضح بين هـذين النوعين من الـدراسة ، فـإنه في التـطبيق العملي يمكن رسم هـذا الخط ، ويمكن تفادي الكثير من الخلط ، بـالتأكيـد على ما إذا كـان العرض اللغوي وصفياً أو تـاريخياً . وعلى سبيـل المثال الجملتـان : «دان هي صيغة الماضي من الفعل يدين Ought is the past tense of owe» و«زهر الطاولة هو جمع زهرة dice is the plural of die» مضطربتان . وبالنسبة للحقائق الوصفية عن الإنجليزية الحديثة هما غير صحيحتين ، وقد تكونـا صحيحتين تاريخيـاً ـ غير أن الفعل في هذه الحالة لا بد أن يكون «was» لا «is» .

لقد ركز علماء اللغة ـ منذ عهد قـريب ـ على الدراسـة الوصفيـة للغة . ومع ذلك نستطيع أن نذهب إلى أن الدراسة الوصفية لا بد ـ منطقياً ـ أن تسبق الدراسة التاريخية ، لأننا لا نستطيـع أن ندرس التغيـر في لغة حتى نثبت أولاً

ما الذي كانت عليه اللغة في الأوقات التي تغيرت أثناءها . وهكذا أيضاً في علم الدلالة ، فإننا لا نستطيع أن نتعامل مع تغير المعنى حتى نعرف ما المعنى . والمؤسف أن العلماء الذين اهتموا بالتغير التاريخي انغمسوا في عبارات غامضة من النوع الذي رأيناه فيما مضى ، لأنهم لم يكن لديهم نظرية واضحة عن علم الدلالة . وأنا أشعر أن هذا وحده سبب كاف للتركيز - في كتاب في مثل هذا الحجم - على المسائل الوصفية [1] .

---

(١) استمر علم اللغة التاريخي بعد نشر كتاب دي سوسير ، وما يزال مستمراً حتى الآن ، ولكن تلاه في الوجود ، وتبعه في كل خطوة بخطوها شريكه الناشيء ذو السمعة المدوية ، وهو علم اللغة الوصفي ، ومنذ تلك اللحظة أخذ ميزان القوى يختل متحولاً من البحث المقارن في تاريخ - وكذلك ما قبل تاريخ - اللغات الهندية الأوروبية إلى وصف اللغات المستقلة . (انظر أسس علم اللغة ص ٢٣٥ - ٢٣٩) .

الفصل الخامس

علم الدلالة
في فروع أخرى

لم يكن اللغويون هم العلماء الوحيدون الذين اهتموا بعلم الدلالة ، بل اعتنى به ـ على وجه الخصوص ـ الفلاسفة وعلماء النفس . ويمكننا رسم خط واضح بين الاتجاه اللغوي لدراسة علم الدلالة والاتجاه الفلسفي أو النفسي ، والإشارة إلى بعض الجوانب التي يختلفان فيها .

غير أن هناك تداخلاً كبيراً بين الاتجاه الفلسفي والاتجاه اللغوي نحو المعنى ، وكثير مما قاله الفلاسفة ـ خاصة في السنوات الثلاثين أو الأربعين الماضية ـ له أهمية عند اللغويين . أما مجالات الاختلاف فنستطيع أن نحدد بعضاً منها :

أولاً : إن اللغوي ليس ـ أو يجب ألّا يكون ـ معنياً أساساً بالنظم المثالية من ذلك النوع الموجود في بعض الدراسات المنطقية ، فإن عروض المناطقة تدور حول القياس المنطقي البسيط نسبياً : «كل إنسان فان» . «سقراط إنسان» . «إذن سقراط فان» ، طبقاً لما ورد في «التركيب المنطقي» البالغ التعقيد عند كارناب Rudolph Carnap . إن الشيء المشترك بينها هو أنها لا تؤسس على لغة يمكن ملاحظتها ، وإنما هي أساساً نماذج منسجمة ومترابطة داخلياً ، من نوع مثالي يشبه نماذج الرياضيات . ففي الرياضيات ـ بالطبع ـ تمييز بين «النظري» و«التطبيقي» ، لكن هناك دليلاً على التطبيق الممكن للنظم المنطقية على اللغة ، ولا بد أن يكون اللغوي بحق نزّاعاً إلى

الشك في الحديث عن «الأساس المنطقي للغة»[1] . وسوف نناقش ـ في الفصول الأخيرة ـ بعض الاتجاهات المنطقية أو شبه المنطقية . لكن علينا دائماً أن نستبقي تحفظات على الدرجة التي يمكن لمثل هذه الاتجاهات أن تصل إليها .

ثانياً : لا بد من وضع تمييز بين العلم وفلسفة العلم ، وهنا ستختلف اتجاهات العالم والفيلسوف على نحو كبير . وقد نجد لذلك مثالاً لافتاً للنظر في «ميكانيكا الكمّ quantum mechanics» ، فإنه من الممكن تقرير أن الإلكترون يكون «إما في الموقع أ وإما في الموقع ب» ، ومع ذلك لا نستطيع أن نسأل ـ حتى من حيث المبدأ ـ أي الموقعين يشغل ، سواء كان في أ لا ب ، أو في ب لا أ . وبالمثل يمكن القول بأن الإلكترون شق حاجزاً من الفتحتين أ وب ، وأنه مرّ من خلال أ أو ب ، لكن لا يجوز أن نسأل : أي فتحة مرّ خلالها ، أو أن نقول إنه إذا لم يمر خلال أ فلا بد أن يكون قد مر خلال ب ، والعكس بالعكس . إن هذا قد يبدو للشخص «العادي» مسألة أمور غير اعتيادية ، لكن لا فائدة ـ بالنسبة له ـ في أن يسأل العالم : كيف يمكن أن يحدث هذا ؟

إن العالم سوف يجيب ـ حسب ـ بقوله : «إنه هكذا» . ولو اضطر فلن يفعل أكثر من أن يشرح بالرموز والبراهين المناسبة لماذا يعتبر عباراته حقيقية . إن ما يريده الشخص «العادي» بالطبع ليس تبريراً علمياً ، لكنه يريد تفسيراً للإطار العام الذي تصاغ داخله التعبيرات العلمية . إنه قد يسأل : «أي معنى تفيده بقولك مثل هذه الأشياء ؟» ومن أجل الوصول إلى إجابة عليه ألّا يتجه إلى العلم ، بل إلى فيلسوف العلم الذي سيحاول أن يشرح طبيعة النظرية العلمية بوجه عام ، وطبيعة «النموذج» المحدد لميكانيكا الكم . ومما نجدر الإشارة إليه أن هنا نوعين من التفسير ؛ **فأولاً** : العالم يشرح موضوعات

(١) عن ربط القدماء بين اللغة والمنطق ، والنظرة الحديثة لذلك . (انظر د. إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ١٣٢ ـ ص ١٣٨ (المترجم) .

دراسته عن طريق تقديم قواعد علمية لها ، وثانياً : الفيلسوف يشرح كيف يمكن فهم التفسيرات العلمية ذاتها .

إن التمييز بين العلم وفلسفة العلم في اللغويات أقل سهولة ، ذلك لأن «الحقائق دقيقة للغاية بحيث لا يمكن ملاحظتها أو إدراكها ، خاصة في مجال علم لادلالة . حقاً إن ما نعتبره حقائق سوف يعتمد ـ إلى حد بعيد ـ على الإطار ، أي النموذج الذي نضعها داخله . لكن التمييز لا يزال جديراً بالحفظ في العقل ، لأنه ليس سهلاً أن نحدد النموذج أولاً ، ثم نقرر الحقائق داخله، فضلاً عن محاولة صياغة تعبيرات تجريبية أولاً ثم تأمل نوع النموذج المستخدم . حقاً لقد نتج كثير من الجدل حول هذا الموضوع من الاقتراب من مسائل علم الدلالة بهذه الطريقة .

وطبيعي أن توجد نقطة التقاء إذا ما بدأ عالم بنموذج ، وعالم آخر بنموذج آخر ، وعلى نحو حاسم يحاول كلاهما أن يرى ما يمكن أن يقال أولاً ، ومن ثم ـ فقط ـ يبني نموذجه ، خاصة ـ وعلى سبيل المثال ـ أن هناك خطأ في النموذج الدلالي الذي يستبعد استخدام اللغة في سياق [1] (انظر الباب الخامس) .

ولقد عالج علماء النفس علم الدلالة بأساليب عدة . وممن عالجوه «موريس Charles Morris» وذلك في كتابه : «Signs, language and behavior» الذي نشر عام ١٩٤٦ . وقد اهتم موريس في هذا الكتاب بالعلامات وما ترمز إليه أو تدل عليه ؛ فمثلاً إذا دربنا كلباً على أن يتوقع الطعام عند دوران جهاز شبيه بالجرس الكهربائي ، فإن الطعام «يرمز إليه» بالجهاز (رغم أنه إذا لم يتوافر الطعام فلن يرمز إليه ، بل يكون «مدلولاً عليه» ليس غير) . وسوف نعود لمناقشة هذا الاتجاه «السلوكي behaviourist» للمعنى بالتفصيل فيما بعد (انظر الفصل الثالث من الباب الثالث) . ويكفي

(١) عن نظرية السياق ، وتقسيم السياق ، وآراء علماء الغرب فيه (انظر د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص ٦٨ ـ ٧٨) . (المترجم) .

هنا أن نشير إلى أن موريس يقارن مثال الكلب/ الطعام بالرجل الذي يمنع سائقاً من السير في طريق حيث يوجد انهيار في الصخور عند منحدر . فهنا كلمات الرجل هي «العلامة sign» ، والانهيار هو ما «يرمز إليه denoted» ، وحالة كونه منهاراً في هذا المكان هي «المدلول عليه signified» . لكنني أرى أن تعيين استخدام الكلمات : «sign — denote - signify» هنا صعب مع استخدامها في مثال الكلب وطعامه .

وهناك اتجاه مختلف تماماً ، وأقل وثاقة بالموضوع ، نجده في كتاب : «The measurement of meaning» الذي ألفه «أوزجود C. E. Osgood ، وسوسي G. J. Suci ، وتاننبوم P. H. Tannenbawm» . وحاولوا فيه أن «يقيسوا» معنى كلمات مثل : «أب Father» بالنظر إلى «المجال» الدلالي ، هذا المجال الذي يحدد بالنظر إلى عشرين سؤالاً مثل الأسئلة الفضولية quiz : أهو سعيد أو حزين ؟» ، «أهو صلب أو ناعم ؟» ، «أهو بطيء أو سريع ؟» . وقد رُسمت النتائج بيانياً ، لكن من الواضح أن هذا يخبرنا بالقليل عن المعنى بوجه عام . إنه قد يقول شيئاً عن المعنى «الانفعالي emotive» أو «التضميني connotational» (أنظر الفصل الرابع من الباب الثاني) مثلما أن «السياسي politician» سوف يعتبر أدنى و«رجل الدولة stateman» أعلى في ميزان الحسن والرديء ، لكن هذا هو كل شيء . وهناك بالطبع أساليب عدة يستطيع بها علماء النفس أن يلاحظوا ردود أفعال الناس بالنسبة لمواد لغوية متنوعة ـ الكلمات ، على سبيل المثال ـ ليقيسوا درجات التشابه والترابط . . . إلخ . ومع ذلك فإن اللغوي يشعر أنه مهتم بما يحدث بالفعل في حديث كل يوم أكثر من اهتمامه بالحالات «الاصطناعية المتكلفة» في الاختبارات النفسية ؛ لأنه حتى لو كان للموضوعات رد فعل بأساليب معينة ، فكيف يرتبط هذا باستعمالها العادي للغة ؟ إننا قد نرى ـ لأول وهلة ـ في نظرية الاتصال communication اتجاهاً واعداً ، له نظام مختلف تماماً . ففي هذه النظرية أفكار عدة مألوفة وواضحة فنياً . فنظام

الاتصـال ينقل «المعلومـات» ، ويمكن الحكم على النظام طبقـاً للكفاءة التي ينقـل بها المعلومـات ، وخاصـة أنه نـظام كاف ، فيـه حد أدنى من الـوفرة . Redundancy (أي أجزاء الرسـالة التي يمكن أن تنـزع دون فقد أيـة معلومة) وحـداً أدنى من الضـوضـاء Noise (أي شيء ـ على الإطـلاق ـ يتعـارض مـع الإرسـال) . وفي اللغة كثيـر من الوفـرة أو الحشـو ، وكثيـر من الضـوضـاء . ولنأخذ مثـالاً توضيحيـاً بسيطاً للوفـرة في اللغة المكتـوبة : لـو غطينـا النصف الأسفل من خط الصحيفة فإن الخط سيظل يُقـرأ . والضوضـاء قد تكـون فقط ضوضاء بالمعنى العادي ، لأن هذا يتعارض مع الاتصال ، غير أنها يمكن أن تكون كذلك فقداناً للتردد العالي على التليفون أو الراديو ، التلفظ الـرديء أو الخط الـرديء ، أو ـ في المثـال السـابق ـ تغـطيـة النصف الأسفـل من خط الصحيفة . وفي الواقع يجب أن تكون هنـاك وفرة لـو أمكن أن تظل الـرسالـة مفهومة عندما يكون هناك ضوضاء . أما في علم الدلالة فالضوضاء قـد تكون من تنـاقضات بين فهم المتكلم وفهم السـامع ـ لأن هـذا سوف يتعـارض مـع إرسال المعلومات . لكن هذه النظرية لن تساعدنا كثيراً في علم الدلالة ، لأن المعلومـة بـالمعنى الفني ليست معنى meaning . وليس مـا يعنينـا في علم الدلالة هو تأثير إرسال المعلومات ، وإنما الـذي يعنينا ـ على وجـه الدقـة ـ ما يقصـد بهذه المعلومـات . إن الإنسان المتكلـم ـ بخـلاف نظام الاتصـال ـ لا ينقل الرسالة حسب ، بل يبتدعها أيضاً . ونحن لا نستـطيع حتى أن نبـدأ في الحديث عن المعلومات بهـذا المعنى الدقيق ، لأننـا لا نستطيـع أن نقيس أو نحدد ـ بدقة ـ ما «يُرسل» .

الباب الثاني
مجال علم الدلالة

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ التسمية .
٢ ـ التصورات .
٣ ـ الفهم والإشارة .
٤ ـ أنواع المعنى .
٥ ـ الكلمة وحدة دلالية .

الباب الثاني
مجال علم الدلالة

The scope of Semantics

سأحاول في هذا الباب أن أوضح الطريق لبحث جوانب متنوعة من علم الدلالة ، وذلك عن طريقين : أولاً : مناقشة رأيين من الآراء غير المقنعة عن علم الدلالة ـ رغم كونهما مقبولين ظاهرياً ـ ثم صرف النظر عنهما لأنهما لا يوفران حلاً للمشكلات الدلالية . وثانياً : محاولة إظهار بعض الفروق الأكثر أهمية والتي لا بد من إظهارها .

الفصل الأول

التسمية

Naming

ذكرنا في فصل سابق أننا نفكر في اللغة باعتبارها نظام اتصال بالدالّ من ناحية ، وبالمدلول من ناحية أخرى . لكن المشكلة الأساسية هي تعيين طبيعة هذين وعلاقتهما .

من الآراء القديمة ما نجده في محاورة أفلاطون ـ كراتيلس ، من أن الدالّ هو كلمة في اللغة ، والمدلول هو شيء في الحياة يرمز إلى stands for ، أو يشير إلى refers to ، أو يدل على denotes (سوف أستخدم هذه الكلمات دون تمييز ، رغم أن بعض العلماء يرى أن في الإمكان وضع تمييز ذي فائدة) ، بمعنى أن الكلمات هي «أسماء names» أو «نعوت labels» للأشياء . وهذه فكرة جذابة ـ ظاهرياً ـ لأنه صحيح أن الطفل يتعلم كثيراً من كلماته ـ على وجه الدقة ـ عن طريق عملية «التسمية» . إنه غالباً ما يأخذ أسماء الأشياء عن طريق أبويه ، ومحاولته الأولى في اللغة سوف تشمل قول «da da» عندما يرى أباه ، أو إطلاق اسمه على القطار ، الأتوبيس ، القطة . . إلخ ، عند رؤية الأشياء المعنية في حياته الحقيقية أو في كتاب .

ومع ذلك هناك صعوبات تكتنف هذا الرأي . فبداية يبدو أنه ينطبق فقط على الأسماء ، حقاً إن النحو التقليدي غالباً ما يعرّف الإسم بأنه متميز عن الصفة والفعل والحرف . . . إلخ ، وباعتباره «اسم شخص أو شيء» . ومن الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ توسيع نظرية التسمية هذه لتشمل

أجزاء الكلام الأخرى . من الممكن - بلا شك - أن ننعت الألوان، كما نفعل في جداول الألوان ، وبالتالي فقد ننظر إلى المفردات الدالة على اللون (الصفات) باعتبارها أسماء . لكن هذا ليس معقولاً على الإطلاق بسبب معظم الصفات الأخرى . ولقد استخدمت - من بداية هذا الفصل - الصفات : «مبكر - جذاب - حقيقي - وثيق الصلة - تقليدي - صعب - معقول» . فكم من هذه يمكن أن يستخدم نعتاً يحدد الشيء الذي نشير إليه ؟ إن الفكرة تتضح أكثر مع الأفعال ؛ فمن المستحيل - عملياً - أن نحدد ما «يُسمَّى» بفعل ، حتى لو أخذنا فعلاً مثل «يجري run» وحاولنا أن نوضحه (عن طريق صورة غير متحركة أو متحركة) بولد يجري ، فلن نجد طريقة واضحة نستطيع بها أن نعزل الجزء «الجاري» منها . أما مع الإسم فنستطيع غالباً أن نرسم صورة للموضوع الذي نشير إليه . لكن هذا شيء صعب ، إن لم يكن مستحيلاً ، مع الأفعال . ولهذا دعنا نتأمل الفعل «يجري» ومحاولة توضيح ما يشير إليه بصورة ولد يجري . وهناك صعوبتان تظهران للعيان (حتى لو كنا أمام صورة متحركة) : فأولاً : إن هذا لا يعرض علينا «ولداً» و«جرياً» كلاً على حدة . ونحن نحتاج إلى طريقة متكلفة بعض الشيء لفصل الإثنين . وثانياً : حتى لو وصلنا إلى هذا الحد ، واستطعنا أن نميز بين الولد وما «يفعله» ، فمن الصعب جداً أن نحدد بالضبط الصفات الأساسية لما يرمز إليه الفعل ، بالمقارنة بما يرمز إليه الإسم . وعلى سبيل المثال ، هل الجري يستخدم فقط حركة القدمين أو أن الذراعين يستخدمان أيضاً ؟ هل يشمل بالضرورة تغييراً في الوضع ؟ هل السرعة ذات صلة بالموضوع ؟ واضح أن ليس هناك شيء يمكن بسهولة أن يميّز ويعيّن على أنه «جرْي» . وواضح كذلك أن المشكلة صعبة مع الأفعال : «يتذكر - يحب - يرى» ، وأن أفكاراً مماثلة تتولى حروف الجر prepositions (على under - up) ، وحروف العطف والربط conjunctions (لمّا when - لأن because) ، في حين أن الضمائر pronouns (أنا - هو) تثير أيضاً مشكلات خطيرة ، لأنها ترمز إلى أشياء مختلفة في أزمنة مختلفة .

ومع ذلك هل يمكننا أن نبقى على نظرية التسمية ، أو نطبقها على الأسماء فقط ؟

بداية المشكلة واضحة في أن بعض الأسماء مثل «الحيوان الخرافي unicorn» ، «عفريت goblin» ، «جنيّ fairy» يرتبط بمخلوقات غير موجودة ، وبناء على ذلك فهي لا ترمز إلى أشياء في الحياة . والطريق الوحيد الذي يخرجنا من هذه الصعوبة هو أن نميز نوعين من الحياة ؛ الحياة الواقعية وعالم قصص الجان . لكن هذا ـ بالطبع ـ تسليم بأن هذه الكلمات ليست أسماء لأشياء ، ويجب أن نستخدم تفسيراً متكلفاً للطريقة التي نستطيع بها ـ عن طريق نوع من القياس ـ أن ننتقل من إعطاء أسماء لأشياء موجودة في الحياة إلى إعطاء أسماء لأشياء غير موجودة . إن تفسيراً مثل هذا ممكن ، لكن كلمات مثل هذه هي دليل على حقيقة أن الكلمات ليست مجرد أسماء لأشياء تدخل في نطاق ممارستنا .

وهناك أسماء أخرى لا تشير إلى موضوعات خيالية ، ولا تشير إلى أشياء مادية على الإطلاق ؛ فمثلاً نحن لا نستطيع أن نعين الأشياء التي تسمى بالكلمات : «حب ـ كره ـ إلهام ـ هراء» ، وعندما يتكلم النحويون عن الأسماء nouns على أنها أسماء أشياء نستطيع أن نسأل ما إذا كان «الحب ـ الكره . . إلخ» أشياء . فإذا مالوا إلى قول : «نعم ، لكنها أشياء مجردة» يصبح واضحاً أن السبب الوحيد لكونهم يرغبون في تسميتها أشياء أن لديهم أسماء مماثلة لها . ومن ثم يدور التعريف في حلقة مفرغة ، ما دامت الأشياء هي ما يسمى بالأسماء nouns (انظر الفصل الثاني من الباب السابع) .

وحتى حيث توجد أشياء مادية مماثلة ، فإن القضية ليست على الإطلاق أن المعنى مثل الرمز (الشيء الذي «يرمز إليه» أو يشير إليه) . ومن الأمثلة الشهيرة التي توضح هذه النقطة «نجم المساء the evening star ونجم الصباح the morning star» ، فهذان يمكن ـ بالكاد ـ أن يقال إن لهما المعنى

نفسـه ، وفوق ذلـك يشيران إلى شيء مفـرد ، هو الكـوكب فينوس Venus .
وبـالمثـل ، قـد نتـذكـر جلبـرت Gilbert وسـوليفـان Sullivan في : «The Mikado» ، حيث وقعت النعوت :

- وزير المالية . - أمير البحر .
- رئيس المحكمة . - قاهر كلاب الظباء .

ونعوت أخرى كثيرة تشير إلى الشخص الذي يتولى مناصب عدة .

وعـلاوة على ذلك هنـاك صعوبـة أخرى ؛ حقيقـة أننا حتى لـو قصـرنـا انتباهنا على الكلمات التي ترتبط بأشياء ندركها حولنا في الحيـاة ، فيبدو أنهـا غـالباً تـرمز إلى مجمـوعة أشيـاء مختلفـة بعض الشيء . فعلى سبيـل المثـال «الكراسي chairs» تظهر في أشكال وأحجام ، لكن ما الـذي يجعل كـل واحد منها كرسياً ، لا أريكة settee ، ولا كرسي مرحاض stool ؟

إن الخط الـذي يفصـل بين المفـردات المشـار إليهـا - في الغـالب - بكلمـة ، وتلك المشار إليهـا بأخـرى ، خط غير واضـح ، وقـد يكـون هنـاك تداخل ، فمتى يكون التل تلاً ، لا جبلاً ؟ أو متى يكون الجدول نهراً ؟

إن الأشياء في عالم التطبيق ليست مصنّفة إلى مجموعات بحيث تكـون في متناول اليد ، فنتكلم عنها هكذا وننعتها بكلمة مفردة . تلك هي المشكلة التي أقلقت الفلاسفة منذ عصر أفلاطون .

وقـد ظهر تفسيـران متكلفان ، ووضـاح أنهما غيـر مفيـدين ؛ أولهمـا : «الرؤية الواقعية realist»[1] ؛ أن الأشيـاء التي تسمى بالاسم نفسـه كلها لهـا خواص مشتركة - أن هناك نوعاً من الواقعية يحـدد ماهيـة الكرسي ، والتـل ، والبيت . ثانيهما : «الرؤية الإسميـة nominalist» [2] ؛ أن هذه الأشيـاء ليس

(١) ذهب بعض العلماء إلى أن بين اللفظ ومدلوله منـاسبة طبيعيـة حاملة للواضـع على أن يضع . (انظر : السيوطي في كتابه المزهر جـ ١ ص ٤٧ - ٥٥) (المترجم) .

(٢) الإسمية أو الإسمانيـة مذهب فلسفي يقـول بأن المفـاهيم المجردة أو الكليـات ليس لها وجـود حقيقي ، وأنها مجرد أسماء ليس غير . (المورد) (المترجم) .

لها خواص مشتركة إلا الإسم . وواضح أن الرؤية الثانية غير صحيحة لأننا لا نستخدم كلمة «كرسي» أو كلمة «تل» في الدلالة على أشياء مختلفة تماماً ؛ فالأشياء التي تسمى بهذا لها خواص مشتركة . أما الرؤية الأولى فليست أقل بطلاناً ؛ لأن الحياة حولنا ليس فيها تقسيمات «طبيعية» محددة للأشياء ، تنتظر فقط النعت الذي ينطبق عليها . إن جزءاً من مشكلة علم الدلالة هو تعيين التقسيمات الموجودة ، حتى ولو لم تكن هناك تفسيمات طبيعية ، قد نزعم أن هناك تقسيمات «كلية universal» ، تقسيمات شائعة في اللغات كلها . لكن الأمر ليس هكذا ؛ فتصنيف الأشياء بالنظر إلى الكلمات التي تستخدم في الدلالة عليها يختلف من لغة إلى لغة . ولو أخذنا على سبيل المثال الكلمات الإنجليزية : «كرسي مرحاض stool ، كرسي chair ، كرسي ذو ذراعين arm - chair ، مضجع كالسرير couch ، أريكة sofa» ، فلن نجد لها مكافئات دقيقة في اللغات الأخرى ، إن الكلمة الفرنسية «fauteuil» قد تبدو مساوية للكلمة الإنجليزية «arm - chair» ، لكن في حين أن وجود الذراعين ربما يكرن صفة أساسية في الكلمة الإنجليزية ، فإنه ليس بالضرورة كذلك في الكلمة الفرنسية . ولقد كانت هناك تأملات مشابهة للكلمات : «خزانة ذات أدراج للملابس والبياضات chest of drawers ، بوفيه sideboard ، خزانة ذات رفوف للكؤوس والأطباق cupboard ، دولاب wardrobe، خزانة ملابس tallboy . . إلخ» . كذلك فإن أنظمة اللون في اللغة تبدو مختلفة (وسوف نناقش هذا بتفصيل أكثر فيما بعد) ، رغم النظام «الطبيعي» الواضح لقوس قزح . إن كلمات اللغة غالباً لا تعكس حقيقة الحياة ، بل تعكس اهتمامات الأفراد الذين يتكلمونها . وهذا يتضح تماماً لو نظرنا إلى ثقافات مختلفة عن ثقافتنا . فقد تنبه العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي إلى أن سكان جزيرة «تروبرياند Trobriand» عندهم أسماء للأشياء التي كانت نافعة لهم في حياتهم اليومية ، والتي لم تماثل كلمات في الإنجليزية (انظر الفصل الثاني من الباب الثالث) . ولفت عالم أنثروبولوجي

آخر ـ هو «هـورف B. L. Whorf» ـ النظر إلى أن «الإسكيمو» عندهم ثلاث كلمات تدل على الجليد ، تعتمد على ما إذا كان ساقطاً أو باقياً على الأرض ، أو مستخدماً في بناء الأكواخ . لكن «The Hopi» يستخدمون كلمة واحدة فقط في الإشارة إلى «الطيار flier» أياً ما كان طائرة ، أو مرشداً ، أو حشرة (انظر الفصل الرابع من الباب الثالث) .

ومما يؤسف له أن المصطلحات الفنية العلمية يمكن أن تخدعنا لأننا غالباً ما نجد فيها تقسيمات طبيعية . فإذا ما ذهبنا إلى حديقة الحيوان ، وجدنا لكل مخلوق إسماً خاصاً ، ولا يمكن نعت مخلوق بطريقتين مختلفتين ، وليس بين الفصائل تداخل ؛ فالغوريلا هي الغوريلا ، والأسد هو الأسد . والشيء نفسه صحيح بالنسبة لأسماء الحشرات والنباتات ، وحتى المواد الكيميائية . لكن هذه التصنيفات العلمية لا تمثل التطبيق اليومي ؛ فمعظم الأشياء التي نراها لا تؤول ـ على نحو كامل ـ إلى فصيلة أو أخرى . فضلاً عن ذلك ، يجب ألاّ ننخدع فنعتقد أننا نستطيع ـ بل يجب علينا ـ أن نرتب مصطلحاتنا الغنية عن طريق تلمس نصح العالِم . إننا بالطبع ، وباعتبارنا مثقفين ومتعلمين ، سوف نتأثر بالمعرفة العلمية ، وقد نحجم تماماً عن تسمية الحوت سمكة ، والخفاش طائراً (ورغم ذلك لماذا لا تعني «السمكة» ـ ببساطة ـ «المخلوق الذي يسبح في الماء» ، و«الطائر» «الحيوان الفقاري الذي يطير» ؟) . غير أننا نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا . لقد حاول بلومفيلد أن يبرهن على أن «الملح» يمكن تعريفه على نحو واضح بأنه «كلوريد الصوديوم» ، أو NaCl . وكان مخطئاً في هذا . فالملح ، في اللغة المعتادة ، هو المادة التي تظهر على مناضدنا . ولن يكون أقل ملوحة إذا لم يكن تركيبه الكيميائي هو تركيب تعريف الكيميائيين . إن الملح بالنسبة لمعظمنا ينتمي إلى الفلفل والخردل ، اللذين لا يخضعان لأي وصف علمي بسيط ، ولا ينبغي للملح أن يخضع لمثل هذا الوصف في استعماله اليومي . واللغة المعتادة تختلف عن اللغة العلمية في حقيقة أن مصطلحاتها ليست

معرَّفة ، وفصائلها ليست محدّدة على نحو دقيق .

إن الطريقة الوحيدة الممكنة ـ التي تخرجنا من صعوباتنا ـ هي أن نقول إن «بعض» الكلمات بالفعل ترمز إلى أشياء ، وإن الأطفال يتعلمون بعضها على أنها نعوت . أما الباقي فيستخدم بطريقة مستمدة من الاستخدام الأساس . وهذا هو جوهر افتراض راسل Bertrand Russell الذي زعم أن الكلمة ذات نوعين : «كلمة عيانية object» و«كلمة قاموسية dictionary» . فالكلمات العيانية نتعلمها ظاهرياً ، أي عن طريق الإشارة إلى الأشياء . في حين أن الكلمات القاموسية لا بد من تُعرَّف بالنظر إلى الكلمات العيانية . ومن ثم فللكلمات العيانية تعريفات ظاهرية مزعومة .

إن كثيراً مما قلناه حتى الآن يظهر أن هذا لا يمكن أن يكون حلاً ؛ لأننا لكي نفهم تعريفاً ظاهرياً علينا أن نفهم ـ على نحو دقيق ـ ما الذي يشار إليه به . فإذا أشرت إلى كرسي وقلت : «هذا كرسي» ، فضروري ـ قبل كل شيء ـ أن أدرك أنني أشير إلى الشيء كله ، وليس إلى رجل من أرجله ، أو إلى الخشب الذي يصنع منه . وهذا قد يكون ثابتاً تماماً وبلا جدال ، لكن من الضروري أيضاً أن نعرف صفات الكرسي إذا كان للتعريف أن يحمل أي قيمة . فأي شخص لا يعرف ما الكرسي قد يفترض ـ من التعريف الظاهري ـ أن كرسي المرحاض stool أو الأريكة settee هو كرسي . إنه قد لا يكون حتى متأكداً مما إذا كانت كلمة كرسي تنطبق ـ بصورة متساوية ـ على المنضدة table ، ما دام التعريف الظاهري لا يثبت حتى نشير إلى كرسي بأنه شيء نجلس عليه ، فضلاً عن كونه قطعة أثاث . إن الإشارة إلى شيء في حد ذاتها تتضمن مطابقة الشيء ؛ تعيين الصفات التي نجعله كرسياً أو منضدة . إنه يتطلب فهماً متكلفاً ، وربما يتطلب حتى فهم التصنيف الكامل للغة المعنية . وكما علق الفيلسوف L. wittgenstein قائلاً : «يجب أن أكون سيداً للغة حتى أفهم التعريف الظاهري» . ولنعد إلى الطفل . فواضح تماماً أنه لا يتعلم ـ حسب ـ أسماء الأشياء ، لأنه إن فعل فلن يكون قادراً على أن

يلمس التعقيدات التي نناقشها كلها . وفوق كل شيء ، فإن تعلُّم لغة ليس هو مجرد تعلم : «هذا هو . . . » ، حتى دون أن يقول «كتاب» عندما يرى كتاباً . إننا لن نحل مشكلات علم الدلالة بالنظر إلى طفل يتعلم لغة ؛ لأن فهم ما يفعله يثير المشكلات التي يثيرها فهم ما يفعله البالغون في كلامهم العادي نفسها . لقد تكلمنا في هذا الفصل ـ حتى الآن ـ عن معنى الكلمات . لكن علينا أن نناقش معنى الجمل كذلك (الباب السادس) . ويكفي أن نشير هنا إلى أن تطبيق نظرية التسمية على الجمل ليس أكثر قبولاً من تطبيقها على الكلمات . فنحن لا نستطيع أن نربط بين معنى جملة وأشياء وأحداث في الحياة على نحو مباشر . إن الرؤية الأقوى التي تربط بين جمل وأشياء وأحداث فعلية مثل جملة : «There is a horse on the lawn» التي تعني أن على المرج حصاناً ، يتعذر الدفاع عنها ؛ لأننا نستطيع أن نكذب أو نخطىء (قد لا يكون على المرج حصان) . أما الرؤية الأضعف فهي التي تنظر إلى المعنى باعتبار الشروط التي تصحّ بها الجملة . وبالتالي فإن معنى «على المرج حصان» يقرر بالنظر إلى «شروط الصحة truth conditions» شاملة نوعاً معيناً من الحيوان يوجد في وقت محدّد على منطقة عشب معدة خصيصاً . لكن هذا يأخذنا إلى حيث لا مكان ، لأن شروط الصحة يمكن تقريرها بسهولة بالكلمات نفسها ما دامت جملة «على المرج حصان» صحيحة إذا كان هناك حصان على المرج (على طريق التبادل «على المرج حصان» تعني «على المرج حصان») . إن تكرار المعنى واضح ؛ فنحن لا نقول شيئاً على الإطلاق . ومع ذلك فإن وضع شروط الصحة في كلمات أخرى ، أي إعادة الصياغة paraphrasing أو الإتيان بجمل مرادفة ، بالنظر إلى «فرس من ذوات الأربع» لا يساعد ، إنه يستغل بعض العلاقات الدلالية داخل اللغة فقط (بين «حصان» ـ «فرس» ـ «من ذوات الأربع») ويعجز تماماً ـ مثلما حدث مع نظرية التسمية الخاصة بالكلمات ـ عن تحديد المعاني بالنظر إلى أشياء خارجية وأحداث .

الفصل الثاني

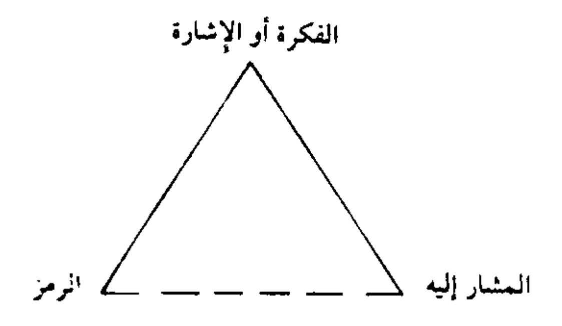
التصورات

Concepts

الرؤية التي كنا ننقدها تربط بين الكلمات والأشياء على نحو مباشر . وهناك رؤية تبدو لأول وهلة أكثر تكلفاً ، وأكثر قبولاً ، هي تلك التي تربط بينهما من خلال توسط مفاهيم العقل . هذه الرؤية يعرضها بكل عناصرها بعض الفلاسفة واللغويين منذ عصور قديمة حتى وقتنا الحالي . ومن الروايات المشهورة نظرية «العلامة sugn» عند دي سوسير ، و«مثلث العلامات semiotic triangle» عند أوجدن وريتشاردز .

أما دي سوسير فالعلامة اللغوية عنده تتكون من دال ومدلول ؛ هما ـ على نحو دقيق ـ صورة صوتية sound image وتصور concept ، وكل منهما يرتبط برباط نفسي متعلق «بتداعي المعاني associative» . بمعنى أن كلًّا من الأصوات التي نطلقها والأشياء التي توجد في الحياة ونتحدث عنها ، تعكسها ـ على نحو ما ـ كيانات تصورية .

وأما أوجدن وريتشاردز فالعلاقة عندهما على هيئة المثلث :



«فالرمز» بالطبع هو العنصر اللغوي ، أي الكلمة والجملة . . إلخ ، و«المشار إليه» هو الشيء الموجود في عالم التطبيق ، في حين أن «الفكرة أو الإشارة» هي التصور . وطبقاً لما تقوله النظرية ليست هناك صلة مباشرة بين الرمز والمشار إليه (أي بين اللغة والحياة) . أما الصلة فتكون عن طريق الفكرة أو الإشارة ، أي عن طريق تصورات عقولنا . إن هذه النظرية تتجنب كثيراً من مشكلات التسمية ـ التصانيف ؛ فعلى سبيل المثال إنها ليست في حاجة إلى أن تكون طبيعية أو كلية ، وإنما هي تصورية حسب . غير أنها تثير أيضاً مشكلة جديدة خاصة بها ، عن المقصود بالعنصر «المتعلق بتداعي المعاني» الذي قال به دي سوسير ، أو الصلة بين الرمز والتصور التي افترضها أوجدن وريتشاردز .

وأبسط الإجابات عن هذا السؤال أن نقول : إنه نفسي ؛ ذلك أننا عندما نفكر في الإسم نفكر في التصور ، والعكس بالعكس ، أي إن المعنى يتكون من قدرتنا (وممارستنا) على ربط أحدهما بالآخر ؛ قدرتنا على تذكر أن كلمة «كرسي» تشير إلى تصور «الكرسي» . وهذه الرؤية غير مقنعة بالمرة ؛ إذ ليس واضحاً ماذا يُقصد «بالتفكير في تصور» . لقد زعم بعض العلماء أننا حين نتحدث عن الكراسي تكون لدينا صورة ما عنها . غير أن هذا ـ بالتأكيد ـ غير صحيح . فأنا أستطيع أن أتصور كرسياً في «خيالي» ، لكنني لا أفعل هذا في كل وقت أنطق فيه بكلمة «كرسي» . وإن كان هذا جزءاً ضرورياً من الحديث ، فسوف يكون من المستحيل أن أحاضر عن علم اللغة ؛ فما الذي سوف أتخيله ؟

إن المشكلة تتحول مرة أخرى إلى مشكلة أسماء وأشياء . وربما يكون أكثر قبولاً أن نذهب إلى أن المقصود هو أنني أربط نطقي لكلمة «كرسي» بنوع من التصور المجرد . غير أن هذا لن يساعدنا أيضاً ؛ فما التصور المجرد ؟ ما لون هذا الكرسي ؟ ما حجمه أو شكله ؟ . وعلى أي حال لا يجب أن نهتم بما يحدث في كل مناسبة ، وإنما نهتم بالسؤال العام عن معنى

«كرسي» . وباعتباري عالم صوتيات يجب ألاّ أهتم بالنطق الدقيق لكلمة «كرسي» إلاّ على أنها مادة لكثير من التعبيرات العامة لعلم الأصوات phonetics وعلم وظائف الأصوات phonology [1] . وبالمثل ، باعتباري عالم دلالة أريد أن أعرف المعنى العام لكلمة «كرسي» ، وليس ما قد أفعله أو لا أفعله كل وقت أنطق فيه هذه الكلمة . وكما قلنا سابقاً لسنا معنيين بمعنى النطق .

ومن الروايات الأكثر تكلفاً تلك التي تنظر إلى الصلة لا باعتبارها شيئاً نفعله كل وقت نستخدم فيه الكلمة ، بل باعتبارها نوعاً من الربط الدائم المخزون في العقل أو في المخ . وصعوبة هذه الرؤية أنها حقيقة لا تقول شيئاً على الإطلاق ؛ إذ كيف نستطيع ـ حتى من حيث المبدأ ـ أن نثبت ما التصورات ؟ ليست هناك طريقة واضحة نستطيع بها أن ننعم النظر في عقولنا لنتعرف عليها ، ولا يزال طريق البحث في عقول الآخرين غير مكتمل . وفي الواقع إن كل ما تفعله هذه النظرية أن تعين ـ في مكان يتعذر بلوغه ـ الكيانات entities التي هي ـ على سبيل التعريف ـ صور عاكسة للكلمات التي يفترض توضيحها . وحيثما توجد كلمة سيكون هناك تصور ، وسيكون هذا التصور هو «معنى هذه الكلمة» . وهذا ـ على نحو واضح ـ تعريف دائري للمعنى يدور في حلقة مفرغة . إنه يتضمن ما نسميه ـ عادة ـ برهان «الشبح الموجود في الآلة a ghost in - the - machine» ، فنرغب في أن نوضح عمل الماكينة ونعرض تفسيراً إجمالياً بكلمات حرفية ، لكن بالنسبة لشخص يقوم عمله على الافتراض فهذا ليس كافياً ؛ ذلك أنه لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن لهذه الماكينة أن تدور دون أن يكون بداخلها شبح لا جسد له ولا روح . إن مثل هذا البرهان يفسّر الظواهر عن طريق إقامة كيان يكون وجوده مبرَّراً ـ كلية ـ باعتباره الشيء الذي «يشرح» الظواهر .

ولقد عرف العلم أمثلة كثيرة من هذا النوع في تاريخه الطويل . فقد فسر

---

(١) ترجمة هذا المصطلح عن د. كمال بشر: علم اللغة العام ـ الأصوات ص ٦٩ (المترجم) .

العلماء ـ ذات مرة ـ النار عن طريق افتراض وجود مادة «البلوجستون phlogiston»[1].

إننا بالطبع لا نستطيع أن ندحض وجود مثل هذه الكيانات ، لكننا نستطيع أن نشير إلى أنها لا تفسّر شيئاً على الإطلاق ، وبالتالي لن نصل إلى شيء بالبرهنة بها .

وربما يكون من الضروري أن نشير ـ كما فعلنا مع التسمية ـ إلى أن الجملة لا تعرَّف ـ على نحو مرض ـ بالنظر إلى التصورات ـ فضلاً عن الكلمة . فلا الرؤية البسيطة ولا أكثر تعقيداً للنظرية يمكن أن يفيد على الإطلاق . فمن المؤكد أنني عندما أقول : «على المرج حصان» لا يكون هناك سبب لافتراض أنني «أفكر» ـ بالفعل ـ في تصور ، في حين أن التعريف بالنظر إلى تصورات أكثر تجريداً وسرمدية هو ـ مرة أخرى ـ لا يقول شيئاً على الإطلاق ، لكنه فقط يفسّر المعنى عن طريق صورته العاكسة ، المفترض وجودها في مكان متعذر بلوغه .

غير أن الشيء المؤسف أن كثيراً من اللغويين ـ اليوم ـ يقبلون ـ كلياً أو جزئياً ـ الرؤية التصورية للمعنى . وقد نشأ هذ عن «عقلانية mentalism» جديدة ارتبطت باسم تشومسكي وأتباعه الذين أكدوا . على وجه الخصوص ـ أن الحدس intuition والاستبطان introspection لا بد أن يلعبا دوراً كبيراً في دراستنا للُغة . فإننا حين ننظر إلى المعنى باعتبار الكيانات العقلية المسماة بالتصورات ، يكون هذا إجراء غير كاف ، وربما لا يمكن اجتنابه . غير أننا لا بد أن نرفض هذا ، لأسباب ثلاثة : فأولاً ، اعتراض «الشبح الموجود في الآلة» اعتراض ساحق ، ولا شيء يقال بردّ المعنى خطوة واحدة إلى المخ أو العقل . وثانياً ، حتى لو كانت في العقل تصورات فهي ـ من حيث المبدأ ـ لا يبلغها إلّا الفرد . وهنا نبقى أمام رؤى ذاتية تماماً ؛ فأنا لا أستطيع أبداً أن أعرف «المعاني الخاصة بك» . (وبالطبع إذا توصلنا إلى معرفة كيفية فحص المخ علمياً واستطعنا تفسير اللغة في بنية خلايا المخ ، فقد تتغلب على

(١) هي مادة كيميائية وهمية كان يعتقد ـ قبل اكتشاف الأكسجين ـ أنها مقوم أساسي من مقومات =

هـذين الاعتراضين بهـذه الوسيلة ، غيـر أننا بعيـدون ـ قرونـاً ـ عن مثل هـذه المعـرفـة) . وثـالثـاً ، إن الجـدل حـول الحـدس والاستبـطان غيـر ذي صلة بـالموضـوع . إذ نستطيـع أن نستبطن ، ونسـأل أنفسنا أسئلة حـول لغتنا دون انتظار لمعلومات معتمدة على التجربة ، أو بيانات فعلية ، أو نصوص . لكننا حين نفعل مثل هذا لا نتعلم الكثير عن لغتنا أو عن بنيتها ، بـل نقدم لأنفسنـا ـ حسب ـ أمثلة أكثـر من لغتنا . وكمـا قال فيـرث : «إننا نـذهـب لنصـطاد في بركتنا». إن «ما لا نفعله» عن طريق هـذه العملية هـو تعيين القواعـد الصوتيـة والنحوية للتراكيب ، وهذا يأتي من فحص كثير من المعلومات والمقارنـة بينها (حتى لـو كانت المعلومـات كلها مستبـطنة) . والشيء نفسـه لا بد أن يكـون صحيحاً بالنسبـة لعلم الدلالـة ، وينتج عن هـذا أننا يجب ألّا نعتقـد أن هناك تصورات يمكن اكتشافها لو نظرنا في المكان الصحيح . وربمـا يكون جـديراً بـالتأمـل أن العلماء لـو استمروا في الاعتمـاد على «السبب reason» (أي في البحث عن إجابات لمشكلاتهم وعملياتهم العقلية الخاصـة داخل أنفسهم) ، فضلاً عن «الملاحظة obsevation» ، فسوف نظل نبحث عن حجر الفيلسوف كي نحوّل الرصـاص إلى ذهب ، فضلاً عن أن نكـون على حافـة النجاح من خلال علم الطبيعة النووية . ومما تجدر الإشارة إليه في ختام هـذا الفصل مـا يعرف «بالثنائية Dualism» ؛ الرؤية اللغوية التي وصفنـاها هنـا ، وفي الفصل السـابق ـ التي تـرى المعنى على أنـه جـزء من عـلاقـة الـدال / المـدلـول ، يساعدها مصطلح «المعنى meaning» نفسـه ويساعـدها القـول بأن الكلمـات و(الجمل) لها معنى have meaning ، لأنه لو كان كذلـك لكان من المنـطق أن نسأل عن أنواع الكيان الذي يتخذه المعنى ، وأن نبحث عنه إما في الحياة وإمـا في عقول النـاس . لكن أن تقول «إن للكلمـة معنى» ليس كقولـك «إن للناس أرجلاً» أو «إن للأشجار أوراقاً» . إننا ننخدع بالفعل «have» بسهولـة ، والواقع أن «المعنى» هو اسم noun نبحث فيه عن شيء يكون هو المعنى .

* الأجسام الملتهبة (المورد) . (المترجم) .

كلنا يعرف في التطبيق ما المقصود بأن للكلمة معنى . ومعرفة معنى الكلمة يعني أننا نستطيع أن نقوم بعدد من الأشياء ؛ نستطيع أن نستخدمها على نحو دقيق ؛ نستطيع أن نشرحها للآخرين عن طريق وإعادة الصياغات أو عن طريق المترادفات . لكن هذا لا ينتج عنه وجود كيان هو المعنى أو مجموعة من الكيانات هي معنى الكلمات . وأن تعني الكلمة شيئاً فهذا شبيه ـ إلى حد ما ـ بفكرة أن لافتة في الطريق تشير إلى مكان ما ؛ إننا نستطيع أن نفهم معنى الكلمة على نحو تام مثلما نستطيع أن نقرأ اللافتة . لكن من غير المعقول أن نسأل ما هذا الذي تعنيه الكلمات ، إلاّ أن نسأل ما هذا الذي تشير إليه اللافتات . بمعنى أنه ليس معقولاً أن نسأل ـ «بوجه عام» ـ عما تعنيه الكلمات أو عما تشير إليه اللافتات . إن المعقول فقط هو أن نسأل : ماذا تعني (هذه) الكلمة ؟ وما الذي تشير إليه (هذه) اللافتة ؟

إذن فمشكلة علم الدلالة ليست ـ ولا يمكن أن تكون ـ هي البحث عن كيان محيِّر يسمى «المعنى» . إنها بالأحرى محاولة لفهم كيف يمكن لهذه الكلمات والجمل أن «تعني» على الإطلاق ، أو ربما على نحو أفضل ، كيف يمكنها أن تكون «ذات معنى meaningful» . ولو كنا نتحدث عن «لها معنى having meaning» ، فإن هذا يشبه الحديث عن «لها طول having length» . وكونها «لها طول» يعني وجود أقدام أو بوصات كثيرة طويلة ؛ فالطول ليس شيئاً أكثر من هذا . وبالمثل، إن المعنى ليس هو الكيان الذي «تملكه» الكلمات أو أي كيانات لغوية أخرى، بأي معنى حرفي لكلمة «تملك having».

قال Wittgenstein ؛ «لا تبحث عن معنى كلمة ، ابحث عن استخدامها» . وهذه ليست ملاحظة مفيدة لأننا ربما لا نكون واثقين من «استخدام» كلمة أكثر من ثقتنا من معناها . لكن ما له قيمة هو أننا نستطيع أن نفحص الاستخدام ، ومن المحتمل أن نكون أقل تفكيراً في الاستخدام على أنه الشيء الذي «تملكه» الكلمات بأي معنى حرفي ، وأقل احتمالاً لتضييع وقتنا في محاولة الكشف عنه على نحو دقيق .

الفصل الثالث

الحس والإشارة

Sense and reference

لقد استخدمت مصطلح «الإشارة» في الحديث عما ترمز إليه الكلمات denotation في الفصل الأول من هذا الباب ولهذا المصطلح استخدام مفيد أيضاً ، لكنه أوسع ، يتغاير مع مصطلح «الحس sense» ، للتمييز بين وجهين للمعنى مختلفين تماماً ، رغم ارتباطهما .

تعالج «الإشارة» العلاقة بين العناصر اللغوية ؛ الكلمات ، الجمل . . إلخ ، وعالم التطبيق غير اللغوي . أما «الحس» فيختص بالنظام المعقد من العلاقات التي تنعقد بين العناصر اللغوية نفسها (وهي في غالب الأحيان الكلمات) ؛ فهو معنيّ فقط بالعلاقات اللغوية الواقعة داخل اللغة intra — linguistic .

وقد يبدو معقولاً أن نزعم أن علم الدلالة معنّي فقط بالطريقة التي نربط بها لغتنا بممارستنا ، وأن نقول كذلك إن الإشارة عنصر أساسي في علم الدلالة . ومع ذلك فإن «الارتباطات الحسية sense relationships» شكّلت جزءاً مهماً من دراسة اللغة . ولذلك تأمل الكلمتين : «خروف ram» و«شاة ewe» ، إنهما تشيران ـ من ناحية ـ إلى أنواع محددة من الحيوان ، وتستمدان معنييهما بهذه الطريقة . غير أنهما تنتميان أيضاً إلى «عينة» في الإنجليزية تشمل : «ثور bull/ بقرة cow ، خنزير boar/ خنزيرة sow . . إلخ . وقد عالج النحو في العصور الماضية هذا باعتباره جزءاً من علم النحو ، لأنه كان

يرتبط ـ على نحو واضح ـ بالنوع sex ، وكان النوع يُتصوّر على أنه مسألة جنس gender (لأن النوع والجنس مرتبطان ـ إلى حد ما ـ في اللاتينية) . غير أن هناك أنواعاً أخرى من الكلمات المرتبطة مثل : «بطيطة / بطة ، خنوص [1]/ خنزير» (بما في ذلك الكبير والصغير) أو مثل : «ابن/ أب ، ابن أخ/ عم» (بما في ذلك العلاقات الأسرية) ، ولا نظن ـ عادة ـ أن هذه أنواع نحوية ، بل هي على الأصح جزء من «البنية الدلالية» للإنجليزية . كذلك هناك أنواع أخرى، كثيرة من «الارتباطات الحسية» كتلك التي تمثلها الكلمات : «واسع/ ضيق ، مؤنث/ مذكر ، يبيع/ يشتري» ، وسوف نناقش هذه العلاقات على نحو مفصل فيما بعد .

إن المعجم يهتم ـ عادة ـ بالارتباطات الحسية ؛ يهتم بربط بكلمات ، رغم أن معظم المعجمات تعرض مثل هذه العلاقات بطريقة منظمة للغاية (الباب الرابع) . ومن الممكن ـ رغم هذا ـ أن نزعم أن الهدف الجوهري من المعجم هو أن يمدّ مستخدمه «بالمعنى الإشاري» ، وأنه يفعل هذا عن طريق ربط الكلمة غير المعروف معناها بكلمة أو كلمات تكون إشارتها مفهومة .

إذن فنحن أمام نوعين من علم الدلالة ؛ أحدهما يعالج البنية الدلالية ، والآخر يعالج المعنى بالنظر إلى تطبيقنا خارج اللغة . لكن هذا الموقف ينبغي ألّا يثير دهشة اللغوي ، لأن لديه موقفاً مشابهاً في «الطرف» الآخر من نموذج لغته ، حيث وضعنا علم الأصوات مؤقتاً (انظر الفصل الثاني من الباب الأول) . فعلماء اللغة يميزون بين «علم الأصوات» الذي يعالج أصوات الكلام كما هي ويصفها بالنظر إلى الخصائص السمعية والصوتية أو بالنظر إلى نطق الأعضاء الصوتية ، وبين «علم وظائف الأصوات» الذي يعالج النظم الصوتية للغات بالنظر إلى العلاقات الداخلية بين الأصوات . وقد بحثنا عن تمييز مماثل بين «علم الدلالة» و«علم السيمولوجيا semology» . ومع ذلك

(١) الخنوص : ولد الخنزير (المترجم) .

لن أستخدم هذه المصطلحات ؛ لأن الإشارة «reference» و«الحس «sense» هما الاستخدامان الشائعان ، ولن أدفع قياس التمثيل بعيداً . ويكفي أن نرى أن هناك نوعين من علم الدلالة ؛ نوعاً يرتبط بالكيانات غير اللغوية ، ونوعاً يرتبط بالعلاقات الواقعة داخل اللغة intra - linguistic .

ولقد حاول بعض اللغويين في السنوات الماضية تحديد علم الدلالة ـ من حيث النظرية والتطبيق ـ كي يدركوا العلاقات . وهناك مثال في مقالة شهيرة كتبها كاتز J. J. Katz وفودور J. A. Fodor ، عنوانها : «The structure of a semantic theory» ، (إن كاتز وفودور يتحدثان عن الجمل ، في حين أننا معنيّون أساساً بمعنى الكلمات ، غير أن نظريتهما مبنية على معنى الكلمة ـ أما السؤال عما إذا كانت الكلمة أو الجملة هي العنصر الأساس في علم الدلالة فسوف نتركه حتى الفصل الأول من الباب السادس) . ويصرحان بأن : «النظرية الدلالية تصف قدرة المتكلمين على التأويل وتحللها عن طريق تفسير أدائهم بتحديد عدد قراءات الجملة ؛ عن طريق الكشف عن أي خروج عن القياس anomaly الدلالي ؛ وحسم علاقات إعادة الصياغة بين الجمل ؛ وتعيين كل خاصية أو علاقة دلالية أخرى تلعب دوراً في هذه القدرة» . ولو جردنا هذه العبارة مما فيها من رطانة Jargon فسوف تعني أن النظرية الدلالية يجب أن تفسّر الغموض ، والخروج عن القياس ، وإعادة الصياغة (وسوف نشرح هذا ونمثل له بعد قليل) .

والجملة الأخيرة من الفقرة التي اقتبسناها غير مناسبة ؛ فإن الكفاءة اللافتة هي التي تسمح لنا ـ بالفعل ـ بأن نضمّن داخل علم الدلالة أنواع الخواص أو العلاقات الدلالية غير المحددة كلها . لكننا قد نزعم ـ على وجه الافتراض ـ أن كل خاصية أو علاقة دلالية أخرى «هي من الأنواع الثلاثة التي تقدمت» . ويعطي كاتز وفودور بعض الأمثلة على هذا . غير أننا نجد قائمة ـ أكثر اكتمالاً ومنهجية ـ للخواص الدلالية في مقالة كتبها بيرويش M. Bierwisch ، زعم فيها (متّبعاً كاتز وفودور) أن النظرية الدلالية يجب أن

تشرح جملاً مثل :

1 - His typewriter has bad intentions نيّات

2 - My unnarried sister is married to a bachelor عَزَبٌ

3 - John was looking for the glasses كؤوس - نظارة

4 - a - The needle is too short الإبرة .

b - The needle is not long enough .

5 - a - Many of the students were unable to answer your question .

b - Only a few students grasped your question فهموا .

6 - a - How long did Archibald remain in Monte Carlo ? ظلّ

b - Archibald remained in Monte Carlo some time

١ ـ هو مثال لجملة خارجة عن القياس .

٢ ـ مثال لجملة متناقضة .

٣ ـ مثال لجملة غامضة (سيقول كاتز وفودورإن له قراءتين) .

٤ ـ مثالان يوضحان صياغة جديدة أو جملة مرادفة .

٥ ـ مثال لجملة تنتج عن أخرى .

٦ ـ الحملة الأولى تتضمن أو تفترض مقدماً الجملة الثانية .

ويخرج كاتز وفودور من النظرية الدلالية ـ وبالتحديد ـ أي إشارة إلى «خلفيات settings» الجمل . فعلم الدلالة ليس ـ أو لا يمكن أن يكون ـ معنياً بالطريقة التي تستخدم بها الكلمات والجمل فيما يتعلق بالحياة حولنا . ومن ناحية ثانية يتحدث بيروش عن :

أ ـ تفسير الجمل .

ب ـ وكيف ترتبط هذه التفسيرات بالأشياء التي نتكلم عنها . لكنه لا يبيّن كيف نستطيع أن نتقدم من تفسير إلى آخر . كذلك يحدد بعض اللغويين علم الدلالة ، ويعرفونه بالنظر إلى علاقات الصحة truth - relations بين

الجمل ، أي تلك التي تتضمن صحة منطقية وتحليلية (انظر الفصل الرابع من الباب السادس) . لكن بعضاً من «الارتباطات الحسية» المقترحة سوف يظل ينتمي إلى علم الدلالة . وكل معنى لا ينتمي إلى علم الدلالة هو «معنى فضولي Pragmatic» .

وفي الواقع هذه مسألة أمور فوق العادة ؛ فالذي بدا أولاً أنه هو الوجه الأساسي للمعنى (أعني العلاقة بين اللغة والحياة) نتجاهله ونعطيه مرتبة ثانوية . وفوق ذلك فإن جزءاً بالغ الصغر مما ينبغي ـ عادة ـ أن ينظر إليه باعتباره المعنى يمكن أن يُعرض . فرغم أن المعجمات تهتم بتعريف الكلمة بالنظر إلى الكلمات الأخرى وكذلك تفعل مع المعنى ، فإن جزءاً صغيراً جداً من التعريف المعجمي يمكن أن يستغل بالنظر إلى «الارتباطات الحسية» التي عدّدناها (لكن انظر إلى الباب الرابع) . والمؤسف أن الإنسان يغريه استنتاج أن العلماء عندما ركزوا على «الحس» لاستبعاد «الإشارة» (بمعناها الأوسع) ، فعلوا هذا لأن من السهل وصفها ؛ فإن لها تركيباً ويمكن تحديدها على نحو دقيق وصحيح . لكن هذا يذكّرنا بالسكران الذي فقد مفتاحه في واجهة بابه ، ورآه الناس يبحث عنه تحت مصباح الشارع عشر سنوات بغير انقطاع «لأن الضوء هنا أكثر» .

وهناك بعض الصعوبات الأخرى . فليس ممكناً دائماً التمييز على نحو واضح بين «الحس» و«الإشارة» ؛ لسبب بسيط هو أن فصائل لغتنا تتطابق ـ على الأقل إلى درجة ما ـ مع فروق الحياة الواقعية . أما السؤال عما إذا كانت اللغة تحدّد شكل الحياة أو كان العكس ، فذلك يشبه مشكلة «الدجاجة والبيضة» . ورغم ذلك سوف نناقش هذا في الفصل الرابع من الباب الثالث .

وحقيقة أن لدينا «شاة/ خروف ، بقرة/ ثور» قد تكون جزءاً من البنية الدلالية للإنجليزية ، لكنها ترتبط أيضاً على نحو واضح بحقيقة أن هناك أغناماً وماشية مذكرة ومؤنثة . لكن علينا أن نتذكر :

١ ـ أن ليست اللغات كلها ستظهر بها الفروق نفسها .
٢ ـ وأن هناك «جبرية indeterminacy» ـ إلى حد بعيد ـ في تصنيف الحياة الواقعية ، مثلما رأينا في مناقشتنا للأسماء ، فإن بعض الأشياء (كالثدييات) تقع في فصائل طبيعية ، وأشياء أخرى لا تقع . وبسبب هذا نستطيع أن :
أ ـ نفرق بين «الحس» و«الإشارة» .
ب ـ وفوق ذلك يجب أن نسلّم بأنه لا يوجد خط ثابت بينهما ؛ بين ما في الحياة وما في اللغة .

ولقد اهتم بعض العلماء بحقيقة أننا لو عالجنا المعنى بالنظر إلى الحياة ، وجب إذن أن يشمل علم الدلالة «مجموع المعرفة الإنسانية» ، ولهذا السبب قصروا اهتمامهم على «الحس» . وقد ناقشنا هذا الزعم بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثالث ؛ حيث حاولنا أن نبرهن على أن مشكلة «مجموع المعرفة الإنسانية» أقل إشكالاً بالنسبة «للحس» . وفوق ذلك هناك مفردات لغوية لا يمكن اختصارها إلى مفردات أخرى ، لكن يمكن تفسيرها فقط بالنظر إلى الأحداث حولنا ، وأكثرها أهمية «الكلمات الأسيّة deictics» (أو ما يسميه الفلاسفة «تعبيرات فهرستية indexical) ؛ كالضمائر : أنا ، أنت . . إلخ) ، وأسماء الإشارة : هذا وهذه ، وظروف الزمان : الآن ، غداً (الفصل الرابع من الباب السابع) . وبالنسبة لهذه لا يمكن إعادة صياغتها بأي صيغ أخرى لا تشير بذاتها إلى الحياة الواقعية أو الزمن الحاضر أو المتكلمين والسامعين ذوي الصلة بالموضوع .

إن نظرية للمعنى بالنظر إلى «الحس» حسب ؛ أي العلاقات اللغوية الواقعة داخل اللغة لا يمكن ـ حتى من حيث المبدأ ـ أن تتناول هذه المفردات . لكن النظرية التي تقبل علاقة اللغة بالحياة يمكنها ـ هي فقط ـ أن تفعل هذا . وهناك بالطبع شيء آخر هو أن مثل هذه النظرية يمكنها أن تتناول كذلك أنواعاً أخرى من المعنى (وهذا موضوع الفصل التالي) .

الفصل الرابع

أنواع المعنى

مفهوم ضمناً أن الافتراض ، في الرؤية التي تعتبر علم الدلالة هو البحث في الارتباطات الحسية (وعلى نحو أكثر وضوحاً البحث في شروط الصحة) ، أنها تهتم بالمعلومات الواقعية أو بالأخبار التي يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة . ولا شك في أن هذا وجه من وجوه المعنى لا بد من تأمله ، وهو يسمّى بأسماء شتى منها : «المعنى الإدراكي cognitive» ، و«التصوري ideational» ، «والرمزي denotational» ، «والإخباري propositional» . غير أنه ليس على الإطلاق النوع الوحيد للمعنى ، وليس هو أهم الأنواع . ومن المؤكد أننا لا نرغب في القول بأن الوظيفة الأولى أو الوحيدة للغة هي إمدادنا بمعلومات ، أو إخبار السامعين أو القارئين بـ «الحقائق» التي لا يعرفونها (رغم أن بعض اللغويين والفلاسفة يعتقدون هذا) . فكثير من معانينا ليست «تصورية» على الإطلاق ، وإنما هي «خاصة بالعلاقات بين «الأشخاص» أو «اجتماعية» ، تربط بيننا وبين الآخرين . وهناك طرق عدة (ليست كلها واضحة المعالم) نستطيع بها أن نرى أن اللغة ليست مجرد إمداد بمعلومات واقعية :

أولاً : نحن لا نصوغ عبارات إخبارية حسب ، بل نسأل أيضاً أسئلة ، ونعطي أوامر . حقاً إن النحو في معظم اللغات (إن لم يكن فيها كلها) يعكس هذه الفروق عن طريق وجود صيغ استفهام وصيغ أمر imperatives (رغم أن الوظيفة النحوية ليست دائماً تتطابق مع الفرق بين الإخبار والسؤال والأمر ،

فما يكون ـ نحوياً ـ عبارة إخبارية يمكن أن يكون ـ من الناحية الدلالية ـ أمراً ، مثل : «أنت آتٍ غداً you're coming tomorrow» . ويبدو أن من السهل تناول الأسئلة بالنظر إلى المعلومات ، ما دامت هي طلبات للمعلومات ، وبالتالي يمكن أن يكون لها ـ جزئياً ـ معنى تصوري . لكن غير واضح كيف نستطيع أن نتناول الأوامر بطريقة مشابهة ؛ فهي معنية بالوصول إلى فعل ، وليس إلى معلومات .

ثانياً : هناك كثير مما نسميه اليوم «أحداثاً كلامية speech acts» . فإننا «نقنع» ، و«نحذّر» ، و«نلمّح» ؛ بمعنى أننا نستخدم اللغة كي نؤثر على أفراد آخرين بطرق كثيرة مختلفة . وهذا وجه اللغة الأول الذي يتعلمه الطفل ؛ فهو يكتشف أنه عن طريق استخدام صياحه يستطيع أن يجذب الانتباه ، وفوق ذلك أن الكلام المناسب سوف يؤثر على البالغين بإعطائه الطعام ، واللعب معه . . . إلخ . هذا الوجه صار يهمّ اللغويين المحدثين ، لكن علاقته بالمعنى التصوري لم تتضح بعد (انظر الفصل الثاني من الباب الثامن) .

ثالثاً : كثير مما نقوله ليس إخباراً عن حقيقة ، بل هو «تقييم evaluation» . وقد تلاعب بعض علماء الدلالة كثيراً بالفرق العاطفي emotive بين الكلمات : «رجل السياسة politician» و«رجل الدولة statesman» ، «يخفي conceal» و«hide» ، «حرية freedom» و«liberty» ؛ فكل منها يتضمن قبولاً أو رفضاً . إن وظيفة مثل هذه الكلمات في اللغة هي بالطبع التأثير في المواقف . وهناك طرق أكثر براعة من القول بأن الشيء حسن أو رديء أو حتى لاختيار الكلمة «الحسنة» أو «الرديئة» . إن في السياسة كلمات معينة غالباً ما نختارها على الأرجح لمجرد ما لها من تأثير . فكلمة «فاشستي fascist» تشير إلى عضو في الأحزاب الفاشستية ، وهي تستخدم في إدانة الخصوم وإهانتهم . وقد تكون الكلمات معان عاطفية عدة في مجتمعات مختلفة ؛ فكلمة «ليبرالي liberal» بوجه عام كلمة «حسنة» في بريطانيا ، وقد استخدمها تشرشل Winston Churchill نفسه عندما كان ـ من

الناحية السايسية ـ في حزب المحافظين ، غير أنها كلمة «رديئة» في جنوبي أفريقيا وفي بعض الدوائر السياسية في الولايات المتحدة. هذه الوظيفة العاطفية أو التقيميية للغة ليست قاصرة على مثل هاتين الكلمتين.

حقاً ليس هناك كلمات كثيرة على المعجم أن يميّزها بنعوت مثل «ازدراء» . لكن هناك كلمات أخرى كثيرة فيها جزء من المعنى «حسن» أو «رديء» ، منها : «قصر palace» ، «كوخ hovel» ، «بطل hero» ، «حقير villain» ، وبالطبع الكلمتان «حسن» و«رديء» أنفسهما لا تشيران إلى «واقع» ، لكنهما من «دلالات التقييم» . وسوف نقوم بمناقشة أخرى لهذا في فصل المترادفات (الفصل الأول من الباب الرابع) .

رابعاً : تعنى اللغة غالباً بمجموعة من العلاقات الاجتماعية . فنحن نستطيع أن نكون أجلافاً أو مهذبين ، وقرار أن نكون في الصورة الأولى أو الثانية قد يعتمد على العلاقات الاجتماعية مع الشخص الذي نكلمه . وبالتالي نحن قد نلتمس السكوت بقول : «would you please be quiet? be quiet, shut up.Would you keep your voice down a little please? ويعتمد الاختيار على ما إذا كنا نرغب في أن نكون أجلافاً أو لا ، وهذا يرتبط بحالة الشخص المخاطب . إن بعض أجزاء من اللغة هي في جملتها اجتماعية ، ولا تحمل أي معلومات على الإطلاق (حتى لو ضمناها إعطاء أوامر. . إلخ، داخل المعلومات). ومن أمثلة ذلك: Good morning ، How are you? ، وكل ما يقوله الرجل الإنجليزي عن حالة الطقس . إن الإجابات والأسئلة في معظم المجتمعات غالباً ما تكون حول الأسرة ، لكن لا تقصد معلومات حقيقية ؛ فالمتكلم لا يريد أن يعرف شيئاً عن صحة زوجة الرجل الذي يتحدث إليه ، لكنه فقط يجري اتصالاً اجتماعياً . وكثير من «اللغو» في الحفلات هو حقيقة من النوع نفسه . فليس مقصوداً أن تنقل معلومات ، لكن هذا مجرد جزء من النشاط الاجتماعي . وكما قال جلبرت W. S. Gilbert (الصبر) :

إن المعنى لا يهمّ
إذا كان مجرد ثرثرة عديمة الجدوى .
من نوع مبهم .

خامساً : مثلما أشرنا حالاً ، نحن لا نحتاج «أن نعني ما نقول» . إننا نستطيع عن طريق الاستخدام المناسب للتنغيم أن نكون ساخرين ؛ لأن جملة : «هذه ماهرة جداً» قد تعني : «هذه ليست ماهرة» . ونستطيع بالتنغيم المناسب أيضاً أن نلمح إلى ما لا يقال . وبالتالي فإن جملة : «أنا لا أحب القهوة» بنغمة هابطة صاعدة قد تتضمن تماماً : «أنا أحب الشاي» ، وجملة : «إنها ماهرة جداً» قد توحي بأنها «على الأصح غبية» . ومغزى هذا أن علم الدلالة لا يمكن أن ينجح دون فحص ملامح النظم ، والملامح التي يمكن تحديدها بجانب اللغة Para - linguistic . (انظر الفصل الثالث من الباب الأول ، والفصل الثاني من الباب الثامن) .

سادساً : هناك نوع من المعنى في الجملة المشهورة : «متى توقفت عن ضرب زوجتك ؟» فهي تفترض أنك ـ ذات مرة ـ ضربتها ، رغم أن الجملة لا تنصّ في أي مكان على أنك فعلت هذا . وبالمثل زعم البعض أن جملة : «ملك فرنسا أصلع bald» تفترض ضمنياً أن «لفرنسا ملكاً» ، وأن افتراض وجوده لا يؤكده . إذن فالافتراض الضمني واضح من التوكيد . وسوف نعالج موضوع الافتراض الضمني في الفصل الرابع من الباب الثامن .

وقد تكون هناك ـ بالطبع ـ أنواع أخرى من المعنى . لاحظ أيضاً أن لو قال شخص : «There's a house over there» ، فقد أسأل : «ماذا يعني هذا ؟» وبمعنى آخر : «ماذا أستنتج من هذا ؟ »ورغم أن هذا قريب من الوجه الأول الذي ناقشناه في الفصل الأول من الباب الأول ، واضح الآن أن هذا النوع من «المعنى» هو بالتأكيد خارج عن علم الدلالة . إنه يهتم بالطريقة التي قد نستخدم بها المعلومات ، لكن في حالات خاصة ، وبالتالي يصبح مسألة جوهرية بالنسبة لمعنى القول المنطوق .

الفصل الخامس

الكلمة وحدة دلالية

A semantic unit

من الطبيعي أن نزعم أن المعجمات معنية بالكلمات ، وبناء على هذا فإن الكلمة ـ بمعنى ما ـ وحدة من الوحدات الأساسية في علم الدلالة . ومع ذلك تظهر بعض الصعوبات :

أولاً : ليس للكلمات كلها نوع واحد من المعنى ، فلقد وضع النحوي الإنجليزي سويت Henry Sweet فرقاً مألوفاً جداً بين الكلمات «التامة Full» والكلمات «الصورية Form» ؛ فمن أمثلة الكلمات التامة : «شجرة ـ يغني ـ أزرق ـ بلطف» ، ومن أمثلة الكلمات الصورية : «it, the, of, and» . إن ما يبدو له معنى من النوع الذي نحن معنيّون به حتى الآن هو الكلمات التامة . أما الكلمات الصورية فيبدو لأنها تنتمي إلى علم النحو أكثر من انتمائها إلى علم الدلالة ؛ وعلى نحو أدق تنتمي إلى النحو أكثر من انتمائها إلى المعجم (انظر إلى الفصل الأول من الباب السابع) .

ومن الممكن أن يقال إن لها معنى ، لكنه معنى من النوع النحوي . وفوق ذلك ، فهو ليس معنى الكلمة نفسها ، بل على الأصح معناها بالنظر إلى الكلمات الأخرى ، وربما الجملة كلها . ولهذا السبب لا ينبغي أن نرغب في البحث عن معنى مثل هذه الكلمات وهي منعزلة ، لكن فقط داخل جملة (المعجمات غالباً ما تحاول أن تعرفها ، لكن بنجاح محدود) .

ثانياً : ليس واضحاً على الإطلاق أن الكلمة وحدة معرَّفة على نحو

واضح إلاّ على أنها وحدة عرفية conventional ناتجة من القواعد ، لكتابة ما تعلمناه جميعاً في المدرسة ؛ فالكلمات كما نعرفها هي المفردات المكتوبة التي تعلمنا أن نترك بينها مسافات . لكننا قد نسأل عما إذا كان هذا بالضرورة إشارة إلى عنصر لغوي معرف تماماً . إن أداة التعريف في اللغة العربية تكتب على أنها جزء من الكلمة ، أما في الإنجليزية فليس الأمر كذلك . ليست هناك معايير واضحة لتقرير أي من هذين هو أكثر ملاءمة . أو دعنا نقارن بين الكلمتين : «الدفيئة greenhouse» [1] و«white House» (في قولنا : البيت الأبيض) . وبقطع النظر عن أعرافنا عن ترك المسافات بين الكلمات هل هناك أسباب مقبولة للقول بأن الأولى كلمة واحدة ، والأخيرة كلمتان ؟

لقد قدم بلومفيلد حلاً بزعمه أن الكلمة هي «أصغر صيغة مستقلة» ، أصغر صيغة قد توجد «منفصلة» . لكن هذا كله يعتمد على ما يقصد بكلمة «منفصلة» . فإننا عادة لن نقول : «the, is, by» منفصلة . إننا بالطبع نطلق هذه «الكلمات» إجابة على سؤال مثل : «ما الكلمة الثانية هنا ؟» أو : «هل قلت (a) أو (the)؟» لكن هذا يلتمس السؤال حسب . إننا نتعلم أن ننطق ـ على وجه منفصل ـ هذه المفردات التي تعلمناها لندرك أنها كلمات . وقد واصل بلومفيلد البحث كي يعيّن عنصراً أصغر من الكلمة ؛ وحدة معنى «The Morpheme» . ومن أمثلة ذلك : «berry» في كلمة « ثمر العليق blackberry» أو «y» في كلمة «فتى Johnny» . ولقد كان اللغويون المحدثون أكثر اهتماماً بحالة كلمات مثل : «أحبّ loved» حيث استطاعوا أن يعيّنوا أصغر الوحدات الصرفية «love» و«d» . وهنا يبدو ـ على نحو واضح ـ أن العنصرين فيهما المعنيان البارزان لكلمة «يهيم adore» و«صيغة الماضي» . لكن سرعان ما ظهرت مشكلات خاصة مع كلمات مثل : «أخذ took» التي تظهر باعتبارها ذات عنصرين هما : «take» و«صيغة الماضي» . ومع ذلك لا يمكن أن تنقسم بسهولة . إن الوضع النحوي لمثل هذه الكلمات

(١) بيت زجاجي لزراعة النباتات الرخصة أو لوقايتها . (المورد) (المترجم) .

ليس هـو مـا يهمنـا ، لكن يجب أن نـدرك أن هنــاك «جـزءين» مستقلين من المعنى . إن الـطريقة المثلى لتنـاول هذا ليس بـالنظر إلى أصغـر الـوحـدات الصـرفية (أي أجـزاء الكلمات) ، بـل على الأصح بـإعـادة تعـريف مصـطلح «كلمـة» بطريقـة مختلفة ، رغم أنهـا ليسـت غير مـألوفـة . إننا نستخـدم هـذا المصطلح في معنى أن «love» و«loved» كلمتان مختلفتان . غير أننا نستطيع أيضـاً أن نقول إنهمـا صيغتان للكلمـة نفسهـا ـ الفعـل «to be» (الـذي نعيّنـه بـطريقة غـريبـة بـاستخـدام كلمتين : «love» و«to») . وهنـاك مصـطلح فني للكلمـة بهذا المعنى الثـاني هو «أصغـر وحدة معجميـة lexeme» . إن أصغر الـوحدات المعجميـة هي التي تمدّ المعجم ـ عـادة ـ بـالعنـاوين الرئيسيـة . ولكن يكون هناك مدخلان لكلمة «love» وكلمة «loved» ، بـل مدخـل واحد فقط (وهذا قد يشمل حتى الإسم «love» بالإضافة إلى الفعـل ، رغم أننا قـد لا نرغب في توسيع المصطلح lexeme بطريقة مشابهة) . ولو أننا واصلنا هذا المسلك لاستـطعنـا أن نتحـدث عن معنى الكلمـات (أعنـي lexemes) ، وبطريقة مستقلة عن معنى العناصر النحوية مثـل صيغة الجمـع plural والزمن المـاضي . وبدلاً من معـالجة كلمـة «loved» على أساس الـوحـدتين «love» و«d» نحللها بالنظر إلى الوحدة المعجمية «love» والفصيلة النحوية : الزمن . وهـذا الحل يتـركنا مـع الكلمة (معـرّفـة على أنهـا وحـدة معجميـة lexeme) باعتبارها وحدة لمعجمنا . لكننا لا نزال متروكين مع معنى العنصر النحـوي . إنه أحياناً قد يبدو بسيطاً ومستقلاً تماماً مثل صيغة الجمع التي تعني «أكثـر من واحد» (لكن انظر إلى الفصـل الثاني من البـاب السـابـع) . لكنه في الغـالب ليس كذلك . إن القضيـة ـ في اللاتينيـة ـ تشير أسـاساً إلى العـلاقات داخـل الجمـل ـ الفاعـل ، المفعول . . إلـخ . والجنس Gender أيضاً في الـلاتينية معنيّ ـ فقط من حيث الـظاهر ـ بـالملمـح الفيـزيـائـي للنـوع sex ، ووظيفتـه الـرئيسية الإشـارة إلى العلاقـات النحـويـة ـ إلى أن صفـة معينـة تقيّـد إسمـاً معنيـاً . . . إلخ (انـظر الفصل الثـالث من الباب السـابع) . إذن فـوضع هـذه

العناصر ليس في الغالب مختلفاً عن وضع الكلمات الصورية التي ناقشناها آنفاً .

ثالثاً : هناك مشكلة فيما يسمى بالكلمات «الواضحة transparent» والكلمات «المبهمة opaque» (أولمان Ullmann ، ١٩٦٢) . فالكلمات الواضحة هي تلك التي يمكن تحديد معناها من معنى أجزائها ، أما الكلمات المبهمة فهي تلك التي لا يمكن تحديد معناها بهذه الصورة .

إن المقارنة بين لغات أخرى ـ كالألمانية على وجه الخصوص ـ شيء طريف . ففي الإنجليزية الكلمات «كستبان thimble» ، و«قفاز glove» ، و«علم اللغة linguistics» كلمات مبهمة (والشيء نفسه حقيقي مع الكلمات الفرنسية المرادفة) . أما الألمانية فالكلمات المماثلة فيها هي كلمات واضحة «Fingerhut» ، و«Handschuh» ، «Sprachwissenschaft» . وهذا لا يوحي فقط بأننا يمكن أن نرى كلمة واحدة تكون أجزاء عدة من المعنى ، ولكن أيضاً بأن عدد الأجزاء عشوائي arbitrary (هل نبحث عن عناصر المعنى في «كستبان» بسبب الكلمة الألمانية ؟) .

وهناك مشكلات أخرى . لو أننا نقرر أن كلمة «مفرمة chopper» تفسَّر بالنظر إلى العنصرين chop وer (مشيرة إلى الآلة) ، فماذا نقول عن كلمة «مطرقة hammer» ؟ هل هذه من النوع الواضح ؟ إن العنصر er يُظهر أنها آلة ، لكن ما معنى hamming ؟ ليس هناك ـ إذن ـ طريقة دقيقة لتحديد العناصر الدلالية داخل الكلمة .

رابعاً : في الإنجليزية كلمات كثيرة مما يسمى بالكلمات «ذات الفونيمات الموحية Phonaesthetic» [1] التي يعطي فيها جزء واحد ـ هو غالباً المجموعة الأولى من الأصوات الساكنة consonants ـ إيحاء بمعنى من نوع

---

(١) عن مناسبة حروف العربية لمعانيها ـ (انظر : ابن جني في الخصائص ١/٥٤٩ . ٥٥٩) (المترجم) .

خاص . فمثلاً كلمات كثيرة تبدأ بالحرفين sl مثل : «انزلاقية slippery وإلى حد ما الكلمات : «يتزلج slide ، ينساب slip ، ينزلق Slither ، يخوض في الوحل slush ، يتدفق sluice ، وحل sludge .. إلخ» ، أو أخرى تكون مجرد كلمات ازدرائية مثل : «امرأة قذرة slattern ، بغيّ slut ، عاميّ slang ، خبيث sly ، متّسخ sloppy ، مهمل slovenly .. إلخ» . والكلمات ذات الحرفين Sk تشير إلى الأسطح أو السطحية مثل : «مزلج skate ، يعمل بتعجل skimp ، الدحروجة skid ، يتصفح كتاباً skim ، بشرة skin .. إلخ» . وقد يتأمل القارىء أيضاً معنى كلمات تبدأ بالحروف : ,tw, sw, Str SN .. إلخ . والمجموعة الطريفة التي تنتهي بالحروف ump تشير كلها تقريباً إلى نوع من الكتلة المستديرة ، مثل : «ممتلىء plump ، حطبة chump ، زمكّي الطائر rump ، سنام hump ، عقب السيجار stump ، وحتى ربما «ذخيرة dump ، والنكاف mumps» . غير أننا لا نستطيع أن نعمّم هذا ، فليست كل كلمة فيها هذه الخصائص الصوتية سوف يكون لها المعنى المفترض . وفوق ذلك لا نستطيع أن نفصل هذا الجزء ونعيّن معنى البقية ، أعني معنى ide في كلمة « slide » أو معنى ate في كلمة «skate» .

خامساً : يبدو أن التقسيم الدلالي «يهيمن على» تقسيم الكلمة ؛ فعلى سبيل المثال تأمل التعبيرين : «مدخّن كبير heavy smoker» ، «مغنّ حسن good singer» . فهما من الناحية الدلالية لا يتكونان من الجزأين «heavy smoker» و«good singer» . فإنهما يعنيان الرجل الذي يدخن بشراهة ، أو يغني بطريقة حسنة . ولو أصررنا على التقسيم فإننا نستطيع أن نفعل ، لكن التقسيم الأول لا بد أن يكون بين الجزأين «heavy smok» و«er» ، والجزأين «good sing» و«er» ، لو أردنا الاحتفاظ بالتوازي بين الصيغة والمعنى .

وهناك أمثلة طريفة أخرى منها : «بائع الزهور الصناعية artificiel florist» و«محام جنائي criminal lawyer » .

سادساً : رغم أن لدينا الثنائيات «**خروف/ شاة ، حصان/ فرس**» ليس لدينا ثنائيات مماثلة للزرافة giraffe والفيل **elephant** . وعلينا أن نقول : «زرافة ذكر male giraffe ، زرافة أنثى - female ، أو لو أننا نعرف التعبير الصحيح «elephant bull» و«elephant cow» . وقد تقودنا مثل هذه التأملات - إلى جانب حقيقة أن لدينا كلمات مثل : «بقرة ، عجل» - إلى أن نعرّف «الثور» بأنه «حيوان بقري ذكر بالغ» ، وأن نرى هذا تحديداً لأربعة عناصر متميزة للمعنى في الكلمة نفسها .

وأخيراً هناك مشكلة «التعبيرات idioms» ، ويقصد بها تتابع من الكلمات لا يمكن التنبوء بمعناه من معاني الكلمات نفسها . ومن الأمثلة المألوفة على ذلك التعبيرات : «يموت kik the lucket, fly off the handle ، يُسقط الحب spill the beans ، سمكة رنكة red herring» . والمسألة واضحة ، فلو أننا عكسنا وقلنا : «red fish, spill the coffe , fly off the roof , Kick the table» لتحولت هذه التعبيرات - من الناحية الدلالية - إلى وحدات مفردة . غير أنها ليست وحدات نحوية مفردة كالكلمات ، لأنها لا تقع في صيغة الزمن الماضي : «Kick the lucketed» . وسوف تكون هناك مناقشات تفصيلية عن التعبيرات في الفصل الثالث من الباب الخامس .

إن كل هذه التأملات قد تقودنا إلى التخلي عن فكرة أن الكلمة وحدة طبيعية في علم الدلالية ، مهما كانت مفيدة لمصنف المعجم . وقد علق بازل C. E. Bazell بقوله : «إن البحث عن وحدة دلالية داخل حدود الكلمة - لأن هذه الحدود أكثر وضوحاً من حدود أخرى - يشبه البحث عن كرة ضائعة في أحد المروج ، لأن الأدغال لا توفر إلّا أرضاً مجدبة لمثل هذا البحث» .

ومع ذلك يجب أن نكون حذرين ، فلا نستنتج من هذا كله أننا نستطيع - ببساطة - أن نتجاهل كلمات اللغة ، وبدلاً من ذلك نبحث عن «معانٍ» مستقلة للكيانات الدلالية غير المرتبطة - كلية - بالكلمات (ففي رؤية كهذه

سوف نحاول ربط وحداتنا الدلالية بوحدات النحو ، ربما في ذلك الكلمات ، عندما نقوم بالتحليل الدلالي فقط) . وسوف نرى - عن طريق المناقشة في هذا الكتاب - أن هذا غير مقبول ؛ لأننا خلال هذا نحدد المعنى عن طريق مقارنة صيغ لغوية ، تتضمن - دائماً على وجه التقريب - كلمات .

إن التعبيرات جديرة بالذكر لأنها تتكون من كلمات عدة ، لكن تؤدي وظيفة الكلمة الواحدة ، في حين كنا دائماً - في مناقشة أصغر الوحدات الصرفية morphemes ، والكلمات الواضحة transparent ، والكلمات ذات الفونيمات الموحية phonaesthetics والباقي كله - نقارن كلمات بكلمات على وجه التقريب . وقد يكون لدينا أحياناً وحدات دلالية أكبر من الكلمة ، أو غالباً أصغر منها (أو على الأقل نسلم بأن كلمة واحدة قد يكون فيها أكثر من «جزء» واحد من المعنى) . غير أننا لن نفلت من الصيغ اللغوية لبعض المعاني «غير المجسدة disembodied» . ولنتأمل كلمة «ثور» مرة ثانية ؛ فليس بها شيء يوحي بالحجم أو الوزن أو اللون أو السرعة أو السمنة . . . إلخ ، فننظر إليه باعتبار أنه وثيق الصلة بمعناها . وبالأحرى إن هذه الملامح التي نتجت عن المقابلة بين كلمتي «بقرة - عجل» هي فقط ما يهمّ علم الدلالة ، أعني تلك الملامح التي تعتمد على كلمةٍ مقابلة .

أما الباب الرابع فسوف أطلق عليه «البنية المعجمية» ، وذلك لتأكيد النقطة الأساسية التي كنت أتكلم عنها . والعنوان البديل «البينة الدلالية» قد يوحي بأننا نستطيع أن نبحث عن المعاني والعلاقات الكائنة بينها على نحو منفصل عن صيغ اللغة .

الباب الثالث
السياق غير اللغوي

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ استبعاد السياق .
٢ ـ سياق الحال
٣ ـ السلوكية .
٤ ـ النسبية اللغوية .

السياق غير اللغوي

the Non - Linguistic Contest

وضعنا في الباب السابق فرقاً بين «الإشارة» التي تعالج العلاقات بين اللغة وعالم التطبيق غير اللغوي ، و«الحس» الذي يعالج العلاقات داخل اللغة . ولقد كان جل علماء اللغة والفلاسفة معنيّين أكثر بـ «الأرتباطات الحسية» . فالارتباطات الحسية تبدو ـ ظاهرياً على الأقل ـ أسهل من حيث التناول من علاقات الإشارة . ونتيجة لهذا فإن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب سوف يكون معنياً بـ «الحس» . ومع ذلك يظن معظم الناس أن المعنى كان مهتماً في المقام الأول بالعلاقة بين اللغة والحياة التي نستخدمها فيها . ولهذا السبب أسوق أبدأ هذا الباب بمعالجة «الإشارة» . غير أنني لن أستخدم مصطلح «الإشارة» لسببين ، أولهما : أنه مصطلح غامض وله معنى ضيق للإشارة إلى الكلمات (ونحن معنيون هنا بالمعنى الأوسع فقط)، وثانيهما : أن مصطلح «سياق context» أو «سياق الحال context of situation» ـ حتى نميزه عن السياق اللغوي ـ هو أكثر إلفاً في النقاش اللغوي .

الفصل الأول

استبعاد السياق

أشرنا آنفاً إلى أن بعض اللغويين استبعد السياق ـ صراحة أو ضمناً ـ من دراسة علم الدلالة . ولا شك في أن السبب الحقيقي لهذا الاستبعاد هو وجود صعوبات نظرية وعملية كبيرة في تناول السياق على نحو مرضٍ . لكن غالباً ما تكون هناك أسباب أخرى نتأملها الآن :

أولاً : جادل البعض بأن معنى الجملة ـ أو حقيقة أن المعنى غامض أو شاذ ـ يمكن معرفته دون وجود أي سياق ، وأننا باعتبارنا متكلمين للغة يجب أن نعرف معنى الجملة قبل أن نستخدمها في أي سياق . وبناء على ذلك فإن المعنى يظهر مستقلاً عن السياق ، ويستطيع اللغويون أن يدرسوه ، ويجب أن يفعلوا ، دون إشارة إلى السياق . ومع ذلك يفترض هذا الزعم سؤالاً : بأي معنى يمكن أن نزعم أننا نعرف «معنى جملة» دون اعتماد على السياق ؟ إن الافتراض أن هذا يكون بمعنى أننا نستطيع أن نأتي بجملة أخرى لها معنى مشابه ، أي بجملة مرادفة لها . لكن لا ينتج عن هذا أننا لو استطعنا أن نعرّف جملتين على أن لهما المعنى نفسه ، أن نكون قد عرّفنا كياناً مجرداً ـ إلى حدّ ما ـ يسمى «المعنى meaning» .•وهذه رواية أخرى للمغالطة الثنائية التي ناقشناها في نهاية الفصل الثاني من الباب الثاني . وبدلاً من ذلك ، قد يكون حسناً أن نزعم أن معرفة تشابه جملتين في المعنى هو نفسه معرفة إمكان استخدامهما في سياقات متشابهة . في هذه الحالة ، فإن إقامة

مجموعة من العلاقات المجردة بين الجملتين دون تأمل لما تشيران إليه تشبه ـ على الأصح ـ وصف التساوي بنظام قياسي ، كأن تقول إن في القدم إثنتي عشرة بوصة ، وفي الياردة ثلاثة أقدام ، وفي الميل ١٧٦٠ ياردة دون الإشارة إلى الكم الذي يبلغه طول البوصة ، أو القدم ، أو الياردة ، أو الميل . إن تقرير تساوي المعنى ليس تقريراً للمعنى ، وليس هناك دليل على أن معرفة معنى جملة لا يستلزم معرفة السياق الذي تستخدم فيه .

ثانياً : وللنظرة الأولى ، هناك زعم آخر أكثر قبولاً ـ في الظاهر ـ هو أن عالم التطبيق يجب أن يشمل ـ بالضرورة ـ بعضاً من المعرفة الإنسانية . فإذا كان هذا كذلك ، وكان علم الدلالة يعرّف بالنظر إلى الإشارة ، فإن مجال علم الدلالة سيكون غير متناه . وهذه مشكلة كان بلومفيلد على علم بها ، وجعلته ييأس من أي معالجة مرضية لعلم الدلالة . لكن المشكلة تكمن في معالجة أي نوع من النظرية الشاملة لعلم الدلالة . إن النظرية التي تبنى على «الارتباطات الحسية» ليست بأقل خطورة من النظرية التي تبنى على «الإشارة» ؛ وذلك لأنه من المستحيل ـ حتى في هذه النظرية ـ أن نرسم خطاً واضحاً بين معنى كلمة أو جملة والمعلومات الوثيقة الممكنة عنها . إننا نستطيع أن نتجنب المشكلة بقصر اهتمامنا على العلاقات المنطقية «الضيقة» للنوع الذي نراه في الكلمتين : «عزب bachelor / غير متزوج unmarried» ، أو «طويل long / قصير short» ، لكن هذا سوف يمدنا بنظرية دلالية ضيقة يمكن ـ بصعوبة ـ أن يقال إنها تتعامل مع المعنى كما ينبغي . ولهذا ، تأمل «الارتباطات الحسية» التي تتضمنها جملة «بيرويش» : «My typewriter has bad intentions» (التي هي شاذة)، وجملته «John was looking for the glasses» (التي هي غامضة) . ولكن نتعرف على الشذوذ والغموض نحتاج إلى أن تكون لدينا معلومات مناسبة عن الآلات الكاتبة وأنواع النظارات .

ولكي تتضح هذه النقطة دعنا نتأمل ـ بشيء من التفصيل ـ جزءاً من

جدال «كاتز» و«فودور» . إننا لا بد أن نتـذكر أن جـزءاً من هدف علم الـدلالة عندهما كان «إحصاء عدد قراءات الجملة» وكان المثال : «is large الفاتورة - المنقار The bill» . وهو على نحـو واضح جملة غـامضة ؛ إذ إن لهـا قراءتين ناتجتين من معنَيَيْ كلمة «bill» . وعندئذ يوافق كاتـز وفودور على أن غمـوض هذه الجملة وعدم غموضها بهذا المنهج هما موضوعان وثيقان بعلم الدلالة . وقـد تبع زعمهمـا هذا جـدال حول «نـظرية كـاملة للخلفيـات «settings» (أي السيـاق) ؛ أن مثل هـذه النظريـة عليها أن تمثـل المعـرفـة التي تكـون لـدى المتكلمين عن الحيـاة . ووضحت هـذه النقـطة بحقيقـة أن «أي» نـوع من المعلومات غير اللغوية قـد يستخدم في فهم الجملة . وفي سبيـل إظهار هـذا استخدما مجموعة من الأمثلة هي :

Shall we take junior back to the Zoo ?

Shall we take the bus back to the Zoo ?

Shall we take the lion back to the Zoo ?

ولكي نفهم هـذه الجمـل - زعم - أن علينـا أن نعـرف كـل شيء عن الأولاد ، وعن السيارات ، وعن الأسود ، وأن مثـل هذه المعلومـات لا يمكن أن تتضمنها نظرية دلالية . ومع ذلك لـو فكرنـا للحظة لـرأينا أن الـوضع ليس مختلفاً عما حدث في كلمة «bill» . لأنه - من جهة - يبدو معقولاً أن يقول إننا نحتاج إلى معرفة أن هناك نوعين من كلمة «bill» . ومن جهـة أخرى نستـطيع أن نطيل هذه الجمل الأخرى لتبرز اختلافات المعنى بقولنا :

... to see the other animals ?

... or walk ?

... or put it in our own cage ?

وأظن أنه واضح الآن أننـا نستطيـع - دائماً - أن نبتكـر إطالات للجمـل لنعالج أي نوع من «المعنى» مرتبط بأي نوع من المعلومـات الوثيقـة الصلة .

ولو كان هذا كذلك ، وكان استخدام مثل هـذه الإطالات منهجـاً فعّالاً لتعيين «الارتباطات الحسية» لنتج عن هذا أن أي نوع من المعلومات يمكن أن يكون عنصراً أساسياً «للارتباطات الحسية» ، وأن «الحس» ـ ليس أقل من الإشـارة ـ يستخدم في النهاية المعرفة الإنسانية كلها . ودعنـا نأخـذ مثالاً آخـر من أمثلة «بيـرويش» : «John was looking for the glasses» . إن هـذا مثـال غـامض لأنه قد يشير إلى «نظارة» أو إلى «شـرب أقداح» . لكن لمـاذا ينبغي أن يكون هناك معنيان ؟ ماذا لو أتى عالم بمثال ثالث ؟ هل يكون للجملة عندئـذ ثلاثـة معان ؟ إن كان هذا فذلك بسبب معرفتنا عن الحياة . وبالمثل ، كم معنى في قولك : «I am looking for the bible» ؟ إن الإجابة تعتمـد على ما إذا كنت تعرف هذا الشيء الذي في معدة البقرة التي يسمى «the bible» !

وبالمثل ، دعنا نأخذ مثال «بيروش» الشاذ : «My typewriter has bad intentions» ، ونستبـدل بكلمة «typewriter» كلمـة : كلب ، أو ثعبـان ، أو ميكروب» . إن اعتبار أن الجملة الناتجة شاذة أو غير شـاذة يمكن أن يقرر فقط عن طـريق ما نعـرفه عن إدراك الكـلاب والثعابين والميكـروبات . بمعنى أن الشذوذ يعتمد على معرفة الحياة .

لقد أقرّ كاتز وفـودور بأن نـظرية محـددة للاختيـار عن طريق «الخلفيات الطبيعية ـ الاجتماعية» ممكنة ، لكنهما قالا إن هذا سـوف يجعل التمييـز بين معـرفة المتكلم عن لغتـه ومعرفتـه عن الحياة غيـر واضـح . وعلى أيـة حـال فالتمييز غير واضح (أو هو من حيث المبدأ مستحيل صنعه) .

إذن ، ليس في علم الـدلالة شيء مثـل القدرة اللغـويـة التي لا تـرتبط بمعرفة الحياة . إنهما ـ أساساً ـ الشيء ونفسه . وهذا لا يعني ـ بـالطبـع ـ أننا لا نستطيع ـ بطريقة أو بأخرى ـ أن نحدد مجال الدلالة ، لكن من الخـطأ أن نظن أننا نستطيع أن نحدده بمجال لغوي «محصن» .

الفصل الثاني

سياق الحال

Context of situation

يرتبط مصطلح «سياق الحال» ذهنياً بعالمين إثنين : أحدهما عالم الأنتروبولوجيا الذي أشرنا إليه آنفاً «مالينوفسكي» ، والآخر اللغوي «فيرث» . وكلاهما كان معنياً بإبراز المعنى بالنظر إلى السياق الذي تستخدم فيه اللغة ، وإن اختلفت طرائق البحث عندهما إلى حد ما .

نشأ اهتمام مالينوفسكي باللغة عن عمله في جزر التروبسريانـد Trobriand جنوبي الباسيفيك . وقد كان معنياً ـ على وجه الخصوص ـ بعجزه عن الوصول إلى أي ترجمات مرضية للنصوص التي سجلها . فقد سجل ـ على سبيل المثال ـ فخراً (لصاحب زورق ـ طويل خفيف ضيق يقاد بمجدف ـ canoeist) وترجمه على النحو التالي : «نحن ـ نجري أمام ـ خشب أنفسنا . . . نحن نتحول نحن ـ نرى زملاء ـ نا هو ـ يجري ينصب ـ خشب» [١] . وزعم مالينوفسكي أن هذا الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه ، حيث سيكون واضحاً ـ على سبيل المثال ـ أن كلمة «خشب» تشير إلى مجداف الزورق . إن اللغات الحية يجب ألّا تعامل معاملة اللغات الميتة ، تنتزع من سياق حالها ، بل ينظر إليها كما استخدمها أفراد للصيد أو الحرث أو البحث عن السمك . . . إلخ . إن

(١) الترجمة الإنجليزية للنص هي :
«We - run front - wood ourselves .. we - turn we - see companion - ours he - runs rear - wood» . Page : 47

اللغـة ـ كمـا تستخـدم في الكتب ـ ليست هي المعيـار على الإطـلاق ، فهي تمثـل وظيفة اشتقـاقية متكلفـة للغـة ، لأن اللغـة لم تكن أصـلاً «مـرآة لفكـر منعكس» . وأكد مالينوفسكي أن اللغة «أسلوب عمل» وليست «توثيق فكر» .

ولقـد بنى مالينـوفسكي مـزاعمـه ـ في المقـام الأول ـ على مـلاحـظتـه للطريقـة التي توافقت فيهـا لغة النـاس ـ التي كان يـدرسهـا ـ مـع نشـاطـاتهم اليومية ، وكانت بالتالي جزءاً يتعذر فصله عنها . غير أنه لاحظ أيضاً أنه حتى في مجتمعنـا ـ الأكثـر تعقيـداً ـ هنـاك مغـزى خـاص لتعبيـرات مثـل : «كيف حـالـك ؟ ? A, here you are , How do you do» التي تستخـدم في إقـامـة وجدان مشترك . وقد أشرنا إلى أمثلة من هذا (الحـديث عن حالـة الطقس أو الأسرة) ، في الفصل الرابع من الباب الثاني . وأطلق مـالينوفسكي على هـذا الـوجـه من اللغـة : «لغـة المجـامـلات Phatic communion» ، حيث إن الكلمات «لا تنقل معنى» ، بل لها وظيفة «اجتماعية» محضة .

وكـذلك لاحظ مـالينوفسكي أن الـطفـل ـ تـوّاً من مـرحلة الكـلامْ غيـر المفهوم ـ يستخدم الكلمات باعتبارها «قوى فعّالة» ؛ بها يؤثـر فيمن حولـه من أفراد . وبالمثل ، فإن الكلمات بالنسبة للإنسان البدائي هي «أدوات مهمة» . وزعم مالينوفسكي أن هنـاك أشياء مشتـركة بين الكلمـات والسحر ؛ لأن كـلا الوجهين يمدّه بالقوة .

وملاحظات مالينوفسكي عن اللغـة ـ باعتبـارها أسلوب عمـل ـ مفيدة ؛ فهي تذكرنا بأن اللغـة ليست مجرد عـرض للمعلومات . غيـر أن هناك سببين لكوننا لا نستطيع ـ كلية ـ أن نقبل مزاعمه :

فأولاً : هو يعتقـد أن فكرة أن اللغـة «أسلوب عمل» كـانت تُرى ـ على نحو واضح ـ في الاحتيـاجات «الأسـاسية» لـلإنسان مثلمـا وضحت في لغات الطفل أو الإنسان البدائي . لقد افترض أن اللغة التي تأملها كانت أكثر بدائية من لغتنـا ، وبالتـالي كانت مـرتبـطة أكثـر بـالاحتيـاجـات العملية للمجتمـع

البدائي . وبناء على هذا افترض أن صعوبات الترجمة كانت ناشئة عن الاختلاف في طبيعة اللغات ، وأن الحاجة إلى الاستشهاد بسياق الخال كانت أكثر أهمية عند معالجة اللغات البدائية . بيد أنه كان مخطئاً في ذلك ؛ فرغم أنه قد يكون هناك ناس «بدائيون» تنقصهم معرفة المتحضرين ومهاراتهم ليس هناك وجه لاعتبار أن لغتهم بدائية . وبالطبع كثير من اللغات قد لا يكون فيه مفردات المجتمع الصناعي العصري ، لكن هذا انعكاس لاهتمامات المجتمع ، وليس انعكاساً للطبيعة البدائية للغة . وبحدود لغوية خالصة ، يبدو حقيقياً أن ليست هناك لغة يمكن أن تعتبر أكثر بدائية من الأخرى - رغم أن مالينوفسكي ليس على الإطلاق هو العالم الوحيد الذي يزعم هذا . إن صعوبات الترجمة التي أشار إليها مالينوفسكي تنتج فقط عن «الفروق بين اللغات» ، وليس عن حقيقة أن لغة ما أكثر بدائية .

وثانياً : إن نظرات مالينوفسكي لا توفر الأساس لأي نظرية دلالية عملية . إنه لا يناقش الطرق التي يمكن بها تناول السياق بأسلوب منظم ، كي يفيد معنى . فضلاً عن هذا ، واضح تماماً - حتى مع سكان جزر التروبرياند - أن كثيراً من نشاطهم اللغوي لا يرتبط - بسهولة - بالسياق . فعلى سبيل المثال ، إنه يناقش الحكاية ؛ أي الإخبار بالقصص ، لكن السياق هنا - بالتأكيد - هو نفسه في الأوقات كلها (القصّاص وجمهور المستمعين) أياً ما كانت القصة . ولو أن السياق يؤخذ باعتباره تعريفاً للمعنى لكان للقصص كلها المعنى نفسه .

والحل عند مالينوفسكي كان استحضار «سياق ثانوي» (السياق داخل الحكاية) . لكن هذا ليس هل وضع يمكن ملاحظته حالاً ، ولا يمكن أن يحدّد موضوعياً بأكثر من كونه تصورات أو أفكاراً كان هو نفسه توّاقاً إلى استبعادها من المناقشة .

أما فيرث - المعلم الأول لعلم اللغة العام في بريطانيا - فقد اعترف بأنه

مدين لمالينوفسكي ، لكنه يحس بأن سياق الحال عند مالينوفسكي لم يكن مرضياً للاتجاه اللغوي الأكثر دقة وإحكاماً . فسياق الحال عند مالينوفسكي كان ذلك «الجزء من العملية الاجتماعية الذي يمكن تأمله منفرداً» ، أو هو «تلك السلسلة المتتابعة من الأحداث التي تكون على هيئة صور في رسم rebus» (أي مجموعة فعلية من الأحداث يمكن ملاحظتها) . لقد فضّل فيرث أن ينظر إلى سياق الحال باعتباره جزءاً من أدوات عالم اللغة ، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها . ولقد استخدم ـ أحسن ما استخدم ـ باعتباره «تنظيماً تخطيطياً مناسباً» ينطبق على أحداث اللغة . ولهذا اقترح الفصائل الآتية :

أ ـ الملامح الوثيقة بالمشتركين : الأشخاص ، الخصائص الذاتية المميزة :

١ ـ الحدث الكلامي للمشتركين .

٢ ـ الحدث غير الكلامي للمشتركين .

ب ـ الأشياء ذات الصلة بالموجوع .

جـ ـ تأثيرات الحدث الكلامي .

وبهذه الطريقة يمكن أن نجمع سياقات الحال ، ونصنّفها . وهذا ـ بالطبع ـ يكون جوهرياً لو أنه جزء من التحليل اللغوي للغة .

وقد مثل فيرث لاستخدام سياق الحال بتأمل حدث «نموذجي» باللهجة الكوكنية cockney [١] ، وهو جملة : ««أنا ذاهب لأحصل على واحدة لبيرت A hug gunna gi'wun fer Ber» . وسأل : «ما الحد الأدنى لعدد المشتركين ؟ ثلاثة ؟ أربعة ؟ وأين حدث هذا ؟ أفي حانة ؟ وأين بيرت ؟ أهو في الخارج ؟ أو هو يلعب لعبة الرشق بالسهام ؟ وما الأشياء التي لها صلة بالحدث ؟ وما تأثير الجملة ؟ أنت تقول : (هذا واضح)» .

---

(١) وهي لهجة أفقر أحياء لندن (المورد) (المترجم) .

ومن المهم أن نركّز على أن فيرث نظر إلى سياق الحال باعتباره جزءاً من أدوات اللغوي ، أو بالأحرى باعتباره أسلوباً من أساليب الوصف ، والنحو أسلوب آخر على مستوى مختلف ، لكن له الطبيعة المجرّدة نفسها . فعلم اللغة بالنسبة له كان ضرباً من التسلسل التدرجي لمثل هذه الأساليب التي وضعت لها صياغات المعنى . وهو هنا يستخدم قياس التمثيل بالطيف ، الذي ينتثر فيه الضوء إلى أطوال موجية متنوعة ؛ وبالمثل فإن علم اللغة سوف «ينشر» المعنى في «طيف من الصياغات الخاصة» . إذن ، فعند فيرث أن أنواع الوصف اللغوي كلها (أصوات ، والنحو . . إلخ ، وأيضاً سياق الحال) هي صياغات للمعنى . وبالتالي فإن وصف المعنى بالنظر إلى سياق الحال طريقة واحدة فقط ، بها يتناول اللغوي اللغة ، وهي ـ من حيث المبدأ ـ لا تختلف كثيراً عن الطرق الأخرى التي ينفذ بها مهمته .

* ولقد تعرضت نظرات فيرث ـ كثيراً ـ إلى النقد ، أو حتى إلى الرفض كلية ، غير أن تلك الانتقادات عجزت عن أن تفهم ـ على نحو دقيق ـ ما كان فيرث يحاول أن يقوله . ولذلك يجدر بنا أن نتأمل بعضها ؛ لأن هذا قد يجعل وجهات نظر فيرث أوضح :

فأولاً : يقال إنه اتهم في الغالب بالغموض في استخدامه لكلمة «معنى meaning» ، لأنه في حين أن سياق الحال قد يعالج المعنى بالمفهوم المعتاد ـ أي المفهوم «الدلالي» ـ فمن الواضح أن المستويات الأخرى (النحو . . إلخ) ليست معنية بالمعنى بالمفهوم نفسه ، ولهذا فعند ادعاء أن المستويات كلها هي صياغات للمعنى ، وأن سياق الحال هي ـ بالتالي ـ مستوى من مجموعة مستويات مشابهة ، كان فيرث يستخدم «المعنى» ـ على قصد أو عن غير قصد ـ وبمفهومين مختلفين ، أحدهما : مفهوم تقليدي legitimate ، والآخر ذو اتجاه سلوكي خاص idiosyncratic .

وهذا النقد ليس منصفاً أبداً لأسباب ثلاثة : أولاً : قد يكون هذا

صحيحاً لو أننا نقبل بوجود منطقة للبحث اللغوي تعالج علاقة اللغة والحياة خارج تلك التي تتميز ببحث الخصائص الداخلية للغة . لكن ـ كما رأينا ـ كثير من اللغويين قصر علم الدلالة على «الارتباطات الحسية» ، فدراسة المعنى ـ بالنسبة لهم على الأقل ـ لا تختلف كثيراً ـ في النوع ـ عن النحو ؛ لأن كلًا منهما سيبدو علاقة من العلاقات الواقعة داخل اللغة intr - linguistic . وأنا لا أقبل وجهة النظر هذه ، لكن أشير فقط إلى أن فيرث لم يكن الوحيد الذي نظر إلى دراسة المعنى بهذا المفهوم الدلالي الضيق ، باعتبار أنها لا تختلف ـ من حيث المبدأ ـ عن دراسة النحو . ثانياً ، رأينا في مناقشة «الحس» و«الإشارة» (الفصل الثالث من الباب الثاني) أن من الممكن ـ ومن حيث المبدأ ـ أن نقرر ماذا «في الحياة» وماذا «في اللغة» . ولو كان هذا كذلك ، لكان علينا أن نمدح فيرث ، لا أن ننقده ، لرفضه أن يضع تمييزاً واضحاً داخل مستويات الوصف بين المستوى الذي يعالج اللغة والحياة والمستويات التي تكون ـ كلية ـ داخل اللغة . ثالثاً ، لم يقدم فيرث أي نموذج لغوي «يتكشف عن وحدة متراصة وتناغم كلّي «يمكنه ـ نظرياً على الأقل ـ أن يصف اللغة وصفاً تاماً . وفي الواقع إنه لم يعتقد أن نموذجاً كهذا كان ممكناً ، حتى من حيث المبدأ (رغم أن اللغويين كلهم افترضوا أن مثل هذا النموذج ليس ممكناً فقط ، بل هو أساسي) . إن اللغوي ـ قياساً إلى فيرث ـ يضع صياغات جزئية فقط للمعنى ، قائلاً ما يستطيع عن المعنى وحيثما يستطيع ، وقاطعاً إياه في أماكن مختلفة مثل قطع الكعكة . فليست هناك حاجة ـ في هذه الرؤية ـ للتمييز بين الصياغات التي تكون للمعنى ، وتلك التي لا تكون .

وهناك انتقاد آخر لوجهة نظر فيرث : هو أنها ليس لها إلّا قيمة محدودة للغاية ، لأنها لن تذهب بنا بعيداً . فسياق الحال قد يكون صحيحاً بالنسبة لمثال اللهجة الكوكنية أو أقوال الرقيب المدرِّب : «استرح ـ راحة» ، لكن ليس للأغلبية الضخمة من الجمل التي نصادفها . غير أن هذا لا يثبت أن

فيرث كان مخطئاً . فلو أننا لا نستطيع أن نذهب بعيداً مع سياق الحال ، فإن هذا ربما لا يكون أكثر من انعكاس لصعوبة قول أي شيء عن علم الدلالة ، وبالتأكيد أن نقول قليلاً خير من ألاّ نقول شيئاً على الإطلاق . ويجب أن نتذكر أيضاً أن فيرث اعتقد أننا لا نستطيع أن نفوز بالمعنى كله . وربما يكون الاستنتاج الحقيقي أننا نحتاج إلى أساليب فنية أكثر تطوراً من الأساليب الحالية لدراسة سياق الحال .

من السهل أن نسخر من النظريات السياقية ـ مثلما فعل بعض العلماء ـ وأن نرفضها باعتبارها غير عملية. لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الكلمات والجمل يرتبط بعالم التطبيق . إن مزية اتجاه فيرث أنه شرع في عرض صياغات جزئية للمعنى حسب . وقد يكون هذا هو كل ما نأمل بلوغه في أي وقت .

الفصل الثالث

السلوكية

Behaviourism

اعتقد مالنيوفسكي وفيرث أن وصف لغة لا يمكن أن يكون كاملاً دون إشارة إلى سياق الحال الذي أدت فيه اللغة وظيفة ما. وهناك رؤية أكثر تطرفاً، ترى أن من الممكن تفسير معنى العناصر اللغوية بالنظر إلى الموقف الذي يستخدم فيه. فالموقف ـ علاوة على ذلك ـ قابل للتعريف بحدود تجريبية أو فيزيائية. إنها السلوكية التي ترتبط أولاً بعلم اللغة عند بلومفيلد. إن نقطة البداية عند بلو مفيلد لم تكن ملاحظته للأحداث اللغوية كاعتقاده في طبيعة موضوعه «العلمية». لقد أكد بالدليل أن القوانين العامة الوحيدة المفيدة بالنسبة للغة هي «القوانين الاستقرائية inductive». وعرّف معنى الصيغة اللغوية بأنه «الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى، والاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع».

وهذه الفكرة تمتد إلى أبعد مما ذهب إليه كل من مالينوفسكي وفيرث. فهما قد حدّدا صياغات المعنى بالنظر إلى الموقف، وبلومفيلد يعرف المعنى ـ أساساً ـ باعتباره الموقف.

وقد وضح بلومفيلد رؤيته بوصف حدث يدور بين «جاك وجيل». فجيل تحس بالجوع، وترى تفاحة، فتطلب ـ عن طريق استخدام اللغة ـ من جاك أن يحضرها لها. ولو كانت وحدها (أو لو لم تكن إنساناً) لاستقبلت ـ أولاً ـ المثير (S) الذي سوف ينتج رد الفعل (R) (مصطلح

استجابة أكثر إلفاً)، ولقامت بحركة لتحصل على التفاحة. ويمكن رسم هذا بيانياً على النحو التالي:

المثير S ——————> R الاستجابة

ومع ذلك، فلأن جاك كان معها، لم ينتج المثير الاستجابة R، لكن أنتج استجابة لغوية - هي التكلم إلى جاك - التي قد نرمز إليها بالحرف r. وتخلق الموجات الصوتية الناتجة من هذا اتباعاً مثيراً لجاك هو مثير لغوي (S)، يؤدي إلى استجابة غير لغوية R للحصول على التفاحة. فنحن الآن أمام صورة أكثر تعقيداً هي:

S ————> r - - - - - - - S ————> R

إن المعنى عند بلومفيلد يتكون بالربط بين الكلام (الذي يُرى في S - - - - r) والأحداث العلمية (S) و (R) التي تسبقه أو تتلوه.

وفي النظرية نقطة مهمة هي أن المثير والاستجابة هما أحداث فيزيائية؛ فالأمر بالنسبة لجيل هو أن موجات ضوئية تنفذ إلى عينيها، وأن عضلاتها تتقلص، ومواد سائلة تفرز من معدتها، وفعل جاك ليس أقل فيزيائية.

ولقد بذل بلومفيلد جهداً عظيماً ليقابل نظريته «الميكانيكية» «العقلية» التي تفترض وجود عمليات غير فيزيائية مثل الأفكار والتصورات والصور الذهنية والمشاعر.. إلخ. إنه لم ينكر أن لدينا مثل هذه الصور الذهنية والمشاعر.. إلخ. لكنه فسّرها على أنها مصطلحات شائعة خاصة بالحركات الجسمية، أو الأحداث التي يكون المتكلم وحده على علم بها (كما في: أنا جوعان)، أو الخبرات الخاصة (المثيرات الداخلية الغامضة)، أو الحركات غير الصوتية لأعضاء النطق. فضلاً عن ذلك فهو يضمّن الموقف العلاقات التي تحدث بين جاك وجيل كلها. فلو أن جيل كانت خجولاً لما تصرفت بالطريقة نفسها، ولو أن جاك كان يتخذ موقفاً عدائياً منها لما ذهب وأحضر

التفاحة. وهذا يعني أن الكلام والأحداث العملية تعتمد على «عوامل مهيئة Predisposing factors» تتكون من «تاريخ حياة المتكلم والسامع».

وقد يكون حسناً أن كل نشاط يقبل التفسير - من حيث المبدأ - بالنظر إلى الكيانات والأحداث الفيزيائية، والكيمياء، والمغناطيسية الكهربائية.. إلخ، يؤثر في خلايا المخ الإنساني. لكن في ضوء المعرفة الإنسانية الحالية، هذا ليس أكثر من مسألة إيمان، مجرد اعتقاد في الطبيعة الفيزيائية للنشاط الإنساني كله. ومع ذلك فالنظرية لا قيمة لها عند اللغويين؛ إذ لا سبيل إلى معرفة الحقائق، خاصة تلك التي تهم العوامل المهيئة، وهي ليست عرضة للملاحظة أكثر من الأفكار والصور الذهنية.. إلخ، التي قال بها العقلانيون واستخف بها بلومفيلد. إن الحديث عن العوامل المهيئة - في حالة معرفتنا الحالية - يدخلنا في حلقة مفرغة من المناقشات كما حدث في تناولنا للتصورات (الفصل الثاني في الباب الثاني).

كان لبلومفيلد إيمان غريب - في غير موضعه - بالعلم والوصف العلمي. لقد تكهّن (بطريقة غير صحيحة كما ثبت في النهاية) أن مشكلات علم وظائف الأصوات كلها سوف تحل خلال عقود قليلة من السنوات داخل «معمل الأصوات Phonetics laboratory». وأكثر من هذا زعم أننا نستطيع أن نعرّف معنى الصيغة الكلامية على نحو دقيق «عندما يرتبط هذا المعنى بمسألة لنا بها معرفة علمية». وضرب مثلاً «بالمعنى الشائع لكلمة ملح» باعتبارها «كلوريد الصوديوم Na Cl (انظر الفصل الأول من الباب الثاني). بصرف النظر عن حقيقة أنه ليس واضحاً كيف يرتبط هذا المعنى بنموذج المعنى الموضح عن طريق جاك وجيل (ربما مسألة تعريف ظاهري) ، فإن الواضح - حقيقة - أن بلومفيلد مخطىء. فليس هناك سبب على الإطلاق كي نجادل بأن التعريفات العلمية أكثر دقة - من حيث اللغة - من التعريفات غير العلمية. إن دقة التعريف العلمي تخدم غرض العالِم، لكنها لا ترتبط بأي

حال باللغة الإنسانية. إنها ليست جزءاً من علم اللغة «يرتب» اللغة عن طريق جعلها أكثر «علمية» بهذه الطريقة.

إن نظرية بلومفيلد تفقد سلطانها عندما ندرك أن كثيراً من العوامل المهيئة الوثيقة غير معروف، أو لا سبيل إلى معرفته. إن النظرية الأكثر قابلية للتطبيق هي تلك التي تعرّف المعنى - جملة - بالنظر إلى المثير الملحوظ والاستجابة. إنها سلوكية من النوع الذي يفضله بعض علماء النفس؛ النوع الذي يمكن إثباته في المعمل مع الفئران ومخلوقات أخرى، تستجيب - بطرق محددة بإحكام - لمثير معين واضح ودقيق. لقد حددت النظرية بما يمكن ملاحظته، ولا شيء يقال عن التركيب الداخلي للكائن الحي (هذا ينتج من جهلنا بعلم وظائف الأعضاء العصبية، فنحن - علمياً - نقتصر على السلوك الخارجي والأحداث الخارجية).

والسؤال هو ما إذا كنا نستطيع أن نطبق هذا النموذج على اللغة الإنسانية. هل نستطيع أن نفترض نظرية الإنسان فيها - بالنظر إلى الكلام:

(أ) يُعطَى مثيراً.
(ب) وينتج استجابة؟

طبقاً لما ذهب إليه سكنر B.F. Skinner يمكننا ذلك. ومع هذا فنظريته تسمح - كما لا بد أن تسمح - بأن ينتج المثير نفسه استجابات مختلفة. وفسر هذا بالنظر إلى «التقوية reinforcement» التي تكون فيها الاستجابات مشروطة - جزئياً - بالخبرات السابقة. إنها فكرة مشابهة لفكرة بلومفيلد عن العوامل المهيئة.

غير أن النظرية تذهب أدراج الرياح عندما ندرك أن المسألة ليست على الإطلاق أن مثيرات خاصة موجودة وملحوظة تنتج استجابات لغوية محددة. وهناك فقرة مشهورة وطريفة في مقالة نقدية كتبها تسومسكر عن كتاب سكنر، ناقش فيها إمكان أن يقول أحدنا عند رؤية صورة: «إنها تفوق كل ما رئي أو

سمع Dutch». فلدينا المثير (الصورة) والاستجابة (اللغوية). لكن تشومسكي يشير إلى أن مجموعة متنوعة من الاستجابات ممكنة، بما في ذلك: «يصطدم بورق الجدران» ، أو «يتذكر رحلة المعسكر الصيف الماضي». ويمكن تفسير مجموعة الاستجابات لو افترضنا أن المثيرات الموجهة هي أيضاً مختلفة ، وأن الاستجابة ليست محددة فقط بمنظر الصورة، لكن يجب أن نأخذ في الاعتبار ملامح التقوية كلها. وهنا صعوبة جوهرية هي أننا لا نستطيع أن نحدد ـ على نحو دقيق ـ ما المثيرات الموجهة إلاّ بالرجوع إلى موضعها الأصلي من الاستجابات. لأن النقطة الأساسية في النظرية هي أن الاستجابات قابلة ـ من حيث المبدأ على الأقل ـ لأن يتنبأ بها عن طريق المثيرات، إذن فالنظرية الآن تصبح فارغة؛ لأن المثيرات ـ في التطبيق ـ يمكن تحديدها من الاستجابات حسب. وهكذا ليس هناك إمكان للتنبؤ، وليس هناك تفسير علمي على الإطلاق.

الفصل الرابع

النسبية اللغوية

Linguistic relativity

إن جزءاً من صعوبة ربط اللغة بالعالم الخارجي قد ينشأ من حقيقة أن الطريقة التي نرى بها الحياة تعتمد ـ لدرجة ما ـ على اللغة التي نستخدمها. وما دمنا نصف أشياء ممارستنا بمساعدة اللغة، فقد تكون القضية أن معرفة الحياة ومعرفة اللغة هما نشاطان لا يمكن أن يكونا منفصلين. وبناء على هذا فحياتنا تحددها ـ إلى حدٍ ما ـ لغتنا. وقد زعم مالينوفسكي أن لدى البدائيين أسماء لهذه الأشياء التي تبرز لهم من «حياة غير مميزة» مِّن نوع آخر. بمعنى أنهم من كتلة مضطربة من الخبرة يختارون ـ عن طريق الكلمات ـ هذه الأجزاء التي تناسبهم.

وقد اتخذ بعض العلماء وضعاً متطرفاً تماماً في هذا، فزعم «سابير Edward Sapir» ـ على سبيل المثال ـ أن الحياة التي نعيش فيها «مبنية إلى حدٍّ بعيد، وعن غير قصدٍ، على العادات اللغوية للجماعة». وكتب «هورف» بالتفصيل عن وجهة النظر هذه وشرحها، وصارت معروفة «بفرضية سابير ـ هورف». وزعم هورف أننا لسنا على علم بخلفية لغتنا، مثلما أننا لا نكون على علم بوجود الهواء إلى أن نشعر باختناق، وأننا لو نظرنا إلى لغتنا لأدركنا أن «اللغة» لا تعبِّر عن أفكار فقط، بل «تجسد الأفكار»، وأننا نحلل الطبيعة عبر خطوط ترسمها لغاتنا الأصلية»، وقاده هذا إلى «مبدأ جديد للنسبية التي تعتبر أن الناظرين كلهم لا يقودهم البرهان الفيزيائي نفسه إلى صورة

العالم نفسها، ما لم تكن خلفياتهم اللغوية متشابهة، أو ـ إلى حد ما ـ يمكن أن تتدرَّج».

وفي مقالة لهورف قدم دليلاً ـ مَن أنواع عدة ـ على وجهة نظره ـ فأولاً: زعم أن ليس في الحقيقة تقسيم يماثل الأسماء والأفعال في الانجليزية. إذ لماذا نستخدم أسماء لـ «البرق lightning، والشرارة spark، والموجة wave، والدوَّامة eddy، والنبض pulsation، واللهب flame، والعاصفة storm، والطور phase، والدورة cycle، والنوبة spasm، والضوضاء noise، والعاطفة emotion؟ وفي اللغة الأمريكية الهندية المسماة hopi أحداث الدوام قصير الأمد كلها (تشملها ـ تقريباً ـ الأسماء الانجليزية المذكورة آنفاً) تمثلها أفعال. وفي لغة أمريكية هندية أخرى لا تمييز بين الاسم والفعل على الإطلاق؛ فبدلاً من قولنا: The is a house» تظهر الصيغة (عند ترجمتها) على النحو التالي: «A house occurs» . وثانياً: كما ذكرنا (في الفصل الأول من الباب الثاني) فإن لغة Hopi فيها كلمة واحدة تعني الحشرة والطيار والطائرة، في حين أن الإسكيمو عندهم ثلاث كلمات للتعبير عن الجليد. ونستطيع أن نضيف إلى هذا أن لبعض الصيغ في اللغة العربية عدداً كبيراً من الكلمات (قد يصل إلى المائة) الخاصة «بالجمل»[1]. وثالثاً: زعم هورف أن لغة Hopi تُظهر أن المتكلمين بها ليس عندهم فكرة عن الزمن. والتمييز الوحيد الذي يضعونه هو بين ما هو ذاتي subjective وما هو موضوعي objective؛ فالذاتي يشمل كلاً من المستقبل وكل شيء «عقلي». ومع ذلك لا فرق (في اللغة ـ وبالتالي ـ عند الـ Hopi أنفسهم) بين البعد في الزمن والبعد في المكان.

وليس واضحاً ما إذا كان سابير وهورف قد اعتقدا أن «شكل» الحياة تحدده ـ على نحو تام ـ لغتنا؛ أعني أن الحياة دون لغة ليس لها شكل على

(١) ذكر السيوطي «للعسل ثمانين اسماً» «وللسيف أكثر من خمسين اسماً» (المزهر جـ ١ ص ٤٠٧ ـ ٤١٣) (المترجم).

الإطلاق، ومثل هذا التفسير المتطرف يتعذر الدفاع عنه، للسبب الذي قلناه عن الرؤية الإسمية للكلمات؛ من أنها فقط أسماء للأشياء. فاللغة لو كانت تصنّف الممارسة وتبوبها فلا بد أنها تفعل هذا على أساس بعض الخصائص اللغوية المستقلة من هذه الخبرة؛ بمعنى أن هناك حياة يجب أن نشارك فيها بقطع النظر عن اللغة التي نستخدمها. وعلاوة على ذلك، فما لم يكن هنا عالم التطبيق غير اللغوي الممكن إدراكه، فمن الصعب أن نرى كيف نستطيع أن نتعلم اللغة أو نستخدمها مع جيراننا بطريقة صحيحة.

إن مناقشات هورف - كما تبدو - ليست مقنعة تماماً. فلو لم تكن لدينا «صورة العالم» نفسها، مثل متكلمي اللغات الأخرى، فلدينا - رغم هذا - الصورة التي يمكن أن ترتبط - إلى حدٍّ ما - بالصورة التي لدى الآخرين و «تصورها بالتفصيل». وهذا تثبته حقيقة أننا نستطيع أن نفحص لغات أخرى (كما فعل هورف)، وأننا نستطيع أن نترجم. فقد يكون حقيقياً أننا لا نستطيع أبداً أن نستوعب «عالم» اللغات الأخرى أو نفهمه، لكن من الواضح للغاية أننا نستطيع أن نكتسب فهماً واضحاً عنها. ولو كانت الصور مختلفة تماماً لما أمكننا فعل ذلك. وبالمثل، إننا غالباً ما نقابل صعوبات في الترجمة، لكننا لا نعجز أبداً عن الترجمة من لغة إلى أخرى. وقد لا يكون هناك تساوٍ تام، لكن اللغات لا تختلف كلية.

إن كثيراً مما زعمه هورف واهن؛ فهو يجادل انطلاقاً من خصائص نحوية ملحوظة وعرفية معينة «لنموذج الكون». ونموذج الـ Hopi بالنسبة له يؤسَّس - بصورة عامة - على النظام الكلامي. لكن بمناقشة مماثلة نستطيع أن نزعم أن الإنجليزية أيضاً ليس لديها تصور عن الزمن. دعنا ننظر باختصار إلى نظام صيغة الفعل في الانجليزية (ولتفصيل أكثر انظر: palmer 1974). من الناحية الصورية في الإنجليزية زمنان للفعل فقط: الماضي والمضارع، كما في المثالين: «loved — love». أما الأزمنة الأخرى كلها فهي صيغ مركبة بما فيها «الأفعال المساعدة auxiliary»، was loving، will love، . . إلخ، وهذه

ليست ـ على وجه الدقة ـ جزءاً من نظام الزمن «الأساسي» (وبهذا المفهوم ليس في الإنجليزية زمن للمستقبل). وعلاوة على هذا فإن الزمن «الماضي» ليس ـ من الناحية الدلالية ـ مجرد مسألة إشارة للزمن الماضي. إذ إنه قد يشير إلى الزمن الماضي كما في قولي: «أنا ذهبت إلى هناك أمس I went there yesterday»، لكنه يستخدم كذلك في «اللاحقيقة» كما في قولك: «لو ذهبت If I went tomorrow , I should see him»، أو قولك: «تمنيت أن... I wish I went there everyday». (إنه ليس تعليلاً، عرضياً، أن نقول إن هاتين صيغتان «شرطيتان» أكثر من كونهما «زمناً» للماضي، لأن الصيغتين هما أنفسهما مثل تلك الصيغ التي للزمن الماضي، ولو أن مصطلح «ماض» يبدو مضللاً إذا طبقناه على كلتيهما، إننا نستطيع أن نشير إليهما على أنهما صيغتان «للزمن ٢ Tense 2». لاحظ أنه حتى الصيغة غير القياسية «went» تستخدم ـ على حد سواء ـ للزمن الماضي واللاحقيقة، وسوف يكون توافقاً جديراً بالملاحظة لو كان هذا زمناً ماضياً وشرطياً، وليس مجرد «زمن ماض» أو «زمن ٢»). لقد زعم «جوس M. Joos» بالفعل أن الإنجليزية ليس فيها زمن ماض، بل زمن «بعيد remote»، للدلالة على ما هو بعيد في الزمن أو بعيد في الحقيقة. وهذا يجعل الانجليزية أكثر تشابهاً للغة Hopi، ومن السهل أن نقول إن الانجليزية لو كانت لغة هندية أمريكية لاستخدمناها مثالاً للغة التي لا تتميز فيها علاقات الزمن. لكن قليلاً منا سوف يعتقد أن متكلمي الانجليزية يعجزون عن إبراز مثل هذه الفروق الزمنية. وواضح أن البنية النحوية للغة تخبرنا ـ قليلاً ـ عن أسلوب تفكيرنا في الحياة.

الباب الرابع
البنيــة المعجميــة

ويتضمن الفصول التالية:

(١) الترادف.
(٢) تعدد المعنى والاشتراك اللفظي.
(٣) التنافر.
(٤) الاشتمال.
(٥) التضاد.
(٦) المقابلات ذات الارتباط.
(٧) المكونات.

الباب الرابــع
البنية المعجمية

Lexical Structure

سنقترب في هذا الفصل من مشكلة المعنى، من وجهة نظر «الارتباطات الحسية». وسنبدأ ببعض الفصائل التقليدية المألوفة، ثم نعرض بعض الفصائل الجديدة. وفي النهاية سوف نتأمل كيف يمكننا أن نتناول مثل هذه الارتباطات داخل إطار «تركيبي structural».

الفصل الأول

الترادف

Synonymy[1]

تستخدم كلمة «الترادف» في معنى «تماثل» المعنى sameness. ومن الواضح أن كثيراً من مجموعات الكلمات ـ بالنسبة لمصنف المعجم ـ تحمل المعنى نفسه، فهي مترادفات، أو ترادف كل منها الأخرى. الأمر الذي يسهّل لها تعريف كلمة مثل «مهرجان gala» بأنها «fastivity»، أو كلمة مثل «السمنة mavis» بأنها «thrush»، رغم أن هناك استخداماً ـ على نطاق ضيق ـ لهذا المنهج حين تكون الكلمة غير معروفة بالنسبة للقارىء، مثلما نعرّف كلمة «hoatzim» بأنها «stink - bird»؛ أو كلمة «neve» بأنها «firm». وبالطبع إن المعجمات نادراً ما تعوّل على الترادف، لكنها تضيف تفصيلات وصفية، كي تنوّر القارىء.

وكثيراً ما يزعم البعض أن الإنجليزية ـ على وجه الخصوص ـ غنية بالمترادفات؛ لسبب تاريخي هو أن مفرداتها أتت من مصدرين مختلفين؛ من الأنجلو سكسونية من ناحية، ومن الفرنسية واللاتينية واليونانية من ناحية أخرى. فلأن الانجليزية تعتبر لغة جرمانية ـ من وجهة النظر التاريخية ـ مع الأنجلو سكسونية، كمرحلة مبكرة من تطورها، الكلمات «الأنجلوسكسونية»

---

(١) عن ظاهرة الترادف ووقوعها في العربية، وأسبابها ونتائجها انظر: (المزهر جـ ١ ص ٤٠٢ ـ ٤١٣؛ د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص ١٧٤ ـ ٢١٥؛ د. كمال بشر: دور الكلمة في اللغة، د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٢١٥ ـ ٢٣١، جون لاينز: علم الدلالة ـ ترجمة مجيد الماشطة وآخرين ص ٧٣ ـ ٨٣). (المترجم).

غالباً ما تعتبر «الأصل»؛ في حين الكلمات الفرنسية أو اللاتينية أو اليونانية «دخيلة»، «مستعارة» من هذه اللغات. غير أن المصطلحين «أصلي» و «دخيل» مضلّلان، لأن معظم الكلمات ـ مهما كانت مصادرها ـ هي في الجملة جزء أساسي وطبيعي من اللغة الإنجليزية؛ وفوق ذلك قد تكون بعض الكلمات «الأصلية» استعيرت بالفعل من لغة أخرى في وقت ما في الماضي البعيد. ومما يؤسف له أننا نجد اقتراحات لإزالة العنصر «الدخيل» من اللغات، فالفرنسيون يستهجنون «الكلمات الإنجليزية التي تشيع الآن في العامية الفرنسية Franglais»، في حين أن سكان إقليم ويلز بإنجلترا يقضون الوقت ويرصدون المنح التعليمية ليجدوا بدائل للكلمات «الإنجليزية» في اللغة، رغم أنهم سعداء باستبقاء الكلمات «اللاتينية» التي دخلت في عصر الامبراطورية الرومانية.

ورغم ذلك صحيح أن هناك ثنائيات من الكلمات: «الأصلية» و «الدخيلة»، فلدينا كلمة «أخوي brotherley» وكلمة « fraternal»، كلمة «يشتري buy»، وكلمة «purchase»؛ كلمة «عالم world» وكلمة «universe»، وغير ذلك من الكلمات الكثيرة. والكلمات «الأصلية» غالباً ما تكون أقصر وأقل اكتساباً عن طريق التعلم، أما الكلمات ذات الحروف الأربعة (بالمعنى الحرفي) فغالباً ما تكون من الأنجلوسكسونية. وهناك أمثلة أيضاً للثلاثي؛ كلمة «أصلية» ، وأخرى من الفرنسية ، وثالثة من اللاتينية مباشرة : «ملكيّ regal, royal, kingly» (رغم أن الكلمة ذات الأصل الفرنسي royal هي اليوم أكثر شيوعاً).

ومع ذلك يمكن أن يؤكد بالدليل أن ليس هناك مترادفات حقيقية؛ أن ليس هناك كلمتان لهما ـ تماماً ـ المعنى نفسه. وسيبدو بعيد الاحتمال أن كلمتين تحملان المعنى نفسه سوف تعيش كلتاهما حية في اللغة. ولو نظرنا إلى المترادفات الممكنة لتوصلنا إلى طرق خمس لبيان أوجه الاختلاف بينهما:

أولاً : تنتمي بعض المجموعات المترادفة إلى لهجات dialects مختلفة من اللغة. وعلى سبيل المثال فإن كلمة «الخريف fall» تستخدم في الولايات المتحدة وفي بعض الأقاليم الغربية من بريطانيا، في حين أن آخرين يستخدمون كلمة «autumn». وأعمال المتخصصين في دراسة اللهجات dialectologists مليئة بأمثلة كهذه. فهم يهتمون - على وجه الخصوص - بالكلمات الخاصة بالزراعة، على أساس أنك - حيثما عشت - سوف تطلق الكلمات: «cowshed، أو cawhouse، أو زريبة byre»، «haystack، أو hayrick، أو haymow». حتى الكلمة المألوفة «صنبور tap» هي إما «faucet» وإما «spigot» في معظم الولايات المتحدة. لكن هذه المجموعات من الكلمات ليست ذات فائدة على الإطلاق عند علماء الدلالة. فإن وضعها ليس مختلفاً عن مرادفات الترجمة من لغات مثل الإنجليزية والفرنسية. إنها مجرد مسألة أفراد ينطقون بصيغ مختلفة من اللغة، وعندهم مواد معجمية مختلفة.

ثانياً : هناك موقف مشابه - لكنه أكثر إشكالاً - مع الكلمات التي نستخدمها «بأساليب styles»، أو «قدرات صوتية registers» مختلفة. فعبارة «رائحة كريهة A nasty smell» قد تعني - في وضع مناسب - «تبخر غير مرئي وبخاصة رائحة بغيضة an abnoxious effluvium» أو «احتجاج رهيب an'orrible stink». فالأولى هي - بالطبع - أسلوب هزل ممتاز «posh»، أما الأخيرة فكلمة عامية. وهناك ثلاثيات متشابهة (رغم أنها ليس فيها الخصائص الأسلوبية نفسها، وإنما تختلف - على الأصح - في درجات التزام الشكل) هي: «رجل chap, man, gentleman»؛ «مات pop off, die, pass away». إن التعامل مع هذه الكلمات يشكل صعوبة أكثر، لأن هناك فرقاً أقل وضوحاً بين الأساليب منه بين اللهجات

المحددة جغرافياً. إننا لا نتحول عادة من لهجة إلى أخرى، لكن نستطيع ـ داخل محادثة فردية ـ أن نغير أسلوبنا، وعلى وجه الخصوص نستطيع أن نغيّر المواد المعجمية لنكسب تأثيرات مختلفة. إذن فالمشكلة هي ما إذا كنا سنعامل تغيير الأسلوب على أنه تغيير من «لغة» إلى أخرى، أو على أنه تغيير داخل لغة مفردة. إذا كان الأول، إذن فالمترادفات الأسلوبية لن تكون لها فائدة أكثر من المترادفات اللهجية أو الكلمات المساوية في الإنجليزية أو الفرنسية. وإذا كان الأخير فعلينا أن نقول إن الفروق الأسلوبية يمكن أن تكون دلالية. ويمكننا أن نقبل ـ إلى حدٍّ ما ـ وجهة النظر التي تقول بأننا لو تحولنا من أسلوب إلى أسلوب لنكسب تأثيراً، لكان هذا ملمحاً دلالياً. غير أن هناك اعتراضاً رئيساً على هذا؛ فإننا ـ عند تغيير الأسلوب ـ قد لا نغير المفردات فقط، بل النحو والأصوات كذلك. ومن الصعب أن ندخل الفروق الأسلوبية كجزء من النظام الصوتي أو النحوي، لكن الأسهل أن نتناولها على أنها «لغات» مختلفة لكنها مرتبطة، مثل اللهجات. ولو طبقنا هذا على المترادفات الأسلوبية لما حصرناها داخل علم الدلالة. غير أننا نترك الأسلوب ـ كموضوع خلاف ـ لبحث منفصل.

ثالثاً : كما رأينا في الفصل الرابع من الباب الثاني، قد تقال بعض الكلمات لتختلف فقط في معانيها العاطفية أو التقييمية evaluative. ويظل باقي معناها ـ معناها «الإدراكي» ـ كما هو. ومن أمثلة ذلك الكلمات: «سياسي politician/ رجل دولة statesman»، «يخفى hide/conceal»، وثلاثي آخر يتألف من الكلمات: «بخيل stingy، اقتصادي economical، مقتصد thrifty»، وهناك المشكلة المرتبطة بمعنى كلمات مثل: «فاشيّ fascist» و«ليبرالي liberal». فمثل هذه المشكلات غالباً ما يناقش

بالتفصيل في كتب علم الدلالة. إنها بالطبع تهتم بالطريقة التي تستخدم بها هذه الكلمات في إقناع الآخرين أو التأثير عليهم، أو في الدعاية.. إلخ. ومع ذلك من الخطأ أن نحاول أن نفصل المعنى العاطفي أو التقييمي عن المعنى «الإدراكي» «الأساس» للكلمات، وذلك لأسباب ثلاثة: فأولاً، مثلما قلت، ليس سهلاً أن نحدد بالضبط المعنى الإدراكي وليس معقولاً ـ بالتأكيد ـ أن نحاول أن نعرّف معنى كهذا بالإشارة إلى «خواص» فيزيائية. خاصة أننا لا بد أن نلاحظ أن الكثير من الأفعال والصفات ـ بهذا المفهوم ـ لن يكون له إلاَّ معنى إدراكي بسيط، أو لن يكون له معنى إدراكي على الإطلاق. وثانياً، في الإنجليزية كلمات تستخدم «على نحو صرف» في أغراض تقييمية، أكثرها وضوحاً الصفتان «حسن good، سيء bad» ، لكن لا يفترض ـ في العادة ـ أن ليس لهما معنى إدراكي. ومثل هذه الكلمات له فائدة عند الفلاسفة الأخلاقيين، غير أنني أعتقد أن لا مكان لها في علم اللغة. وثالثاً، إننا نطلق أنواع الأحكام كلها، ولا نحكم فقط بقولنا: «حسن. وسيء». إننا نقدر الحجم، ونستخدم كلمات مناسبة مثل: «قزم/ عملاق، تل، جبل. إلخ» ، ونطلق أنواعاً أخرى من الأحكام في اختيارنا للكلمات. إن معنى الكلمات ليس مجرد مسألة حقائق «موضوعية»؛ إذ إن كثيراً منه يكون «ذاتياً»، ونحن لا نستطيع أن نميز بين الاثنين على نحو واضح.

رابعاً : بعض الكلمات مقيد من حيث التنظيم (انظر إلى الفصل الثاني من الباب الخامس)؛ بمعنى أن الكلمة تظهر فقط وهي مقترنة بكلمات أخرى. فمثلاً كلمة «زنخ rancid» تظهر مع كلمة «لحم خنزير مقدد bacon» أو كلمة «زبد butter»، وكلمة «فاسد addled» تظهر مع كلمة «بيض eggs» أو كلمة «أدمغة brains». ولا يبدو هذا

مسألة «معنى»، بل هو مسألة «ملازمة». وربما يمكننا أن نزعم أن هذه مترادفات ـ تختلف فقط في أنها تظهر في سياقات مختلفة. ومع ذلك اعتقد بعض العلماء بالفعل ـ كما سنرى بعد قليل ـ أن اختبار المترادفات يكمن فيما إذا كانت تظهر في سياقات مماثلة!

خامساً : واضح أن القضية هي أن كلمات كثيرة تكون قريبة في المعنى، أو أن معانيها تتداخل؛ بمعنى أن هناك معنى فضفاضاً للترادف. وهذا هو النوع الذي يستغله مصنف المعجم. وعلى سبيل المثال، لكلمة «ناضج mature» (صفة) مترادفات ممكنة هي : «due perfect, ripe, adult»، وقد نزعم أن كلمة «يدير govern» لها مترادفات هي : «require, determine, control, direct»، في حين أن كلمة «فضفاض loose» (صفة) لها مجموعة أكبر من المترادفات هي : «slack, inattentive, unbound, lax, vague, relaxed, free, inexact.. إلخ» ولو بحثنا عن مترادفات لكُل كلمة من هذه الكلمات أنفسها، لكنّا أمام مجموعة أخرى لكل كلمة، ولانصرفنا ـ بالطبع ـ بعيداً عن معنى الكلمة الأصلي. والمؤسف أن المعجمات (ما عدا المعجمات الكبيرة) لا تخبرنا إلاّ بالقليل عن الصلة بين الكلمة ومترادفاتها الموضحة لها، أو بين المترادفات ذاتها.

إننا لو كانت لدينا طريقة لاختبار الترادف لكان هذا مفيداً. إن الاستبدال ـ استبدال كلمة بكلمة ـ ربما يمثل طريقة. لقد زعم أن المترادفات الحقيقية أو التامة ـ من حيث التبادل ـ قابلة للتبادل في سياقاتها كلها. لكن القضية هي أنه ليس هناك ـ على وجه التقريب ـ مترادفات تامة بهذا المفهوم. وسيبدو هذا ـ حقاً ـ نتيجة طبيعية للاعتقاد بأن ليس هناك كلمتان لهما بالضبط المعنى نفسه. إن ما سنتبينه ـ بالطبع ـ هو أن بعض الكلمات تكون قابلة للتبادل

في سياقات معينة حسب، مثلما أن كلمة «عميق deep»، أو كلمة «عميق التفكير profound» قد تستخدم مع «التعاطف sympathy»، لكن كلمة «deep» فقط تستخدم مع «الماء water»، وأن «الطريق road»، قد يكون «عريضاً broad» أو «واسعاً wide»، لكن «النبرة accent»، هي فقط «broad». غير أن هذا سوف يعطينا مقياساً ضئيلاً للترادف أو لتماثل المعنى؛ إذ إنه يشير فقط إلى الإمكانات التنظيمية، وهذه لا تبدو دائماً ـ بالضرورة ـ مرتبطة بقرب المعنى nearness.

وهناك إمكان آخر هو فحص المقابلات opposites (سنناقشها في الفصل الخامس من الباب الرابع). فمثلاً كلمة «سطحي superficial» تقابل كلاً من «عميق deep» و «profound»، لكن كلمة «قليل العمق shallow» تقابل ـ في الأعم الأغلب ـ كلمة «deep» فقط. وربما يكون صحيحاً أن كلمتين تظهران ولهما «الأضداد antonyms». نفسها، فيكون هذا سبباً لاعتبارهما مترادفتين. لكن الأمثلة التي ناقشناها تظهر أننا سوف نصل مرة أخرى إلى الكلمات التي تقبل التبادل في سياقات معينة، لأن الكلمتين «deep»، و «profound»، اللتين تقبلان التبادل فيما بينهما في سياق، سيكون لهما ضد واحد هو «superficial».

وأخيراً يجب أن أتأمل مصطلح «التضمين connotation»، لأن المترادفات غالباً ما تقال لتختلف فقط في تضمينها. وهذا في رأيي ليس مصطلحاً مفيداً؛ إذ إنه غالباً ما يشير إلى المعنى العاطفي أو التقييمي، الذي زعمت أنه غير مميز ـ على نحو مفيد ـ عن المعنى الإدراكي. وهو أيضاً يستخدم في الإشارة إلى الفروق الأسلوبية أو اللهجية أو حتى الفروق الصغيرة الموجودة في المترادفات القريبة. لكن هناك فائدة أخرى، فأحياناً يزعم

البعض أن كلمات ما ترتبط بخصائص معينة من الأشياء التي تشير إليها. فمثلاً كلمة «امرأة woman» فيها التضمين «ضعيف weak»، وكلمة «خنزير pig» فيها التضمين «قذر dirty». ومثل هذه التضمينات كان موضوع أبحاث أوزجود Osgood (الفصل الخامس من الباب الأول). ومع ذلك فالقضية هنا ليست قضية معنى كلمات أو حتى قضية معنى بوجه عام. إنها تشير - على الأصح - إلى أن الناس (أو بعض الناس) يعتقدون أن النساء ضعيفات، وأن الخنازير قذرة. وصحيح أن الناس سوف يغيّرون بعض الأسماء لكي يتجنبوا مثل هذه التضمينات، فهناك عملية طبيعية للتغيير مع الكلمات المحظورة taboo مثل تلك التي أشرنا إليها في الفصل الرابع من الباب الأول، لأن الكلمة ترتبط بموضوع مثير للاشمئزاز اجتماعياً، فتصبح هي نفسها مثيرة للاشمئزاز وتأخذ مكانها كلمة أخرى «لطيفة التعبير euphemism». لكن العملية بالطبع لن تكون لها نهاية، لأن الشيء نفسه هو البغيض وليست الكلمة. حتى الكلمات تصبح محظورة عندما نشير إلى الموضوع المثير للاشمئزاز بالكلمة في معنى مختلف (سواء كانت من نوع الهومونيمي homonymous أو البوليزيمي polysemous - انظر إلى الفصل الثاني من الباب الرابع). وبالتالي فنحن لا نرغب في التحدث عن «الاتصال الجنسي intercourse» في معنى العلاقات الاجتماعية أو التجارية، وغالباً ما يشير البعض - لأسباب مشابهة - إلى أن الديك الذكر الأليف في أمريكا يسمى «الجاثم a rooster».

وهناك ظاهرتان يتناولهما البعض أحياناً تحت موضوع الترادف، لم نتأملهما بعد في هذا الفصل: الأولى هي الترادف المعتمد على السياق، حيث تظهر كلمتان مترادفتين في سياق خاص. ومن أمثلة ذلك (ما نقتبسه من ليونز J. Lyons، مع أننا لا نعرض لمناقشاته) الكلمتان: «كلب dog» و «كلبة bitch» في الجملة: «My - has just had pups»، والكلمتان «يشتري buy» و «يحصل على get» في الجملة: «I'll go to the shop and - some

«bread». لكن لا يبدو أن هذا مناقشة لترادف الكلمات. بل على العكس هي مرتبطة بالنظر إلى «الاشتمال Hyponymy» (انظر إلى الفصل الرابع من الباب الرابع)، كلمة أدق من أخرى. ومع ذلك يمدنا السياق بالمعلومات الدقيقة التي تنقص أحد الأمثلة. فعبارة: «having pups» تدل على أن الكلب أنثى. وعبارة: «going to the shop» توحي بأن الخبز يُشْتَرى. لكن هذا ليس جزءاً من المعنى، فالكلب قد لا يكون أنثى، وأنا قد أسرق الخبز. والحقيقة أن المعلومات التي يمكن أن نجمعها من السياق لا تؤثر على معنى المواد. ولذلك تأمل قولنا: «الكتاب The book» وقولنا: «الكتاب الأحمر The red book»، فهذان يمكن أن يكونا - سياقياً - مترادفين (لو أشرنا إلى كتاب أحمر - أو بعيداً عن اللغة - لو كان هناك: كتاب، أحمر، أمامنا). وفوق ذلك نحن لن نرغب في القول بأن هذين يحملان المعنى نفسه. أما النوع الثاني من «الترادف» فهو هذا الذي بين كلمة «ثور bull» وعبارة «حيوان بقري بالغ ذكر male adult bovine animal». إن اختبار قابلية التبادل سيعلن أن هذا لا مجال للبحث فيه كمترادفات. لأن الإنسان نادراً ما يقول: «هناك حيوان بقري بالغ ذكر في الحقل»، حتى رغم أن المادتين - بمفهوم ما - يظهر لهما المعنى نفسه. لكن هذا ليس ظاهرة لغوية «طبيعية»؛ فإن الذي يخلقها هو اللغوي أو مصنف المعجم، بغرض التعريف definition وإعادة الصياغة paraphrase. وعلاوة على ذلك فهي ترتبط بالتحليل بالنظر إلى مكونات المعنى Componential Analysis (الفصل السابع من الباب الرابع)، أكثر من ارتباطها بالترادف.

الفصل الثاني

تعدد المعنى
والاشتراك اللفظي(١)

polysemy and homonymy

ليس من السهل التعامل مع تماثل المعنى Sameness، لكن يبدو أن ليس هناك شيء صعب بالفطرة حول اختلاف المعنى. وليست الكلمات المختلفة فقط هي التي لها معانٍ مختلفة، لكن القضية هي أن الكلمة نفسها قد يكون لها مجموعة من المعاني المختلفة. وهذا هو المشترك اللفظي، ومثل هذه الكلمة متعددة المعنى. وبناء على هذا يعرّف المعجم كلمة «flight» ـ على الأقل ـ بالطرق الآتية: «المرور عبر الهواء؛ القدرة على الطيران؛ رحلة جوية؛ وحدة من القوات الجوية؛ طيران الكرة في التنس؛ استطراد؛ مجموعة متواصلة من درجات السلم». وفوق ذلك، هناك مشكلات حتى مع هذا التصور البسيط ظاهرياً:

فأولاً : نحن لا نستطيع أن نميّز ـ على نحو واضح ـ بين ما إذا كان معنيان متفقين أو مختلفين، ومن ثم نحدد ـ على نحو دقيق ـ كيف تكون للكلمة معانٍ كثيرة. لأن المعنى لا يحدد أو يميز عن المعاني الأخرى بسهولة. تأمل الفعل «eat». إن المعجم سوف يميز المعنى «الحرفي» (انظر إلى العبارات المذكورة بعد) لتناول الطعام

(١) انظر في ذلك: المزهر جـ ١ ص ٣٦٩ ـ ٣٨٦، في اللهجات العربية ص ١٩٢ ـ ٢٠٤، د. مختار عمر: علم الدلالة ص ١٤٧ ـ ١٩٠، دراسات في فقه اللغة ص ٣٠١ ـ ٣٠٩. (المترجم).

والمعاني المستمدة من الفعلين «يستفد» و «يتأكل». وربما تعامل هذه باعتبارها ثلاثة معانٍ مختلفة. لكننا نستطيع أيضاً أن نميِّز بين قولنا «أكل اللحم eating meat»، و «الحساء eating soup»، فالأول تستخدم فيه سكيناً وشوكة، أما الأخير فنستخدم فيه ملعقة، وعلاوة على ذلك نستطيع أن نتحدث عن «شرب الحساء drinking soup»، بالإضافة إلى «eating it»، وعندئذٍ تتماثل كلمة «eat» مع كلمة «drink» في أحد معانيها. ومن ناحية ثانية تكمن المشكلة في تقرير ما إذا كان هذا يمثل معنى متميزاً لكلمة «eat»؛ لأن الحل البديل هو أن معنى كلمة «eat» يتداخل فقط مع معنى كلمة «drink»، لكن كلاً منهما يغطي «منطقة» دلالية واسعة (كثير منها لا يتداخل). ومع ذلك لو قررنا أن لكلمة «zat» معنيين لسألنا وقتئذٍ عما إذا كانت عبارة «eating jelly» مماثلة لعبارة «eating tofee» (التي تتضمن مضغاً) أو عبارة «eating sweats» (التي تتضمن مصّاً). وواضح أننا نأكل أصنافاً مختلفة من الطعام بطرق مختلفة، ولو لم نكن حذرين، لقررنا أن الفعل «eat» له معنى مختلف مع كل صنف من الطعام نأكله. وفحوى الكلام أننا يجب ألاَّ نبحث فروق المعنى الممكنة كلها، لكن نبحث تماثل المعنى قدر ما نستطيع، فليس هناك معيار واضح للاختلاف أو التماثل.

وثانياً : إننا قد نسأل عما إذا كنا نستطيع أن نضع أي ملحوظات عامة عن فروق المعنى. فهل توجد أنواع الفروق المطردة في معنى الكلمات المتعددة؟ إن من أكثر أنواع هذه العلاقة شيوعاً بين المعاني هو علاقة «الاستعارة»، حيث تظهر الكلمة ولها معنى حرفي ومعنى أو أكثر من المعاني «المنقولة transferred». ومن الأمثلة اللافتة على ذلك مجموعة الكلمات الخاصة بأجزاء الجسم مثل: «يد، قدم، وجه، رجل، لسان، عين.. إلخ»، فإننا نتكلم

عن «يد الساعة الكبيرة clock ووجهها، وعن رجل السرير، أو سفح الجبل foot of a mountain، وعن رجل الكرسي أو المنضدة، وعن لسان الحذاء، وعن عين الإبرة أو عروة البطاطس the eye of a potato». وواضح - بدهياً - أي منها المعنى الحرفي، والبديهة تؤيدها حقيقة أن مجموعة الكلمات كلها تنطبق فقط على الجسم؛ ويمكن أن يحول بعضها فقط إلى الشيء المناسب - الساعة الكبيرة ليس لها رجل، والسرير ليس له أيد، والكرسي ليس له لسان. . إلخ.

ومع ذلك تأتي الاستعارة كيفما اتفق؛ فقد يبدو واضحاً أن كلمة «السفح foot» تناسب «الجبال»، أو أن كلمة «العين» تناسب «الإبر»، لكن نظرة سريعة إلى لغات أخرى ترينا أن الأمر ليس كذلك. «فالإبرة» في الفرنسية ليس لها «عين»، و«الجبل» في كثير من اللغات (مثل اللغات الحبشية Ethiopian، أو بعض لغات أمريكا الشمالية) ليس له «سفح foot»، وعلاوة على ذلك، تستخدم كلمة «العين» في الإنجليزية، في مجموعة من المعاني الأخرى، مثل مركز الإعصار أو نبع الماء، اللذين لا يرتبطان دلالياً بحاسة البصر. ومع هذا لا تستخدم لمركز «الزهرة» أو «an identation»، رغم أن هذين قد يبدوان - بدهياً - مرشحين معقولين لتوسيع المعنى.

وهناك أنواع أخرى من «النقل» أكثر «اطراداً». فمثلاً قد نستخدم كثيراً من الصفات بالمعنى الحرفي بسبب الوصف الذي تشير إليه، أو بالمعنى المنقول لكونه مصدر الوصف. وبناء على هذا قد نطلق على الشخص وصف «كئيب sad»، وعلى الكتاب الوصف نفسه «sad»، في حين أن المعطف قد يوصف بكلمة «warm» بمعنييها (إما أن له درجة معينة من الحرارة، أو أنه يجعل

الإنسان يشعر بالدفء). إن اللغة تعرّف اختلاف المعنى بأننا لا نستطيع أن نقول: «John is as sad as the book he was reading»، وهذا يشبه تصور النحويين التقليديين عن العبارة الجامعة Zeugma[1] (إنها كانت ترتدي فستاناً أبيض وعلى وجهها ابتسامة «She was wearing a white dress and a smile on her face»)، لأن كلمة واحدة ـ في كل حالة ـ تظهر مصاحبة لكلمتين أخريين، وكل من هاتين الحالتين تتطلب الأولى ليكون لها معنى مختلف، وهذا ما لا تسمح به اللغة. وبالمثل، كثير من الأسماء nouns له معنى محدد ومجرد. فمثلاً قد نقارن بين الجملة: «The score تسجيل of the symphony is on the table» والجملة: «The score of the symphony is difficult to follow». ولنلاحظ مرة أخرى أننا لا نستطيع أن نقول: «The score is on the table difficult to follow». وكذلك تحدث تناقضات مشابهة مع الكلمات الدالة على « الرسالة الجامعية thesis ، أو الكتاب ، أو التوراة.. إلخ ».

وثالثاً : هناك مشكلة هي: لو كان لصيغة ما معانٍ عدة، فليس واضحاً دائماً ما إذا كنا سنقول إنها مثال للبوليزيمي (أي إنها كلمة واحدة لها معانٍ عدة) أو للهومونيمي (أي إننا أمام كلمات عدة لها الشكل

---

(١) تركيب تؤدى فيه الكلمة الواحدة أكثر من غرض في الجملة، ويتضح ذلك بصفة خاصة إذا كان الغرضان مختلفين تمام الاختلاف، فيثير التركيب بذلك انتباه القارىء لمفارقة بين الغرضين. وهناك أنواع ثلاثة منه: الأول أن تسبق الكلمة الجامعة الغرضين ومثال ذلك: «يحب الناس الشعر والفاكهة». والثاني أن تكون الكلمة أو العبارة الجامعة فيآخر الجملة مثل قوله تعالى: ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾. والثالث أن تسبق الكلمة أو العبارة الغرض الأول ويسبق مقدرها الغرض التالي مثل قول الشاب الظريف (ت ٦٩٥ هـ):

«أبت رقتي إلاّ الذي يقتضي الهوى   وعزمي إلا ما اقتضى الرأي والعقل»

أي: وأبى عزمي. (انظر التنازع) (مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٢٤٢) (المترجم).

نفسه). وعلى سبيل المثال، أشرنا آنفاً إلى أن المعجم يعالج كلمة «flight» باعتبارها كلمة مفردة (من نوع البوليزيمي). لكنه يميز ما لا يقل عن خمس كلمات (أي خمسة هومونيمات) لكلمة «mail» هي: «درع - بريد - دفع - نصف بنس - مركز». إن على المعجم أن يقرر ما إذا كنا نتناول المادة المعينة باعتبارها من نوع البوليزيمي أو نوع الهومونيمي، لأن المادة ذات النوع البوليزيمي سيكون لها مدخل منفرد، في حين أن المادة ذات النوع الهومونيمي سيكون لكل كلمة فيها مدخل. وهذا لا يعني - بالطبع - أننا نستطيع أن نفصل بين البوليزيمي والهومونيمي عن طريق مراجعة المعجم فقط، لأن الأحكام التي يطلقها مصنف المعجم غالباً ما تبدو عشوائية.

وهناك صعوبة تكمن في أننا لا نضع هذه الفروق نفسها في الكتابة والكلام. فمثلاً، الكلمتان: «رصاص lead» (معدن) و «مقود lead» (مقود الكلب) تتفقان هجائياً لكن تختلفان نطقاً، في حين أن الكلمتين: «موقع site» و «رؤية sight»، والكلمتين «شعيرة دينية rite»، و «صحيح right» تختلفان هجائياً لكن تتفقان نطقاً. فنستخدم للنوع الأول مصطلح «تماثل في الرسم واختلاف في المعنى Homography»، وللأخير مصطلح «تماثل في النطق واختلاف في المعنى Homophony»، ومن اللافت للنظر أن بعض الكلمات المتماثلة في الرسم والنطق المختلفة في المعنى، وبعض الكلمات المتماثلة في النطق المختلفة في المعنى والرسم تكون أيضاً أضداداً «antonyms»، مثل الكلمتين «cleave»، (يقطع إرباً) و «cleave» (يلحم)، والكلمتين (يشيّد «raise» و «يمحو «raze».
ومع ذلك فالمشكلة هي أن نقرر متى تكون الكلمة من نوع البوليزيمي، ومتى تكون من نوع الهومونيمي. ولنفرض أن لدينا

صيغة مكتوبة ولها معنيان، **فهل** نقول إن هذه كلمة واحدة بمعانٍ مختلفة (بوليزيمي) **أو كلمتان** مختلفتان لهما شكل واحد (هومونيمي)؟

إن المعجمات بوجه عام تعتمد في قرارها على الاشتقاق etymology. فلو عرفت أن صيغاً متماثلة لها مصادر مختلفة فستعامل هذه الصيغ باعتبارها من نوع الهومونيمي وستفرد لها مداخل منفصلة، ولو عرفت أنها ذات أصل واحد ـ حتى لو كان لها معانٍ مختلفة، فسوف تعاملها على أنها من نوع البوليزيمي وستجعل لها مدخلاً مفرداً في المعجم. لكن هذا غير مقنع لأن تاريخ اللغة لا يعكس دائماً ـ وعلى نحو دقيق ـ حالتها الحاضرة. فعلى سبيل المثال، لا ينبغي أن نربط ـ عدة ـ بين كلمة «تلميذ pupil» وكلمة «بؤبؤ العين pupil of the eye»، أو بين كلمة «نعل الحذاء the sole of a shoe» وكلمة «سمك موسى the fish sole». وفوق ذلك إنها تاريخياً ذات أصل واحد، وهي في حد ذاتها أمثلة للبوليزيمي. أما في لغة اليوم فهي أزواج من الكلمات غير المرتبطة، أي من نوع الهومونيمي. ومن ناحية أخرى ـ وكما رأينا ـ نجد أننا نتكلم عن أيد للساعة الكبيرة، وأرجل للسرير، ولسان للحذاء، بالإضافة إلى استخدام الكلمات نفسها في الدلالة على أجزاء الجسم. وبالمثل تستخدم كلمة «أذن ear» في الدلالة على «سنبلة القمح ear of corn». وهذه سوف تبدو أمثلة للاستعارة، وكذلك أمثلة للبوليزيمي. وفوق ذلك يخبرنا علماء الاشتقاق بأن كلمة «ear of corn» لا ترتبط ـ بأي حال ـ (تاريخياً) بأذن الشخص. إذن، فهما من الناحية التاريخية مثال للهومونيمي. لكن معظم الناس اليوم ينظرون إليهما على أنهما كلمة واحدة لها معانٍ مختلفة، أي مثال للبوليزيمي. وهناك أمثلة أخرى: الكلمتان

«حبة corn و «مسمار القدم corn of the foot»، والكلمتان «وجبة meal» و «دقيق meal»، فلكل منهما اشتقاق مختلف. لكن هل هي كلمات مختلفة بالنسبة لنا اليوم؟ أنا ـ بالطبع ـ لا أدَّعِي أننا نستطيع دائماً أن نميّز بين البوليزيمي والهومونيمي في لغتنا الحالية. لكن أرغب فقط في أن أظهر أن التاريخ يمكن أن يكون مضللاً.

ومما يلفت النظر أن اختلاف الهجاء لا يشير دائماً إلى اختلاف الأصل. وبالتالي حتى ما يكون اليوم متماثلاً في النطق مختلفاً في المعنى والرسم قد يكون مشتقاً من الصيغة الأصلية نفسها. ومن أمثلة ذلك الكلمتان: «معدن metal» و «مزاج mettle، والكلمتان «دقيق flour»، و «زهرة flower». وهذه تطرح مشكلات حقيقية لعالم الدلالة؛ لأنه لو اعتمد على المعرفة التاريخية، فسيعتبر كلاً منهما كلمة واحدة، أي مثالاً للبوليزيمي، حتى رغم أنهما مختلفتان هجائياً. وعلاوة على ذلك فهذا غريب؛ إذ هل نستطيع أن نعتبر الكلمات التي تختلف في الهجاء «كلمة واحدة»؟ وفوق ذلك نجد أن اختلاف الهجاء لا يضمن اختلاف الأصل. فهل يعالج مصنف المعجم هذه باعتبارها كلمات مختلفة لأنها تختلف في الهجاء، أم باعتبارها كلمة واحدة لأن لها أصلاً واحداً؟ إنه في التطبيق يسمح ـ عادة، وليس دائماً ـ لاختلاف الهجاء بأن يحسم الأمر، لأنه يحتاج إلى إبقاء الكلمات في وضعها الألفبائي.

وهناك طريقة ثانية لمحاولة تمييز البوليزيمي من الهومونيمي هي البحث عن المعنى المركزي أو لب المعنى. وهذا ممكن، حيث إن لدينا أمثلة للاستعارة أو للمعاني «المنقولة» التي أشرنا إليها بالكلمتين «sad» و «scare». لكنه صعب ـ بوجه عام ـ أن

نقرر ما إذا كان هناك أي معنى مركزي أو لب. فواضح لماذا أن كلمة «key» تستخدم ليس فقط في الدلالة على مفتاح الباب، وإنما أيضاً في الدلالة على الترجمة أو المرتكز الذي ترتكز عليه سائر العناصر في خطة أو سياسة (أحدهما «ينفتح» والآخر «ينغلق»)، لكن ليس من السهل على الإطلاق أن نرى لماذا يستخدم في الدلالة على مفاتيح البيانو. ولذلك لا يبدو هذا مثالاً للبوليزيمي. كذلك ليس هناك أي علاقة واضحة بين كلمة «هواء air» ومعنى «السلوك» و «التناغم». أما الأفعال فمشكلتها أعظم. فكلمة «يشحن charge» تستخدم في الكهرباء، وتستخدم في الدلالة على تحمل النفقات، وعلى هجوم الفرسان، وعلى الاتهام. فهناك تباعد تام في معانيها. فهل نستطيع أن نكتشف المعنى المركزي، أو اللب؟

لو نظرنا إلى ما حدث في التاريخ لعرفنا سبب ظهور المشكلة. إن الكلمات تغير معناها بطرق تثير الدهشة تماماً. فمثلاً كلمة «يصل arrive» اشتقت من الكلمة اللاتينية «شاطىء ripa»، وكانت تعني في الأصل «يصل الشاطىء»، في حين أن كلمة «منافس rival» أتت من الكلمة اللاتينية «نهر rivers»، وكانت كلمة «rivals» في الأصل تعني الناس الذين اشتركوا في نهر واحد. وبمثل هذه التغييرات لا يثيرنا أن معاني كلمة «charge» لا بد أن تكون مشتقة هكذا ـ فمعناها القديم هو «الشحنة load» وهي مرتبطة بالعربة، وحتى «بالحمولة cargo» بشكل غير مباشر.

وحيث تكون الكلمة من نوع البوليزيمي فإن من الطبعي أن يكون لها عدد من المترادفات، كل منها يماثل واحداً من معانيها، وكذلك مجموعة من الأضداد antonyms. فمثلاً كلمة «حسن / نظيف fair» قد تستخدم مع:

(١) الشعر.

(٢) الجلد.

(٣) الطقس.

(٤) السماء.

(٥) القضاء.

(٦) القبض على لص.

والأضداد الواضحة لهذه الكلمة سوف تكون:

(١) داكن.

(٢) داكن.

(٣) عنيف foul.

(٤) غائم.

(٥) ظالم.

(٦) عنيف foul.

(إنها تستخدم كذلك مع الكلمتين «عمل» و«أداء». لكن هناك حداً وسطاً، ليس حسناً ولا سيئاً، وبالتالي فليس هناك ضد). إننما يمكن أن نرى أن كلمة «fair» مع الشعر ومع «الجلد» لها ضد واحد (هو داكن dark)، وكذلك كلمة «fair» مع «الطقس» ومع «القبض على لص». لها ضد واحد (هو عنيف faul). إننا قد يغرينا القول بأنه حيث يكون الضد هو نفسه يكون لدينا بوليزيمي، وأن اختلاف الضد يدل ـ ضمناً ـ على الهومونيمي. لكن هذا سيجرنا إلى الزعم بأن كلمة «fair»، مع «الطقس» ملائمة للكلمة نفسها مع «القبض على لص» أكثر من ملاءمتها لكلمة «السماء». وبدهياً، «السماء» أكثر ارتباطاً «بالطقس»، و«القبض على لص» أكثر ارتباطاً «بالقضاء»، لكن الأضداد لا توفر دليلاً على هذا.

وأخيراً، قد تتوافر أحياناً أسباب منهجية للتسليم بالبوليزيمي. فقد استشهد أولمان Ullmann بالكلمة الفرنسية «poli» التي تعني «مهذب» أما

بالمعنى الحرفي أو بالمعنى المنقول. وهذا يبدو أنه مثالاً واضحاً للبوليزيمي فمن الوجهة التاريخية لهما أصل واحد. لكن الكلمة بالمعنى الحرفي ترتبط بالكلمة الفرنسية «dépolir» (يزيل اللمعان) وكلمة «polissage» (تلميع)آ، في حسن أنها ـ بالمعنى الآخر ـ تتفق مع كلمة «impoli» (غير مهذب impolite unpolished) و «politesse » (تهذيب). وهذا يفترض أن هناك كلمتين مختلفتين تنتميان إلى مجموعتين مرتبطتين مختلفتين.

لاحظ ـ أخيراً ـ أن تعدد المعنى ليس قاصراً على كلمات المعجم. إنه يوجد أيضاً مع العناصر النحوية؛ فزمن الماضي في الإنجليزية له معنيان مختلفان (الفصل الرابع من الباب الثالث). وهكذا الحال مع بعض اللواصق السوابق prefixes؛ فالسابقة «in» تعني عادة «لا»، لكنها ليست كذلك في كلمة «سريع الاشتعال inflammable». (وقد أدت هذه الكلمة ـ من خلال سوء الفهم الناشىء عن غموض السابقة ـ إلى بعض المصادفات غير السارة، ومثلما قال هورف إن العادة في الولايات المتحدة الأمريكية صارت استخدام الكلمة المبتكرة Flammable بدلاً منها). وهناك غموض مشابه في بناء الجملة. ومن الأمثلة المألوفة الجملتان: «إزعاج The old men and women and Visiting relatives can be a nuisance فكل منهما يمكن تحليله بطريقة مختلفة من حيث بناء الجملة مع ملازمة اختلاف المعنى. إن تعدد المعنى صفة عامة في اللغة..

الفصل الثالث

التنافر

Incompatibility

لقد ناقشنا ـ حالاً ـ حقيقة أن كلمات مختلفة قد يكون لها المعنى نفسه، وأن الكلمات عينها قد يكون لها معانٍ مختلفة. ومن الواضح أن الكلمات المختلفة قد يكون لها معانٍ مختلفة. إن مجرد اختلاف المعنى ليس في حد ذاته ذا أهمية كبيرة، إنما تكمن أهمية الاختلافات في كونها مرتبطة بطريقة أو بأخرى.

وسأبدأ بمناقشة موجزة لما يعرف بنظرية المجال الدلالي. نشأت هذه النظرية ـ أساساً ـ عن فكرة دي سوسير عن «القيمة Value». فقد أشار إلى أن «الفرس على طاولة الشطرنج» هو فرس، ليس بسبب أي صفة وراثية (مثل: الشكل، والحجم.. إلخ)، لكن بسبب ما يمكن أن يفعله بالنظر إلى القطع الأخرى الموجودة على الطاولة. لقد ركز على هذا الجانب الارتباطي relational للغة، قائلاً إن هناك «فروقاً فقط، لا حدوداً ثابتة». فزعم ـ على سبيل المثال ـ أن كلمة «sheep» في الإنجليزية لها قيمة مختلفة عن كلمة «mouton» في الفرنسية، لأن الانجليزية فيها أيضاً كلمة «لحم الضأن mutton»، وبالمثل، فالجمع في اللغة السنسكريتية له قيمة مختلفة عن الجمع في الفرنسية (أو الانجليزية)، لأنه في السنسكريتية ينتمي إلى نظام الحدود الثلاثة: مفرد ـ مثنى ـ جمع، في حين أنه في الفرنسية ينتمي إلى نظام الحدين: مفرد ـ جمع فقط. وزعم ـ أيضاً ـ أننا لو تأملنا مترادفات مثل:

«فـزع be afraid, fear, dread لاستطعنـا أن نقول لـو أن واحداً من هـذه لم يحتفظ «بمضمـونه» لـذهب إلى واحد من الآخـرين؛ بعبارة أخـرى إن مجـال «الفزع» تتقاسمه ثلاثة أفعال (أو أكثر ـ بالـطبع ـ في الـواقع الفعلي)، لكن لـو غاب واحد لتقاسم المجال فعلان فقط.

والمثال المشهور للمجال الدلالي هـو مثال تـرايـر J. Trier الـذي قارن بين مجال الجانب «العقلي» للغة الجرمانية من حوالي ١٢٠٠ بما كـانت عليه من حوالي ١٣٠٠. (إن أراد القارىء مـزيداً من المنـاقشة التفصيليـة عليه أن يرجع إلى كتاب أولمان: Semantics). ففي الزمن القديم كان المجال ينقسـم إلى: «المعـرفة Kunst و «الإمتـاع list»، فالأولى تشيـر إلى الصفات الـرفيعة «courtly»، والثانية تشيـر إلى المهارات غيـر الرفيعـة. وكانت كلمـة «الخبرة الـدينية wîsheit» تستخـدم لتغطي كـلا الجانبين. ومـع ذلك ففي فتـرة تـاليـة انقسم المجال إلى ثلاثـة أقسام هي: «الخبـرة الدينيـة wîsheit»، والمعرفـة kunst »،«والفّن wizzen» (كلمـة منهـا جـديـدة، وكلمـة فقـدت، أمـا كلمـة «wisheit» فهي الآن جزء واحد فقط، وليست الأجزاء كلها).

إن مـثـال تـرايـر يقـارن لـغـة في فـتـرتيـن مخـتلفـتيـن. ونـحـن نستـطيع ـ أيضـاً ـ أن نقارن لغتين، لنـرى الطريقـة التي تقسمـان بهـا مجـالاً معيناً، من الأمثلة التي كثيراً ما تقتبس المجال الدلالي الخاص بالألوان. فقـد زعم اللغوي الدانمـركي «جلمسليڤ L.Hjelmslev» (أننا نستـطيع أن نقـارن بين نظام الألوان في الإنجليـزية وفي لغـة إقليم ويلز Welsh الأدبية، بـالرسم البياني التالي:

أخضر	gwyrdd
أزرق	glas
رمادي	glas / llwydd
بني	llwydd

وهناك أمثلة كثيرة أخرى مشابهة. فنيدا E. A. Nida يناقش الكلمات الخاصة بالضوضاء noise في اللغة المكسيكية بالنظر إلى «الفصيلة class؛ فهناك ست كلمات خاصة بالضوضاء تشير إلى صياح الأطفال، وتحدث الناس بصوت عال، ومنازعات الناس (أو كركرة الديوك الرومي)، والناس الذين يتحدثون بغضب، والضوضاء المتزايدة، وضوضاء الجنازة. وبالمثل يشير إلى أن اللغة المايانية[1] فيها ثلاث كلمات للدلالة على البحث Searching:

(أ) انتقاء الجيد من الرديء.
(ب) ـ البحث بطريقة مخالفة للقانون.
(جـ)ـ البحث بطريقة منظمة.

أما لغة Shilluk (أفريقيا) ففيها ثلاث كلمات للدلالة على الكسر break؛ فواحدة لكسر العصى.. إلخ. وأخرى لقطع السلك، وثالثة لكسر البيض. ونستطيع أن نضيف إلى هذه القائمة عدداً من الأنواع المألوفة؛ مثل: المعادن: الحديد والنحاس.. إلخ، والثدييات: أسد، ونمر، أو أنواع العربات، وهكذا. إننا ـ في هذه الأمثلة كلها ـ أمام قائمة من الكلمات التي تشير إلى مواد من نوع خاص يميز «مجالاً» دلالياً. لكن هناك نقطة أساسية ـ في الحالات كلها على وجه التقريب ـ هي أن الكلمات متنافرة. فنحن لا نستطيع أن نقول: «هذه قبعة حمراء» و «هذه قبعة خضراء» للشيء نفسه. ولا نسمح بأن يوصف مخلوق بوصفين: بأنه أسد، وبأنه فيل. وبناء على هذا فإن الجمل ذات الحدود المتنافرة سوف يناقض بعضها بعضاً. وأحياناً يكون التنافر انعكاساً لتعريف واضح (وربما حتى علمي) في حياة التطبيق. فالأسود والفيلة هي صنف متميز، والنحاس والحديد معادن مختلفة. لكن هذا ليس وثيق الصلة تماماً. والأمر الذي يعنينا هو أن الحدود نفسها متنافرة، حتى لو لم يكن في الحياة تمييز واضح. تأمل ـ على سبيل المثال ـ الكلمتين: «أحمر» و «برتقالي». فليس هناك خط فاصل واضح في

(١) مجموعة لغات ينطق بها في أمريكا الوسطى والمكسيك (المورد) (المترجم).

الطيف بين هاتين الفصيلتين (ولو قرر عالم أن يضع فاصلاً دقيقاً بالنظر إلى الطول الموجي، لما لاءم هذا اللغة المعتادة. وعلاوة على هذا، فلن نوافق على أن شيئاً محدداً كان أحمر، وفي الوقت نفسه كان برتقالياً (ولست بالطبع - معنياً بضمّ اللونين). إننا قد نصفه - يوماً ما - بأنه أحمر وفي اليوم التالي بأنه برتقالي، ومع هذا لا نزال لا نسلم بأنه كان على كلا اللونين: الأحمر والبرتقالي. إن «الأحمر»، «والبرتقالي» هما حدَّان متنافران.

إن القضية قد تتمثل في أن هناك تداخلاً في بعض المناطق. وقد يكون هذا صحيحاً بالنسبة للقوائم التي اقتبسناها من نيدا، لكن حدوداً في نظم من هذا النوع تكسب «قيمتها» - بوجه عام - كما قال دي سوسير من علاقاتها المتباينة مع الحدود الأخرى، وتكون متنافرة.

إن الخاصية الأساسية للمواد التي تضمها هذه الفصائل هي تنافرها. وفضلاً عن هذا، فهي «غير مرتبة»؛ بمعنى أن ليس هناك طريق طبيعي لترتيبها بأي نوع من الترتيب بقدر ما يكون معناها معنياً. ولو أردنا أن نضعها في قائمة فمن المحتمل - إذن - أن نضعها في ترتيب ألفبائي. ومن المسلم به أن العالم عنده إطار لتصنيف المعادن أو الثدييات، لكن هذا أمر مختلف؛ إذ ليست هناك طريقة نستطيع بها - بالنظر إلى خصيصة المعنى - أن نرتب: «فيل - زرافة - وحيد القرن» لكن بعضاً من مجموعات الكلمات يكون له «ترتيب». فأيام الأسبوع وشهور السنة تشكل مجموعات من الحدود المتنافرة؛ لأننا لا نستطيع أن نقول: «هذا الشهر هو نوفمبر، وهو أيضاً مارس»، لكن تتمثل فيها علاقات التوالي بصورة منطقية مثلما أن يوم «الأحد» يأتي - مباشرة - قبل يوم «الإثنين»: فالأحد هو اليوم الذي يأتي قبل الإثنين.. إلخ. وبالمثل يمكن أن توضع المقاييس مثل: «بوصة - قدم - ياردة» في ترتيب، بدءاً من أصغر حدٍّ. والأعداد: واحد - اثنان - ثلاثة.. إلخ». تشكل مثالاً واضحاً آخر. فنيدا يستشهد بنظام عدٍّ مختلف - نوعاً ما - من لغة برازيلية، الحدود فيها (تترجم تقريباً على النحو التالي): «لا شيء - واحد أو

اثنان ـ ثلاثة أو أربعة ـ كثير»، لكن يجب أن نكون حذرين هنا. إن عندنا في الرياضيات تسلسلاً بخلاف: «واحد ـ اثنان ـ ثلاثة. . . »؛ فعندنا أيضاً: «اثنان ـ أربعة ـ ستة ـ ثمانية. . . »، «واحد ـ أربعة ـ تسعة ـ ستة عشر (تربيع). . . ، والمغرمون باختبارات حاصل الذكاء[1] يعرفون كم من «اثني عشر» من التسلسلات يمكن أن يبتكر. إن هذا كله لا يمكن أن يكون قضية بالنسبة لعلم الدلالة. لكن أين نرسم الخط؟

إننا نستطيع ـ أحياناً ـ أن نوفر لبعض هذه المجالات تحليلاً علميًّاً أكثر تعقيداً من ذلك الذي توفره اللغة. فحدود اللون ـ على سبيل المثال ـ ليست أكثر من مجموعة غير مرتبة من الحدود المتنافرة. ومع هذا صنَّفها (جلمسليف» في ترتيب؛ عن طريق وضعها في موازاة بُعد الطول الموجي. وهذا ليس منعكساً في اللغة. فليست لدينا صفة adjective حتى نقول: «إن الأحمر هو أكثر ـ من البرتقالي»، و«البرتقالي أكثر ـ من الأصفر»، إلخ. إذن فالترتيب ليس منعكساً في الإنجليزية كما هو حاصل في أيام الأسبوع أو شهور السنة. لكن لو كنا نبحث عن الخصائص الفيزيائية للون لما قال تفسير جيلمسليف إلاَّ قليلاً جداً من كثير. إن اللون لا يفسر بالنظر إلى بعد مفرد. إنه يتضمن ثلاثة متغيرات، أكثرها وضوحاً تدرَّج اللون hue، الذي يمكن قياسه بالأطوال الموجية، ونراه في الطيف أو قوس قزح. أما المتغير الثاني فهو التألق أو الإشراق. وأما الثالث فهو التشبع؛ أي درجة خلو اللون من البياض. وبالتالي فإن اللون «القرنفلي» يختلف عن اللون «الأحمر» ـ أساساً ـ في أن له تشبعاً ضئيلاً (ففيه كثير من اللون الأبيض». ومن المحتمل أن نفكر في اللون باعتبار تدرج اللون، لكن هذا قد لا يكون حقيقياً بالنسبة للمجتمعات كلها. فقد ذكر كثيراً أن هوميروس Homer أشار إلى البحر على أن له «لون الخمر»، الذي لو فكّرنا في تدرجه لكان هذا شيئاً غريباً، لكن من

---

(١) هو حاصل قسمة سن الطالب العقلية أو الإنتاجية على سنه الزمنية، مضروباً في مائة (المورد) (المترجم).

المهم فهم هذا لو فكرنا في تألقه وتشبعه، اللذين يشبهان تألق الخمر الحمراء الداكنة، وتشبعها.

ومع هذا لا يبدو أن هناك ـ دائماً ـ علاقة وثيقة بين هذه الملامح الفيزيائية ونظام اللون في لغة محدَّدة. فمثلاً في اللغة الفيليبينية المسماة Hanunoo التي وصفها كونكلن H. C. Conklin أربعة حدود أساسية للون يمكن ترجمتها على وجه التقريب إلى «الأسود ـ الأبيض ـ الأحمر ـ الأخضر» لكن الفروق بينها ذات أنواع ثلاثة: فأولاً، الضوء والظلمة يميزان «الأسود» و «الأبيض» (والخلفيات خفيفة اللون التي تطبع على صور تكون «بيضاء»، لكن البنفسجية والزرقاء والخضراء الداكنة تكون «سوداء»). وثانياً: يفرق بين «الأحمر» «والأخضر» بالنظر إلى حقيقة أن النباتات الحية كلها تكون خضراء، حتى براعم الخيزران الغرويّ slimy ذات اللون البني الفاتح. ثالثاً، هناك فرق آخر باعتبار الألوان الداكنة التي يتعذر محوها بسهولة مثل «الأسود» و «الأحمر» التي تقابلها ألوان أخف مثل «الأبيض» و «الأخضر». وواضح أن نظام اللون لا يعتمد فقط على الملامح الفيزيائية للون، بل يعتمد ـ إلى حد ما ـ على الحاجات الثقافية، مثل الحاجة إلى تمييز الخيزران الحي من الميت، حيث يكون الأول «أخضر اللون»، والأخير «أحمر». وحتى في الإنجليزية، لا تستخدم كلمات اللون دائماً بالطرق التي تماثل تعريفها العلمي؛ ففي استخدام اللون «الأخضر» بعض الشبه مما يوجد في لغة Hanunoo، فحبوب البازلاء الجافة خضراء اللون، لكن لا يذكر أنها «بازلاء خضراء»، في حين أن كلمة «أخضر» غالباً ما تستخدم للفاكهة غير الناضجة، وهذا قد يبدو غريباً، لكن الناس سيفهمونني لو قلت إن بعض البرقوق الأخضر «لا يزال أخضر»، وبالتالي غير صالح للأكل. وبالمثل (انظر إلى الفصل الثالث من الباب الخامس) اللون «الأبيض»، فهو يكون بنيّاً عند ارتباطه بالقهوة، وأصفر عند الإشارة إلى الخمر، وقرنفلياً كما ينطبق على الناس. وأظن أننا لن نقول إن الصيادين مصابون بعمى الألوان عندما يذكرون

أن السترة الحمراء الوضّاءة «قرنفلية» اللون. ومما يثير الدهشة أن في لغة إقليم ويلز الحديثة حدود ألوان تماثل حدود الإنجليزية (ليس النظام القديم الذي وصفه جيلمسليف)، وفوق ذلك فالناس يستخدمون كلمة «glas»، ليشيروا إلى العشب وإلى أشياء أخرى نامية، رغم أن الكلمة ـ من نواحٍ أخرى ـ تترجم الكلمة الإنجليزية «أزرق blue» إن تأملات كهذه لا بد أن تجعلنا حذرين في ترتيب كلمات اللون بإزاء الأبعاد العلمية، أو في مقارنة كلمات لغة بكلمات لغة أخرى، بالنظر إلى مثل هذه الأبعاد، إن تنافرها واضح تماماً، لكن غير الواضح أن لها أي ترتيب طبيعي.

الفصل الرابع

الاشتمال

Hyponymy

ناقشنا في الفصل السابق فصائل الحدود المتنافرة أو مجموعاتها. لكن هناك أيضاً كلمات تشير إلى الفصيلة ذاتها. وهذا يصل بنا إلى فكرة «التضمن inclution»؛ فمثلاً الكلمتان «خزامى - وردة» تتضمنهما كلمة «زهرة»، والكلمتان «أسد - فيل» تتضمنهما كلمة «الثدييات» (أو ربما كلمة «الحيوان» - انظر إلى الأمثلة المذكورة بعد). وبالمثل، فكلمة «القرمزي» تتضمنها كلمة «الأحمر»، إذن فالتضمن هو مسألة عضوية في فصيلة. وقد أطلق ليونز lyons على هذه العلاقة مصطلح «الاشتمال Hyponymy». والمصطلح العلوي هو «اسم الجنس المتضمِّن Superordinate» والسفلي هو «الفرع المتضمَّن Hyponym». ولقد كنا معنيين في الفصل السابق بأفراد الفصيلة، أو قل بالفروع المتضمنة في الفصيلة. ومع هذا، فمن الغريب أن ليس هناك دائماً جدّ للإشارة إلى اسم الجنس المتضمن. إن عمل ليونز قاده إلى ملاحظة أن في اللغة اليونانية الكلاسيكية حدّاً لاسم الجنس المتضمن يغطي مجموعة متنوعة من المهن والحرف، مثل: «النجّار - الطبيب - الزمّار - مدير الدفة في السفينة - صانع الأحذية.. إلخ»، أما الإنجليزية فليس فيها شيء مثل هذا. إن أقرب حدٍّ ممكن هو «الحرفيّ craftsman» ، لكن هذا لا يشمل الطبيب أو الزمار أو مدير الدفة، وبالمثل - ومما يثير الدهشة - فليس هناك حد لاسم الجنس المتضمن بالنسبة للكلمات الدالة على اللون كلها: الأحمر، والأزرق، والأخضر، والأبيض.. إلخ. وكلمة «ملوّن» عادة تستثني

الأسـود والأبيض (والـرمـادي أيضـاً)، أو كلمــة أخـرى تعني «غيـر أبيـض» (وتستخدم في الإشارة إلى الماء المتدفق).

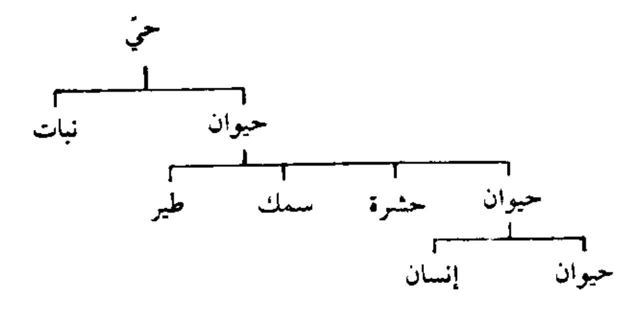
وقـد يـظهـر الحـدّ نفســه في أمــاكن عــدة من التصنيف التـدرجي hierarchy. ويمكن هذا بالطبع لو كان الحد من نوع البوليزيمي، فقـد يكون في معنى من معـانيه اسم جنس متضمن لمعنى آخـر (مع أننـا ـ عادة ـ نتجنب استخدام الحدّ بمعنييه في السياق نفسه). فمثلاً حد «الحيوان» قد يستخدم:

أ ـ في مقـابـل حـد «النبـات» فيشمـل الـطيـور، والأسمـاك، والحشـرات، بالإضافة إلى الثدييات.

ب ـ بمعنى «الثدييات» لتفترق عن الطيـور، والأسماك، والحشـرات، فتشمل كلاً من الإنسان والبهائم.

جـ ـ بمعنى «البهيمة» لتفترق عن «الإنسان».

وبالتالي فهي تقع ثلاث مـرات في التصنيف التدرجي للطبيعـة. وإليك الرسم البياني التالي الذي يمثل هذه النقطة على نحو واضح:



وهناك موقف ممـاثل مـع كلمة «كَلب». وكلمـة «خروف» تستخـدم في الإشــارة إلى مخلوقـات من صنف معين، فهي اسم جنس متضمن «للشــاة، والحمل، والكبش».. إلخ. وهناك حدود مماثلة مثل كلمة «خنزير» فهي تطلق على «الخنزيرة، والخنزير الذكر، و«الخنوص»؛ وكلمـة «حصـان» التي تطلق على «الفحل، والفرس، والمهر».. إلخ. لكن الحـدّ الدال على اسم الجنس

المتضمن بالنسبة للكلاب هو «كلب»، رغم أن «الكلب» هو أيضاً فرع متضمن يختلف عن «الكلبة». ومرة ثانية سيساعدنا الرسم البياني:



إننا نستطيع - بالطبع - أن نتجنب التباس كلمة «كلب» باستخدام كلمة «ذكر»، وبالتالي فإن عبارة «كلب ذكر»، ستكون مغايرة لكلمة «كلبة». ونستطيع أيضاً أن نشكل مجموعات من الفروع المتضمنة حيث لا توجد فروع متضمنة ذات كلمة مفردة في الإنجليزية بطريقة مشابهة، مثل «زرافة، زرافة ذكر، زرافة أنثى، زرافة صغيرة». والحدان: «ماشية»، و «دجاج»، أقل غرابة في هذا، رغم كونهما من أسماء الأجناس المتضمنة، حيث يستخدمان فقط في الإشارة إلى الجمع (مع أننا - بالطبع - نحتاج إلى الحدِّ الخاص باسم الجنس المتضمن عموماً لأجل الجمع). وبالتالي، فرغم أننا قد نقول: «هذه ماشية» لتتضمن «هذه بقر» و «هذه ثيران»، ليس لدينا حدّ مفرد نضعه في إطار: «هذا ـــ». إن أرجح حدّ هنا هو كلمة «بقرة»، «أنا شخصياً من الصعب عليَّ أن أقول عن الثور: «هذه بقرة»، لكنني لن أكون غير سعيد بتعريف الثور بأنه «ذكر البقرة»). والموقف مع «الدجاج» يبدو مختلفاً وفقاً للاهتمام واللهجة. فهناك الكلمات «ديك cock» (أو ديك صغير، وفي أمريكا يطلق عليه «Rooster»)، و «دجاجة»، و «كتكوت»، لكن كثيراً من الناس يستخدمون كلمة دجاجة hen»، أو كلمة «Chicken»، اسم جنس متضمناً، مع أنني أشك في أنهم يرغبون في الإشارة إلى الطير الذكر بقولهم «hen». أما عن لهجتي «المحلية» الخاصة فليس فيها مشكلة؛ لأن الحدّ الدال على اسم الجنس المتضمن هو «طير من أي نوع fowl».

وكما قد نتوقع، تختلف علاقات الاشتمال من لغة إلى لغة. فقد رأينا أن في اللغة اليونانية حداً لاسم الجنس المتضمن يشمل مجموعة متنوعة من

المهن. ومن الأمثلة الأخرى أن كلمة «البطاطس»، في اللغة اليونانية لا يتضمنها حدّ «الخضروات».

إن ظاهرة الاشتمال تتضمن العلاقة المنطقية للاستلزام Entailment. وهذا تصوير أكثر دقة لعلاقة «ينتج عن» التي أشرنا إليها عند مناقشة أمثلة بيرويش في الفصل الثالث من الباب الثاني. إن القول بأن جملة تستلزم أخرى يعني القول بأن الجملة الأولى صحيحة، والثانية (من حيث الأسس المنطقية) صحيحة أيضاً. فالقول بأن «هذه خزامى» يستلزم القول بأن «هذه زهرة»، والقول بأن «هذا قرمزي»؛ يستلزم القول بأن «هذا أحمر». وبالمثل فقولك: «هناك ولدان boys» يستلزم قولك: «هناك طفلان children»، ففي مثل هذه الأمثلة جملة تحتوي على فرع متضمن، تستلزم جملة تحتوي على اسم جنس متضمن. لكن لو راجعنا المواد كلها (سواء أكانت كلمة «كل» تقع بالفعل أو لا) لكان العكس هو القضية. فمثلاً قولك: «الزهور كلها جميلة» يستلزم القول بأن «الخزامى كلها جميلة»، وقولك: «الأطفال مزعجون» يستلزم القول بأن «الأولاد مزعجون»، لكن العكس ليس كذلك.

الفصل الخامس

التضاد

Antonymy

يستخدم مصطلح «تضاد» في الدلالة على «عكس المعنى»؛ فالكلمات المقابلة opposite هي «Antonyms». وغالباً ما يظن أن التضاد عكس الترادف، لكن وضع الإثنين مختلف تماماً، فاللغات ليست بها حاجة واقعية إلى المترادفات الحقيقية، ومثلما رأينا من المشكوك فيه وجود أي مترادفات حقيقية. لكن التضاد ملمح مطرد وطبيعي للغاية للغة، ويمكن تحديده بدقة تامة. غير أن الأمر الذي يثير الدهشة أنه موضوع مهمل في كتب علم الدلالة، ولا يخصص له مكان حتى في المعجمات. ومع ذلك، هناك أنواع مختلفة من «التقابل» يجب أن نميز بينها على نحو واضح.

وبادىء ذي بدء، تزخر الإنجليزية بثنائيات من الكلمات مثل: «واسع / ضيق، عجوز/حدث، كبير/صغير. إلخ». وهذه كلها صفات قد نراها بالنظر إلى درجات الصفة المتضمنة. فمثلاً الطريق قد يكون «واسعاً» أو «واسعاً جداً»، وطريق ما قد يكون «أوسع» من طريق آخر. ولنقل إن لدينا تدرجاً للاتساع، والعمر، والحجم.. إلخ، ونعبِّر عن هذا كله بصفات كهذه.

لقد حاول سابير أن يبرهن على أننا لا بد أن نتناول هذه الكلمات كلها بالنظر إلى «قابلية التدرج gradability»، فصيغ الصفات المقارنة (تلك التي تنتهي باللاحقة «er —» أو تقع مع كلمة «more») هي «على نحو واضح» متدرجة، لأننا حين نقول إن طريقاً أوسع من طريق آخر، أو ولداً أكبر من

ولد آخر، أو كتاباً أضخم من كتاب آخر نضعها في مقياس مدرّج لأجل المقارنة. وواصل سابير جداله قائلاً إنه رغم أن صيغ المقارنة هذه تسبقها - لغوياً - الصيغ البسيطة (أي المصوغة منها بإضافة اللاحقة «er —» أو كلمة «more») هي تسبقها منطقياً في أن الصفات» واسع، عجوز، كبير» يمكن أن تفهم فقط بالنظر إلى كونها: أوسع، أعجز، أكبر من شيء ما - قياس أو آخر. قال سابير: هي إذن أضداد متدرجة على نحو واضح. وهذه الصفات ليست قابلة للتدرج فقط، إنما تتدرج إلى قياسات مختلفة وفقاً للموضوعات التي تناقشها. فعلى سبيل المثال، لو قلت: «لم يكن كثير من الناس حاضراً»، فقد يعني هذا خمسة أو ستة، لو كنا نتحدث عن احتفال خاص، لكن ربما كانت كلمة «كثير» تعني عشرين ألفاً لو كنا نتحدث عن حضور مباراة كرة قدم هامة في ويمبلي. فالقياس يحدده الشيء الذي نصفه. فالخط على الثوب قد يكون واسعاً حتى لو كان وسعه بوصيتين فقط، لكن الطريق لا بد أن يكون وسعه كثيراً من الياردات قبل أن يوصف بهذا الوصف. وهذا يفسِّر المفارقة الظاهرية التي تبدو في العبارة: «الفيل الصغير أكبر من الفأر الكبير «لأن كلمة» صغير «تعني أنه» صغير كما هو الحال بالنسبة للأفيال»، وكلمة «كبير» تعني أنه «كبير كما هو الحال بالنسبة للفئران».

وبالنسبة لمعظم الأضداد، هناك مجموعة من العلاقات تنعقد بين الصيغ المقارنة مثلما أن ما يلي كله - تبادلياً - متضمَّن:

أ - أوسع من ب.	أ - أقل ضيقاً من ب.
ب - أضيق من أ.	ب - أقل وسعاً من أ.

فهذه مرتبطة بالنظر إلى انعكاس الأضداد وتحولها، وبالنظر إلى علاقة «أكثر» و «أقل» (مرة ثانية يتضمن تحوّل الأضداد). وهذا لا يثير الدهشة لأن الأضداد قابلة للتدرج؛ إذ هناك - غالباً - حدود وسيطة. فمثلاً ليس لدينا فقط الكلمات: «حار/بارد»، لكن لدينا أيضاً الكلمات:

حـار/دافىء/معتدل/بـارد»، مـع الحـدين الـوسيـطين: «دافىء» و «معتـدل» اللذين يكونان هما أنفسهما ثنائياً من الأضداد.

وهنـاك نقـطة أخـرى تتمثـل في أن كـل ثنـائي من الكلمـات فيـه حـد «ملحوظ» وآخر «غيـر ملحوظ»؛ أن واحـداً فقط يستخدم لمجـرد السؤال عن درجة الوصف المتدرج. فنحن نقول: «كم هو عالٍ»؟ «كم هـو واسع»؟ «إنـه عالٍ ثلاثة أقدام»، «إنه واسع أربـع ياردات»، دون تضمين أنـه أما عـال وإما واسع ـ لكن الحد الآخر من الثنائي لا يستخدم هكذا ـ إنه «الحد الملحوظ». فمثلاً قولك: «كم هو منخفض»؟ «كم هو ضيق»؟ يتضمن أن الشيء موضـع الاستفهام هو بالفعل منخفض أو ضيق، ونحن لن نقـول (إلاَّ مازحين): «إنـه منخفض ثلاثة أقدام» أو «إنه ضيق أربع ياردات». لاحظ أيضاً أن الحدّ نفسـه من هذا الثنائي يستخدم في صياغة الإسمين: «علو height» و «سعة width» المحايدين على نحوٍ متساوٍ مثلما يقارنـان بالاسمين: «انخفـاض lowness»، و «ضيق narrowness». وفي الأمثلة الإنجليزية الحدُ «الأكبر» هو الذي يـظهر باعتباره غير ملحوظ، لكن هذا ليس ملمحاً عالمياً. فحيث تتحدث الإنجليزية عن «مدى السماكة» تتحدث اليابانيـة عن «مدى النحـافة». وربمـا ضمنًا هنـا ثنـائيات من نـوع: ذكر/ أنثى، متـزوج/أعزب، حي/ ميت، التي يعـالجها ليونز تحت مصطلح «التتام complementarity؛ أي المـواد التي يتمم بعضها بعضاً. وتنتمي هذه بالتحديد إلى مجموعة من الحدود المتنافرة التي ناقشناهـا في الفصـل الثالث من البـاب الرابـع، لكن مع خصيصـة واحدة محـدَّدة هي كـونها أفـراداً من مجموعات ذات حـدين بـدلاً من المجمـوعـات ذات الحـدّ المركب التي ناقشنـاها هنـاك. غير أنهـا ـ بطريقـة ما ـ تشبـه الأضداد القـابلة للتدرج. فكل منها يصور التنافر. فلئن قلت «إن شيئاً ما واسع» لكان هذا مثل قولك: «إنه ليس ضيقاً، ولئن قلت: «إن شخصاً ما متزوج» لكان مثـل قولـك «إنه ليس عزباً». لكن هناك فرقاً لافتاً بين النوعين، فالقضية مع الثنائيات التي قدَّمناها هي أيضاً أنك إن قلت إن شيئاً ما ليس هو الشيء فهذا مثل قولك إنـه

الشيء الآخر. فلو أن بيتر غير متزوج، فهو عزب، والعكس بالعكس. وهذا ينتج ـ بالطبع ـ عن حقيقة أن هناك فقط إمكانين (ولن يكون هذا حال المجموعات المركبة). ومع الأضداد القابلة للتدرج في مقابل هذا، فرغم وجود حدين فقط فليست القضية هي أن قولك إن شيئاً ما (على سبيل المثال) ليس واسعاً مثل قولك إنه ضيق، أو أن قولك إنه ليس ضيقاً مثل قولك إنه واسع. فإن إمكان أن لا يكون واسعاً ولا ضيقاً أمر جائز.

ومع هذا فالنقطة المهمة هي أن ليس هناك فرق حاسم بين هذين النوعين، إننا نستطيع أن نعالج ذكر/أنثى، متزوج/عزب، حي/ميت باعتبارها أضداداً قابلة للتدرج بين الحين والآخر. فالإنسان يمكن أن يكون «ذكراً فعلياً very male» أو «more married» وبالتأكيد «ميت أكثر منه حي». وبوضوح أكثر، إن بعض الأضداد القابلة للتدرج فيها بعض خصائص الأزواج ثنائية الشعب:

أ ـ فهناك ثنائيات من الصفات مثل: أمين/غير أمين، مطيع/ غير مطيع، مفتوح/مغلق، قابلة للتدرج بالنظر إلى علاقة «أكثر» و«أقل»، وفيها أيضاً يختار إنكار إحداهما ـ عادة ـ لتأكيد الأخرى. فمثلاً رغم أننا قد نقول: «بلْ أكثر أمانة من جون» فإن قولنا: «بل ليس أميناً honest» يتضمن أن «بل» غير أمين dishonest، وقولنا: «بل ليس غير أمين» يتضمن أن «بل أمين». بمعنى أن هذه قابلة للتدرج على نحو واضح، لكنها لا تعالج ـ عادة ـ باعتبار أنها كذلك.

ب ـ وبعض ثنائيات الأضداد ـ كما يقول سابير ـ ليست قابلة للانعكاس «reversible» بصورة متماثلة. بمعنى أن علاقة «أكثر» و«أقل» لا يمكن أن تنطبق عليها. ومن أمثلة ذلك: الثنائي «ألمعيّ brilliant» و«غبي»، لأن قولك «أكثر ألمعية» لا يساوي قولك: «أقل غباء»، وقولك: «أكثر غباء» لا يساوي قولك: «أقل ألمعية»، ورغم أن الحدين قابلان للتدرج، ففيهما قيمة ثابتة في أحد «طرفي» الميزان.

الفصل السادس

المقابلات ذات الأرتباط

Relational oppostes

هناك نوع مختلف من الكلمات المقابلة opposites موجود في ثنائيات الكلمات التي تصور علاقة عكسية بين المفردات (أو الموضوعات Arguments ـ انظر إلى الفصل الثالث من الباب السادس)، من أمثلته الثنائيات: «يشتري / يبيع، زوج/زوجة. فلو أن أ يبيع إلى ب، فإن ب يشتري من أ، ولو أن أ هو زوج ب، فإن ب هي زوجة أ. وقد أطلق ليونز على هذه اسم «القلب Converseness»، لكنني معنيّ أكثر بذكر خصائصها الجوهرية ذات الارتباط، ولهذا أفضّل أن أطلق عليها «المقابلة ذات الارتباط relational opposition». هناك أفعال عدة تكون ثنائيات بهذه الطريقة مثل: «يشتري/يبيع، يقرض/يقترض، يستأجر/يؤجر، يحيا مستقلاً/ ينتسب إلى، يعطي/ يستلم». وهناك أيضاً أسماء مثل: «زوج/زوجة، خطيب/خطيبة، أب/ابن، مدين/دائن»، وربما: «معلم/ تلميذ». وهناك عدد من الكلمات التي تشير إلى وضع مكاني ينتمي أيضاً إلى هذا النوع مثل: «فوق/تحت، أمام/خلف، شمالي/جنوبي.. إلخ». وفي النحو كذلك تصور صيغتا المبني للمعلوم والمبني للمجهول مقابلة ذات ارتباط، فلو أن أ يضرب ب، لكان ب يُضرب بواسطة أ.

إن هذه العلاقات غالباً ما يصفها علماء المنطق بالنظر إلى «التناسق Symmetry» و«التعدي Transitivity»، «والارتداد Reflexivity». فالعلاقة

تكـون «علاقـة تناسق» لـو أنها تتسـع للمـوضـوعـات arguments (الكلمـات المرتبطة) في كـلا الاتجاهين. فلو أن لـدينا «المـوضوعين» أ، ب. والعـلاقة ع، فـإن «أ ع ب» تستلزم «ب ع أ». ومن الأمثلة الواضحـة في الإنجليـزيـة: «متـزوج بـ be married to»، و «ابن عم/ابن عمـة cousin»، فلو أن «جـون متزوج من ماري»، فإن «ماري متـزوجة من جـون»، ولـو كـان «بيـل ابن عم فـريد»، فـإن «فريـد هو ابن عم بيـل». والعلاقـة تكون «عـلاقة تعـدّ» لو أن «أ ع ب» و «ب ع ج» تستلزمـان «أ ع ج». وبـالتـالي فـإن كثيـراً من الحـدود المكانية يكون متعدياً ـ فلو كان «جون أمام هـاري» و «هاري أمـام بيل»، فـإن «جون يكون أيضاً أمام بيل». والشيء نفسه حقيقي بالنسبة للكلمات «خلف، فوق، تحت، شمالي، جنوبي.. داخل». وهذا ـ بالـطبع ـ لا يتّسـع للمقابـل opposite الذي يكون متنـاسقاً (فلو أن أ يقـابل ب، فـإن ب يقابـل أ)، لكنه ليس متعـديـاً. (يجب أن نـلاحظ أن كلمـتي «متعـدّ transitive» وتـعـد «transitivity» تستخـدمان بمعنى مختلف تمـاماً عن النحـو ـ انظر إلى الفصـل الخامس من الباب السابع). والعلاقة تكون «ارتدادية reflexive» لو أنها تربط موضوعاً بنفسه، مثـل أ ع أ. ويمكن التمثيل بكلمـة «تساوي equal» أو كلمـة «تشبـه resemble» (٤ = ٤، جـون يشبـه نفسـه). (وهـذه الكلمـات تكـون متناسقة، وتكون أيضاً متعدية). ومع ذلك فالارتداد له أهمية قليلة بالنسبة لنـا هنا، ولن نجادل فيه بأكثر من هذا.

إن الحـدود الدالـة على «القرابـة» ـ على وجه الخصـوص ـ مهمـة في مناقشة «المقابلات ذات الارتباط»؛ وذلك لسببين: في المقام الأول أن كثيراً منها لا يوحي بـالعلاقـة فقط، وإنما بنـوع الشخص. فمثلاً «الأب» هـو والد ذكـر، و «الابنـة» هي طفلة أنثى.. وهكـذا. وهـذا يعتـرض سبيـل قـابلية الانعكـاس، لأن قولـك «إن جون هـو أبـو سـام» لا يستلزم أن «سـام هـو ابن جون» ـ لأن سام قد تكون ابنتـه. ولذلـك لدينـا ثنائيـات من الكلمات تـوحي بـالعلاقـة نفسها، لكن النـوع يختلف: «أب/أم، ابن/ابنة، عم/عمـة، ابن

أخ/ابنة أخ». وهناك أيضاً ثنائيات من الكلمات التي ستكون من النوع المتناسق لم تكن بسبب دلالتها على النوع، مثل: «أخ وأخت». فقولك «جون أخو سام» لا يستلزم القول بأن «سام أخو جون» (فقد تكون أخته). إن عدداً صغيراً فقط من الكلمات في الإنجليزية لا يوحي بالنوع مثل كلمة «ابن عم/ابنة عم cousin» (ذات النوع المتناسق) وكلمة «والد أو والدة Parent»، وكلمة «طفل أو طفلة child» (ومعها كلمة «جد أو جدة grandparent» وكلمة «حفيد أو حفيدة grandchild»)، التي ليست من النوع المتناسق. وهناك كلمات نادرة رغم أن أكثر الناس استخداماً لها هم علماء الأنثروبولوجيا حتى يتجنبوا الإشارة إلى النوع مثل: كلمة «spouse» للزوج/الزوجة، وكلمة «sibling» للأخ/الأخت (وكلتاهما من النوع المتناسق). لكن ليست هناك كلمات مشابهة للكلمات «عم/عمة، ابن أخ/ابنة أخ». ثانياً، أن كون الكلمة من النوع المتناسق أو لا هو موضوع اللغة. فمثلاً متزوج من «be married to» من النوع المتناسق في الإنجليزية، لأنها مثل كلمة «spouse» لا تشير إلى النوع. لكن في لغات كثيرة يستخدم حد مختلف للزوج والزوجة، وهو غالباً صيغة البناء للمعلوم من الفعل للدلالة على الزوج، وصيغة البناء للمجهول للدلالة على الزوجة ـ فنقول: «John marries Mary» لكن «Mary is married to John» . (في الإنجليزية الكلمتان «marry» و «married to» تستخدمان لكل منهما، وهكذا فكلتاهما من النوع المتناسق، مع أن لهما معاني مختلفة). وبالمثل، فإن لغات كثيرة ليست فيها كلمة من النوع المتناسق مثل «cousin»، فالنوع لا بد أن يظهر في هذه اللغات، وكذلك علاقة الوالدين. وقد تكون هناك تعقيدات أخرى. فعلاقة الأخ والأخت في بعض اللغات ليست محددة بالنوع فقط، بل بعمر الطفل أيضاً. فمثلاً لو أن بنتين كانتا أختين، فإحداهما تكون «الأخت الكبرى»، والأخرى هي «الأخت الصغرى».

وهناك كلمات أخرى لا ترتبط على نحو تام مثل المقابلات ذات

الارتبـاط، لكنها رغم ذلـك تختلف في الاتجاه المكـاني بطريقـة مـا. وأكثـر الثنائيات طرافة (ما ذكره فيلمور C.F. Fillmore) وهو «يأتي/يذهب». فكلمـة «يأتي» يحددها شيء ليس في كلمة «يذهب». وهو أنهـا تشير إلى اتجـاه نحو المتكلم أو السامع. فهي تستخدم أولاً لمجرد الاتجاه نحو المتكلم أو السامع كما في ائت إليّ «و» «أنا سآتي إليك». وتستخدم ثانياً للاتجـاه نحو المتكلم أو السامع في زمن الحدث المعنيّ، إما الماضي وإما المستقبل (بالإضافة إلى الحـاضر): «هـو أتى إليَّ في لندن». «أنـا سآتي لأراك في بـاريس» (عنـدمـا تكون هناك). وهي تستخدم ثالثاً في الإشارة إلى اتجـاه المكان الـذي يكون فيه المتكلم أو السامع عادة، حتى لـو لم يكن هناك في الـوقت المعنيّ، مثل قـولي: «ائت إلى مكتبي» (رغم أنني لن أكون هنـاك)، ومثـل «أنـا أتيت إلى منزلك» (لكنك كنت بالخارج)، وفي هذه الحالة الثالثة يمكن استخـدام كلمة «يذهب» أيضاً فتقول: «اذهب إلى مكتبي»، «أنا ذهبت إلى منزلك». وفضلاً عن هـذا، لو كـانت الإشـارة تـومىء إلى مكـان «بعيـد» عن مـوقـع الشخص المعنيّ لكانت كلمة «يذهب» طبيعية أكثر. فمن الصعب أن نقول: «ائت إلى مكتبي في الحـال» لو كـان الشخص الـذي أخـاطبـه معي في مكـان مـا غيـر مكتبي، لأن الإيمـاء عنـدئـذٍ بعيـداً عني». وبـالمثـل، فلن نقـول ـ بصـورة طبيعيـة ـ «إنـه تـركـك عنـد منـزلـه وأتى إلى منـزلـك» لأن الإيمـاء ـ مـرة أخـرى ـ يكون «بعيـداً» عن الشخص المعنيّ، ولو لـم تكن هنـاك إشـارة إلى مـوقـع السـامـع أو المتكلم لاستخـدمت كلمـة «يـذهـب». وليست الكلمتـان «يـأتي ـ يذهب» همـا الثنائي الـوحيد الـذي له هـذه الخصائص. فـالكلمتـان «يُحضر bring» و «يأخذ take» تؤديان وظيفتيهما بالطريقة نفسهـا، مع المعنى الإضافي لكلمة «يحمل carry».

وهناك ثنائيات أخرى من الكلمـات تبدو مـرتبطة بـطرق مشابهـة. فمثلاً كلمـة «يسأل» تتـوقـع كلمـة «يجيب»، وكلمـة «يعـرض offer» تتـوقـع كلمـة «يقبـل». إن هذه ليست أمثلة للمقـابلات ذات الارتبـاط، بل أمثلة للعـلاقـة

المؤقتة temporal. ومع ذلك فالعلاقة بين أفراد كل ثنائي ليست هي نفسها؛ فالكلمتان «يسأل» و«يعرض» قد «تتوقعان» يجيب ويقبل، غير أن «التوقع» قد يكون مخيباً للآمال ـ فلا تكون هناك إجابة ولا قبول (رغم أن هناك أيضاً كلمة «يرفض» (بالنسبة لكلمة «يعرض»). لكن الكلمتين «يجيب ـ يقبل» أيضاً «تفترضان ضمنياً» أن هناك سؤالاً أو إعطاء (انظر إلى الفصل الرابع من الباب الثامن)، وهذا نتيجة طبيعية للعلاقة المؤقتة.

وأخيراً، تجدر الإشارة إلى أن الأضداد المتدرجة «الحقيقية» يمكن أن تعالج ـ أساساً ـ بالنظر إلى المقابلات ذات الارتباط، لأننا رأينا أن كلمة «واسع» يمكن أن ترى «أوسع» من المعدل الطبيعي، وأن أ لو كان أوسع من ب، لكان ب أضيق من أ. إذن فالصيغ المقارنة «أوسع ـ أضيق» (الصيغ المتدرجة) هي مقابلات ذات ارتباط، وهي ـ فوق ذلك ـ من النوع المتعدي transitive (فلو كان أ أوسع من ب، و ب أوسع من ج، لكان أ أوسع من ج)، لا من النوع المتناسق ولا الارتدادي. ومع ذلك لاحظ أن «واسع مثل»، «ضيق مثل».. إلخ متناسقة، ومتعدية، وارتدادية.

الفصل السابع

المكونات

Components

تأملنا ـ في الفصل السابق من هذا الباب ـ علاقات دلالية متنوعة، دون أن نحاول أن نربط بينها (رغم أننا لاحظنا وجود صلة بين الأضداد antonymy والمقابلات ذات الارتباط relational opposites) . وهناك اتجاه قد يبدو مختلفاً لأول وهلة، هو التحليل بالنظر إلى «المكونات» ـ فالمعنى الكليّ للكلمة يُرى بالنظر إلى عدد من العناصر أو المكونات المحددة للمعنى. وفكرة المكون لا تضيف نوعاً آخر من العلاقات، لكنها تزعم أنها تقدم إطاراً نظرياً لتناول العلاقات التي ناقشناها كلها.

وقد حاول البعض البرهنة على أن علم الدلالة يمكن أن يعالج بالنظر إلى المكونات، فقاموا بفحص الكلمات الدالة على القرابة. فمن الملاحظ أن نوع الإنسان في الأسبانية ـ على سبيل المثال ـ محدَّد؛ فتضاف اللاحقة O إلى الكلمة فتدل على الذكر، واللاحظة a فتدل على الأنثى كما في الأمثلة التالية:

عمة/خالة Tia.	عم/خال tio
ابنة hija.	ابن hijo
جدة abuela	جد abuelo
أخت hermana	أخ hermano.

أما الإنجليزية فليس فيها علامات تدل على النوع، رغم أن اللاحقة ess تظهر في الكلمات: «البارونة baroness، النمرة tigress، اللبوءة lioness، الدوقة duchess. إلخ»، غير أننا لو كنا معنيين بعلم الدلالة لما كان هذا ـ على وجه الخصوص ـ وثيق الصلة. وليس هناك سبب يمنعنا من محاولة تصنيف الحدود الدالة على القرابة في الإنجليزية بالنظر إلى فصائل مثل النوع، حتى لو لم تميز اللغة هذه الحدود في صيغة الكلمات.

وبناء على هذا فالنوع يوفر مجموعة من المكونات للحدود الدالة على القرابة؛ وفروق الجيل ودرجات النسب يوفران مجموعتين أخريين. فمثلاً بالنسبة لفروق الجيل نحتاج إلى خمسة أجيال على الأقل قد ننعتها على النحو التالي: ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥. وعندئذٍ يكون «الجد» ج١، «والأب والعم. . إلخ» ج٢، و«الأخ وابن العم/ ابنة العم» ج٣، و«الابن وابنة الأخ» ج٤، و«الحفيد» ج٥. وفي نظام مثل هذا تكون «الأنا ego » (أي الشخص الذي تنعقد من أجله العلاقات) ـ بشكل واضح ـ ج٣. وبالطبع سوف نحتاج إلى أجيال أخرى لنتعامل مع «أبي الجد. . إلخ». وتتضمن درجات النسب: النسب المباشر «للجد والأب»، والنسب المباشر المساوي في الدرجة colineal «للأخ والعم» (لكن بجيل مختلف)، والنسب غير المباشر ablineal «لابن العم». وعلى أساس هذه المجموعات الثلاث من المكونات يمكننا تناول الكلمات الدالة على القرابة في الإنجليزية كلها. «فالعمة»: هي أنثى، ج٢، نسب مباشر مساوٍ في الدرجة؛ و«ابن العم أو ابنة العم»؛ هو ذكر أو أنثى، ج٣ ونسب غير مباشر.

ونستطيع أن نتعرف على المكونات بسهولة تامة، حيث يمكن تصوير الكلمات في شكل رسم بياني، لنمثل نوعاً من العلاقة «التناسبية». وفي الإنجليزية (والشيء نفسه صحيح بالنسبة لكثير من اللغات الأخرى) بُعد ذو أجزاء ثلاثة مع الكلمات الكثيرة التي تشير إلى مخلوقات حية:

طفل	امرأة	رجل
عجل	بقرة	ثور
حمل	شاة	خروف
خنوص	خنزيرة	خنزير

«فالثور للبقرة» مثل «الخروف للشاة» ـ أو بحدود رياضية :

الثور : البقرة الخروف : الشاة .

وفي ضوء علاقات مثل هـذه نستطيـع أن نصرف الانتبـاه عن مكونـات (ذكـر) و (أنثى) ، (بـالـغ)، ، (وحـدث)، وأيضـاً : (إنسـاني)، (بقـري)، (ضأني)، (خنزيـري). فهذه الأمثلة لا تميـز (الذكـر) و (الأنثى) بالمقـارنة بـ (بالغ)، و (حدث). لأنها سـوف تتضمن إمكانـات أربعة، ونحن لـدينا ثـلاثة فقط. أما الأربعة فنجدها في :

بنت ولد امرأة رجل

ومـع ذلك، فمقبـول ظاهـرياً ـ حتى الأمثلة الأخـرى ـ أن نبين الفـرقين كليهما، أكثر من أن نقول إن هناك ثـلاث إمكانـات : (المذكـر)، (المؤنث)، (الحدث).

إن تحليلاً من هذا النوع (أي التحليل بالنظر إلى المكونات) يسمـح لنا بأن نصل إلى تعـريف هذه الكلمـات كلها بـالنظر إلى مكـونات قليلة. فمثـلاً «الخنزير» هو: (خنزيري)، (ذكر)، (جالغ).. وهكذا. وكما رأينـا آنفاً هنـاك ثغـرات في النظام ؛ فليس هنـاك حدود للتمييـز بين المذكـر والمؤنث والصغير من الزرافات أو وحيدي القرن. وغـالباً مـا يكون التمييـز عن طريق استخـدام كلمة مأخوذة من مجموعـة أخرى بـالنظر إلى اختـلاف الجنس generic مثل : «ذكر الفيل bull elephant»، «وأنثى الفيـل cow elephant»، و «صغير الفيلة elephant calf» وبـالمثـل «الغُـريـر Badgers»، هـو: «ذكـر الخنـزيـر boar»

و «أنثى الخنـزير sow» (رغم أن الصغيـر محتمل أن يكـون cub)؛ و «الثعلب الـذكر»، هـو: «كلب dog» أو «dog - fox»، لكن للأنثى كلمـة محـددة هي «vixen».

وفي حالات كثيرة تخصص كلمـة في اللغة لنعت المكـون. والكلمتان «مذكر، مؤنث» من الأمثلة الواضحة على ذلك. لكن من الخطأ الزعم بأننـا لـو استخدمنـا مثـل هـذه الحـدود في تعـريف كلمـة شـائعـة لكـانت العبـارة الناتجة . من الناحية الدلالية ـ متطابقة معهـا؛ فمثلاً حـد «خنزيـر boar» ليس هو نفسه «خنزير بالغ ذكر male adult pig» (انظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع) . ومن المهم أن نلاحظ أن لدينا في مفردات الإنجليـزية كلمـات مثل «boar»، في حين أننا مع «زرافـة giraffe» نستطيـع فقط أن نستخدم العبـارة «ذكر الزرافة البالغ adult male giraffe»؛ فالفرق وثيق الصلة بالبنيـة الدلاليـة للإنجليزية.

ومع هذا فمثـل هذه النعـوت لا تتوافـر دائماً بسهـولة. وقـد أشرنـا إلى العلاقة الدلالية:

يذهب	يأتي
يأخذ	يقدم

ولاحـظنا أن كلمـة «يأتي» بـالنسبة لكلمـة «يذهب» مثـل كلمة «يقـدم» بالنسبة لكلمة «يأخذ». وبناء على هذا نستطيع أن نميز بين المكونات ج و د، أ وب . فمثلاً «يأتي» هو: جـ أ، و «يذهب»، هو: جـ ب، «يقدم»، هو: دأ، و «يأخذ» هو: دب. لكن ما أسمـاء هذه المكـونات؟ الإجـابة صعبـة. لاحظ أيضاً من هذه الأمثلة بُعد احتمال أن تكـون المكونـات ملامـح عالميـة للغة. إننـا قد نفتـرض أن المجتمعـات كلهـا تميـز بين المـذكـر والمؤنث وبـالتـالي (فالمذكر) و (المؤنث) مكونـان عالميـان للغة. وبـالطبـع بعض اللغات قـد لا تجعـل فرقـاً في المفردات لكن يمكن أن يقـال حينئـذٍ إن قـائمـة المكـونـات

العالمية كانت كامنة؛ بمعنى أنها متوافرة للغات كلها، وإن لم تكن تستخدم بالفعل. لكن الأمثلة «يأتي، يذهب، يقدم، يأخذ» تُظهر أن المكونات لا ترتبط بملامح فيزيائية مثل النوع، فيصبح افتراض أنها عالمية أقل قبولاً.

وهناك خصيصة متميزة للتحليل الدلالي هي أنه يحاول - قدر المستطاع - أن يعالج المكونات بالنظر إلى «المقابلات الثنائية binary opposites» مثل (المذكر) و(المؤنث)، (الحي)، و(غير الحي)، (البالغ)، و(الحدث). وهي بهذا تؤكد على علاقة التتام complementarity (الفصل الخامس من الباب الرابع). ومن الملاحظ أن في مثل هذه الحدود الثنائية ميزة هي أننا نستطيع أن نختار واحداً فقط ليكون هو النعت، ونميز هذا بالنظر إلى علاقات الزيادة والنقصان - فمثلاً نكتب الحدين (مذكر) و(مؤنث) على نحو: (+ مذكر) و(– مذكر).. وهكذا. ونستطيع - فضلاً عن ذلك - أن نشير إلى نقص اختلاف النوع بوضع «+» أو «–» بالرمز (مذكر). لكن هذه الأعمال تحسن فقط حيث يكون الفرق واضحاً، وغالباً ما يكون هناك غموض كما في «القار tar» و«الثريد porridge» بالنظر إلى: «صلب/سائل».

وفي التطبيق، لم يستخدم «التحليل بالنظر إلى مكونات المعنى» في تقرير العلاقات التي ناقشناها في الفصول السابقة، مرة ثانية. وإنما استخدم في إظهار العلاقات المنطقية التي ارتبطت بها. فمثلاً عن طريق وسم «رجل» بأنه (+ مذكر) و«حبلى pregnant» بأنها (– مذكر) و(– بالغ) و(+ إنساني) ووسم «طفل / طفلة child» بأنه (– بالغ) و(+ إنساني)، نستطيع أن نقرر أن القول بأنه «كان هناك ولدان There were two boys» يستلزم القول بأنه قد «كان هناك طفلان There were two children؛ وأن القول بأن «الأطفال مزعجون Children are a nuisance»؛ يستلزم القول بأن «الأولاد مزعجون Boys are a nuisance» (رغم أن قواعد الاستلزام معقدة إلى حد ما).

وعلاوة على ذلك فإن التحليل التكويني لا يتناول في الواقع العلاقات الدلالية كلها. فأولاً، من الصعب أن نختصر «المقابلات ذات الارتباط» إلى «مكونات»؛ لأن علاقة «والد/طفل» لا يمكن تناولها عن طريق مكونات محددة لكلٍ، ما لم تكن هذه المكونات ـ بمعنى ما ـ اتجاهية. أعني أننا نستطيع أن نعالج هذه على أن لها المكونات نفسها، لكن في «اتجاه» مختلف. غير أننا ـ بإدخال «اتجاه» على المكونات ـ نكون قد سلمنا في الواقع بأنها مكونات معنى ذات ارتباط، وليست مجرد مكونات «شديدة الصغر». وثانياً، إن التحليل التكويني لا يمكن أن يمحو الصفة التدرجية للاشتمال hyponymy؛ لأن فرق (+ مذكر)/ (− مذكر) ينطبق فقط على الأشياء (الحيَّة). فالفرق ـ بالنظر إلى المكونات ـ بين «خروف، شاة» سوف يقبل فقط بالنسبة للمواد التي تكون أيضاً موسومة بأنها (+ حيّ)، ويظهر هذا بسهولة في رسم بياني تدرجي مرتب، ويكون نتيجة طبيعية للتسلسل التدرجي. ويبقى أن يعلن التحليل التكويني أن لا مجال للبحث في مثل: «خروف pregnant ram»، ولا «منضدة pregnant table»؛ فالنقطة الأساسية هنا هي أن المكون (مؤنث) قاصر على تلك المواد التي لها أيضاً صفة (+ حيّ). وبناء على هذا فعلي التحليل التكويني أن يقرر أن الشيء ـ لو كان حياً ـ مذكر أو مؤنث، بصيغة مثل: (+ حي مذكر). ومرة ثانية يتضح أن مثل هذه القواعد (وتسمى بقواعد الوفرة أو الحشو redundancy) هي مجرد طريقة مقنّعة لتقرير الطبيعة التدرجية للفروق الدلالية.

إذن فيمكن للتحليل التكويني أن يتناول العلاقات التي ناقشناها كلها، لأنه يمكن أن يوجّه لفعل هذا، بالتعديلات المناسبة. لكننا نشك في كونه يجعلها أوضح. إنه بالأحرى يحجب اختلافاتها:

إن الاتجاه التكويني لعلم الدلالة أساس لعمل قام به «كاتز وفودور» وهو:

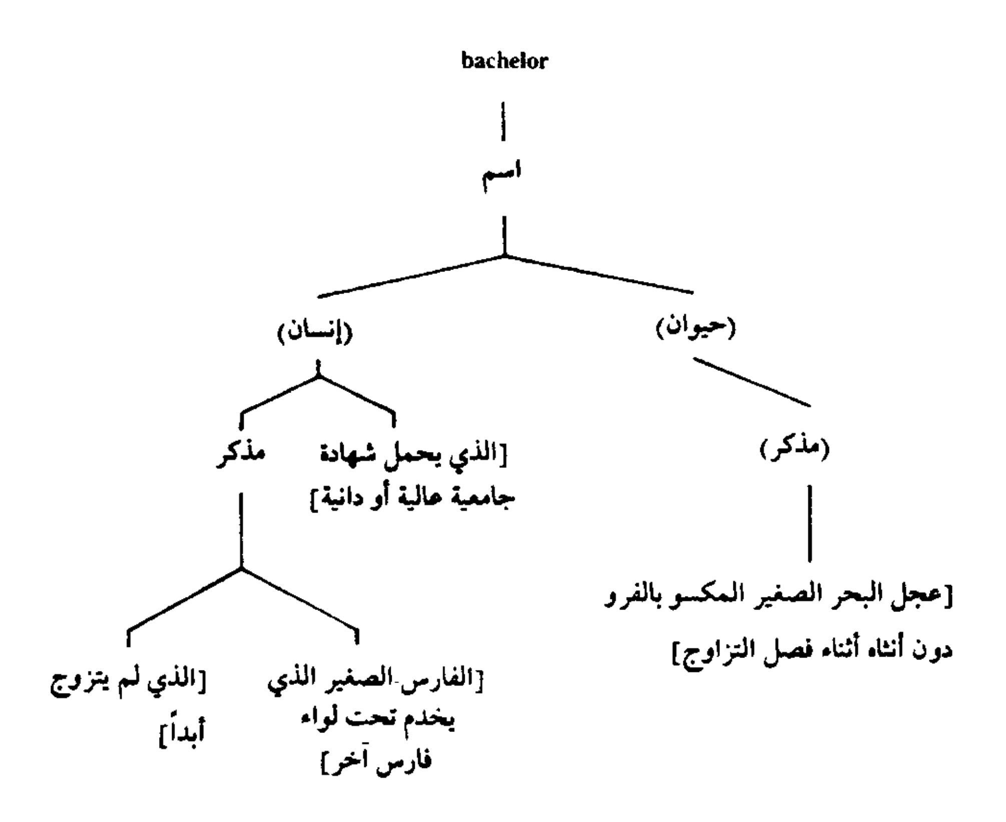
«The structure of a semantic theory» . وهــذا العمــل لــه أهميــة تستحق بعض التأمل هنـا. ورغم أن كاتـز عدَّل أفكـاره، سوف أجعله أسـاساً للمناقشة.

كما رأينا (في الفصـل الثالث من البـاب الثاني)، إنهمـا معنيان أسـاساً بالغموض، والخروج عن القياس، وإعـادة الصياغـة. ومع ذلـك فالمنـاقشات تعوّل أساسـاً على الغموض؛ أي إظهـار أن جملة ما قـد تكون لهـا قراءتـان. فمثـلاً الجملة: «The bill الفاتـورة ـ المنقار is large» تـظل غامضـة إلى أن نرفع غموضها بقولنا: «but need not be paid».

وفي اتجاه بنية المفردات ذكراً أن المعجم سـوف يميِّز بين معـانٍ أربعة لكلمة «bachelor» هي:

أ ـ الرجل الذي لم يتزوج أبداً.
ب ـ الشخص الذي يحمل شهادة علمية عالية.
جـ ـ الفارس الصغير الذي يخدم تحت لواء فارس آخر.
د ـ عجـل البحر المـذكر الصغيـر المكسوّ بـالفـرو بـدون أنثـاه أثنـاء مـوسم التزاوج.

وعلاوة على هذا يمكن تمييز هذه المعاني الأربعة عن طريق ما يسميانه «محـدّدات Markers» تـوضـع داخـل الأقـواس الهـلاليـة مثـل: (إنسـان)، (حيـوان)، (مـذكـر)، إلى جـانب بعض الخصـائص التي تسمى «مميـزات distinguishers» وتوضع داخل أقواس معقوفة مثل: [شهادة علمية عاليـة] في حالة الجامعي. إذن فدلالـة كلمة «bachelor» يمكن عـرضها في شكـل رسم تخطيطي شجري مثل:



ومع هذا، فهناك سؤال مهم هو كيف نقرر ـ على نحو دقيق ـ المحدّدات Markers؟ إن الإجابة التي نجدها هي أنها تلك الملامح التي تسمح لنا بأن نرفع غموض الجملة. وقد وضح المؤلفان هذا بالمثال:

«The old bachelor finally died» فهذا لا يمكن أن يشير إلى عجل البحر ذي الفرو؛ لأن الكلمة تخص الصغير من عجل البحر كما جاء في التعريف. وينتج عن هذا أن كلمة (صغير) لا بد أن تكون «محدَّداً» لعجل البحر ذي الفرو، وأنها يجب الآن أن تظهر، لا بين «المميزات distinguishers» كما ورد في الرسم، بل باعتبارها «محدداً».

وهناك ما يعوق هذه النظرية؛ إذ ليس فيها تحديد لعدد «المحددات» التي يمكن تقريرها. فإن أي جزء من المعلومات (كما رأينا في الفصل الأول

من الباب الثالث) قد يستخدم في رفع الغموض، وبالتالي قد يؤدي وظيفة «المحدد». فعلى سبيل المثال يندر أن نعتبر جملة «زعانفه his flippers هزَّ The bachelor wagged» غامضة - فلا بد أنها تشير إلى عجل البحر ذي الفرو. من ناحية أخرى، فإن جملة:

«The bachelor got his hair wet» لا يمكن أن تشير إلى عجل البحر، رغم أنها قد تشير إلى أي من الثلاثة الأخر. ولو استخدمنا «اختبار رفع الغموض» لكان لدينا - بالنسبة لعجل البحر - المحددان (له زعانف) و(ليس له شعر) - والقائمة ليس لها نهاية. ولقد أسقط كاتز - أخيراً - الفرق بين «المحدد» و «المميز»، لكن الصعوبة ما تزال باقية. فمهما عالجنا المشكلة فسوف تواجهنا مجموعة غير متناهية من المكونات؛ لأن أي معلومة قد تستخدم في رفع غموض الجملة.

إن التحليل التكويني يبدو - لأول وهلة - طريقة جذابة لتناول العلاقات الدلالية، غير أنه يصادف صعوبات كثيرة، تقف دون أن يصبح في الشكل المطلوب.

الباب الخامس
السياق اللغــوي

ويتضمن الفصول التالية:

الباب الخامس
السياق اللغوي
Linguistic cotext

ناقشنا في الباب الثالث إمكان تحديد المعنى بالنظر إلى وقوع المواد اللغوية داخل السياقات غير اللغوية. لكننا يمكن أن نزعم أيضاً أن معنى بعض العناصر (الكلمات) ـ أو جزءاً منه على الأقل ـ يمكن تحديده بالنظر إلى سياقها اللغوي.

الفصـــل الأول

السياق معنى

Context as meaning

ترى أكثر الأفكار تطرفاً ـ كفكرة السيـاق غير اللغـوي ـ أن معنى الكلمة يمكن أن يحدَّد بالنظر إلى السياق الذي تقع فيه. وترجـع أصول هـذه الفكرة إلى الـرأي القائـل بأن التحليـل اللغوي معنيّ أسـاسـاً بتـوزيـع distribution العنـاصـر اللغــويـة، وهــو رأي ارتبط ـ إلى حـد بعيـد ـ «بهـاريس Zelling Harris». وكـانت لفكـرة التـوزيـع أهميـة كبيـرة عنـد «المـدرسـة البنيـويـة structuralist» في علم اللغة، التي بلغت أوجها في بـداية عـام ١٩٥٠. لقد كان البعض يعتقد أن مهمة اللغوي أن يمدّنا بالمناهج التجريبية شديدة الدقة، لتحديد العناصر اللغوية وتصنيفها. وكان الأسـاس في هذا فحص المحيـطات أو البيئـات environments التي تقع فيهـا ـ أي تـوزيعهـا. ففي علم وظـائف الأصوات ـ على سبيل المثال ـ نستطيع أن نحدد أن الكلمتين «ورقة نبات leaf و«يشعر feel» (اللتين تختلفان صوتياً) «متماثلان»، لأنهمـا في توزيـع «متتام complementary »، ـ فـإحداهمـا تقـع فقط في تلك المحيـطات أو البيئـات التي لا تقع فيها الأخرى. وبجدال مشابه يمكن أن تـظهر الـلاحقة «en» ـ في كلمـة «ثيران oxen» ممـاثلة لـلاّحقة «S —» في كلمـة «cats» (يعني أن هـذا بـالنظر إلى التـوزيع المحض، دون الاحتكـام إلى معناهـا). أما في المعنى، فقـد علق هـاريس قـائـلاً: «قـد يـزعـم أن أي وحــدتين صـرفيتين صغــريين morphemes لهمـا معنيان مختلفان، يكون تـوزيعهما أيضـاً مختلفاً. وربمـا يكـون هذا صحيحـاً، غير أن الفـرق في التوزيـع كـان نتيجـة الاختـلاف في

المعنى. فكلمة «كلب dog» لا يحتمل أن تقع في السياقات اللغوية التي تقع فيهـا كلمـة «تفـاح apple». لكن بعض اللغـويين زعم أن معنى الكلمـة أو الوحدة الصرفية الصغرى يحدده المحيط الـذي تقع فيـه. وعلى سبيل المثـال يمكن اعتبار كلمتين «مترادفتين» لو كانتـا قابلتين للتبـادل في المحيطات كلهـا (حتى رغم أن هذا قد يعني أن ليس هناك مترادفات). ويزعم جوس M. Joos أن المعنى اللغـوي لوحـدة هو «مجمـوعة من الاحتمـالات المشروطـة». أمـا المعنى «الخـارجي outside»، أو «التـطبيقي practical» فيتـركـه لـعـالم الاجتماع.

وهذا الرأي يستحق التـأمل. فهـو لا يختلف عن الرأي الـذي ينظر إلى المعنى بـاعتبار «الارتبـاطـات الحسيـة sense relations» التي نـاقشنـاهـا في الفصل السابق؛ إذ إنه يتعامل مع المعنى بالنظر إلى العلاقات بين الكلمـات، لكن هـذه المرة مـع ما قـد نسميه «بـالعلاقـات التلاؤميـة Syntagmatic» (في مقابل العلاقات الاستبدالية Paradigmatic»).

وتعني «التلاؤمية» علاقة العنصر اللغوي مع العناصر الأخرى في مجـال اللغة الذي يقع فيه. في حين تعني «الاستبدالية» علاقته مع العناصـر التي قد يستبـدل بها أو يقـوم مقامهـا. فمثلاً لـو تأملنـا الجملة: «The cat is on the mat» لاستطعنا التحدث عن علاقة تلاؤمية بين كلمتي «cat» و «mat» لكن لو قارنًا هـذه الجملة «The dog is on the mat» لكنًا أمـام علاقـة استبداليـة بين كلمتي «cat» و «dog». وبنـاء على هذا، فـإن التـوزيـع سـوف يتعـامـل مـع علاقات لغوية محصنة من النوع التلاؤمي. وتقرير المعنى بالنظر إلى التوزيـع له ا جـاذبيـة كتلك التي لتقـريـر المعنى بـالنـظر إلى «الحس sense» في أن كلتيهمـا تتعامـل مع مـلامح لغـوية ملحـوظة، وعـلاقات واقعـة داخـل اللغـة intralinguistic، بدلاً من ارتباط اللغة الغامض بعالم التطبيق غير اللغوي.

ومع ذلك فمحـاولة تقـرير المعنى بهـذه الطريقـة ليست مقنعة. فـأولاً،

لأنها لا تتعامل مع ما تعنيه كلمة «معنى meaning»، وهي - في هذه النقطة - أقل إقناعاً من الارتباطات الحسية التي عرضنا لها في الباب السابق. إنه لا يتلاقى بهذه الطريقة مع ما يسميه ليونز «بالكفاية المادية material adequacy» - فالشرط الأساسي هو أن اللغوي يجب أن يغطي - جزئياً على الأقل - المجال المقبول بوجه عام لهذه الكلمة. وثانياً، من الصعب أن نرى كيف أن مثل هذا الاتجاه يمكن أن يقوم بأكثر من الدلالة على تماثل المعنى أو اختلافه (بالنظر إلى تماثل التوزيع واختلافه). وليس واضحاً على الإطلاق كيف يمكن أن يقال ما المعنى إلاّ بحصر المحيطات أو البيئات التي يقع فيها العنصر. وفضلاً عن هذا، فنحن نستطيع أن نحدّد - على السواء - معانياً لأصغر الوحدات الصوتية phonemes (أصوات لغة) مثل الفونيم «F» كما في الكلمتين: «fly, feet» ، لأن لهاتين الاثنتين محيطات أو بيئات قابلة للتحديد، وبالتالي لن تبدو أدنى من أن يكون لها معنى. ومع هذا من المسلم به أن الفونيمات ليس لها معان. وثالثاً، لا يرتبط تماثل المعنى واختلافه بتماثل التوزيع واختلافه، لأن الأضداد (أي الكلمات ذات المعاني العكسية) على وجه الخصوص توجد عادة مع توزيع مماثل تقريباً. ومثال ذلك الكلمتان: «واسع، ضيق» مع الكلمات: «طريق road، حاشية hem، رجل بنطلون، حزام».. إلخ، في حين أن ما يبدو مترادفاً يكون له في الغالب توزيع مختلف تماماً. ورابعاً، واضح على وجه التأكيد أن تحديد المعنى بالنظر إلى التوزيع هو بمثابة وضع العربة أمام الحصان (أي وضع الأشياء في غير موضعها الصحيح). فالكلمات يختلف توزيعها لأن «لها» معاني مختلفة.

الفصل الثاني

التضـــام

Collocation

وهنـاك نظرة أقـل تطرفـاً هي نظرة فيـرث Firth الذي زعم أننـا «نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها» وضـرب مثلاً بكلمـة «شخص أبله ass» التي تقـع (في مجموعـة ميتة من الإنجليـزيـة الآن) في جملة: «you - silly»، أو جملة: « ـ - Don't be such an» ، ومع مجموعة محددة من الصفات مثل: «أحمق silly، عنيـد obstinate، غبي stupid، مـرعب awful» (وأحيـانـاً) «فاضح egregious»، لكن بالنسبة لفيرث، فإن التـزام الصحبة ـ الـذي يسميه «بـالتضام» ـ كـان جزءاً من معنى الكلمـة حسب. وكمـا رأينـا، فـإن المعنى يوجد أيضاً في سياق الحال، وفي مستويات التحليل الأخرى كلها. ومع هذا لم يكن فيـرث معنياً بـالتـوزيـع الشـامـل، وإنمـا «بـالـوقـوع المشتـرك co - occurence» الأكثر وضوحاً وأهمية؛ «بالتوقع المشترك للكلمـات» ، كما صـاغها هـو. وقد نـرى هنا أن تنـظيمـه يختلف عن التحليـل التـوزيعي عنـد هـاريس وآخـرين، مثلمـا أن سيـاق الحـال عنـده يختلف عن الاتجـاهـات السلوكية. ذلك لأن فيرث كان معنياً بانتقـاء خصائص السيـاق اللغوي أو غيـر اللغـوي التي اعتبرهـا وثيقة الصلة فقط، لا بشمـولية مثـل هـذه السيـاقـات. ولدراسة السياق اللغوي أهمية لعلم الدلالة لسببين: أولاً: إننا نستطيع

أولاً : إننـا نستـطيـع غـالبـاً أن نميـز بين المعـاني المختلفـة بـالنـظر إلى السياقات اللغوية للكلمات. وعلى سبيل المثـال يناقش نيـدا Nida

استخدام كلمة «كرسي chair» على النحو التالي :

١ ـ جلس على كرسي .
٢ ـ كرسي عالٍ للأطفال، طويل القوائم، ومُزوَّد بصينية للأكل، ومسند للقدمين .
٣ ـ كرسي الأستاذية .
٤ ـ يُسند إليه منصب .
٥ ـ رئيس الجلسة .
٦ ـ سوف يرأس الاجتماع .
٧ ـ الكرسي الكهربائي .
٨ ـ محكوم عليه بالإعدام بالكرسي الكهربائي .

وواضح أن هذه ثنائيات تعطي أربعة معانٍ مختلفة للكلمة . لكن هذا ـ إلى حد كبير ـ لا يعيّن اختلافات المعنى . إن المعجمات ـ لا سيما المعجمات الكبيرة ـ تستخدم هذا النوع من السياقية contextualisation استخداماً جديراً بالاعتبار .

ثانياً : رغم أن توزيع الكلمات ـ بوجه عام ـ قد يبدو محدداً بمعانيها (وبالأحرى العكس بالعكس) ففي بعض الحالات، لا يكون هذا صحيحاً بالمرة . ولقد ذكرنا بإيجاز (في الفصل الأول من الباب الرابع) أن كلمة «زنخ rancid» تقع مع «لحم الخنزير bacon» و «الزبد butter»؛ وكلمة «فاسد addled» تقع مع «الأدمغة brains» و «البيض eggs»، رغم أن الإنجليزية فيها الكلمتان «فاسد rotten»، «رديء bad»؛ وأن «اللبن milk»، لا يكون أبداً «rancid»، وإنما «حامض sour» حسب . وسوف نرى (في الفصل الثاني من الباب السادس) أن عبارة «طفلة جميلة pretty child» و «جارة ناهد buxom neighbour» تشير ـ بطريقة طبيعية ـ إلى

الإنـاث. ومن المنـاسب أن نشيـر هنـا إلى أننـا لا نقـول بـطريقـة طبيعيـة: «pretty boy» ولا «buxom man» ، مـع أن العبـارتين: «pretty girl»، و «buxom woman» عـاديـان تمـامـاً. إن هـذه الخصيصـة اللغويـة توجـد بشكل واضـح في الكلمات «الجمـاعية collective» ـ مثل: «قطيـع الأغنام flock of sheep» ، إجـل البقر herd of cows، جماعة الحيتان school of whales، عرجلة السباع pride of lions»، وأمثلة أكثر سخفاً مثل: «سرب الغربان chattering of magpies، عصابة القنابر exaltation of larks».

والقضيـة هي أيضاً أن الكلمـات قـد يكـون لهـا معـان أكثـر تحديداً في حالة تضام معين. فمثلاً نستطيع أن نتكلم عن الـطقس «الشـاذ abnormal» أو «الاستثنـائي exceptional» لو هبت مـوجـة حرارة في نوفمبـر، لكن قولنـا: «an exceptional child» ليس مثل قولنا: «an abnormal child»، لأن كلمـة «exceptional» تستخدم في القدرة فوق العادية وكلمة «abnormal» ترتبط بعيب ما (رغم أن من الغـريب ـ ولأسبـاب تتعلق بلطف الـتعـبيـر ـ كـون كـلمـة «exceptional» هي التي يستخدمها الآن بعض الناس ـ خاصـة في أمريكا ـ مكان كلمة «abnormal»).

ومع ذلك فمن الخطأ أن نحاول وضـع حدّ فـاصل بين هـذه الكلمات المتضامـة التي يمكن التنبؤ بها من معـاني الكلمات التي تقـع معاً، وتلك التي لا يمكن التنبؤ بهـا (رغم أن بعض اللغـويين يـرغبون في قصـر مصطلح «تضـام» على الأخيرة). وهنـاك أبحاث مستفيضـة عن التضـام داخـل النصـوص وصلت نتـائجهـا إلى أن الـوقوع المشتـرك يحدّه كـل من معنى الكلمات المفـردة والأعراف المتبعـة حول «الصحبـة التي تلتزمهـا» (رغم أن مدى هـذه أقل). ولهذا السبب لا نستطيع أن نحصر الحدّ بأي طريقة محـددة، رغم

أن هذا لا يحول - بالضرورة - بيننا وبين اتباع فيرث، وفحص تلك الكلمات المتضامة التي نشعر بأنها مهمة.

ورغم ما قيل، فقد زعم البعض أن الكلمات المتضامة كلها يحددها معنى الكلمات، مع أن هذه النظرة تبدو سيئة، فمثلاً، قد يقال إن كلمة «وسيم «pretty» تعني «handsome» بأسلوب مؤنث (أو أنثوي)، ولهذا السبب نستطيع أن نقول: «pretty child» فتعني «pretty girl» وليس «a handsome boy». وهذا مقبول بعض الشيء. وأقل قبولاً أن نقول إن كلمة «زنخ» «rancid»، تعني «rotten»، بأسلوب يشبه أسلوب «الزبد butter» أو «لحم الخنزير bacon»، أو أن كلمة «فاسد addled» تعني «rotten» على سبيل أن «الأدمغة brains» أو «البيض eggs» يمكن أن يكونا كذلك. ولأنه ليس هناك أوصاف واضحة لكون الشيء «rancid» أو «addled» حتى نميزهما عن أي نوع آخر من الفساد rottenness. فأنت حين تقول «rotten» (عن الزبد) و «rotten» (عن البيض) لا تعيّن معنى محدداً لكلمة «rancid» أو كلمة «addled». بل توحي بأن هاتين هما الكلمتان اللتان تشيران إلى الفساد حين يكون في «الزبد» و «البيض». وهذا واضح حتى مع الكلمات الجماعية. فليس هناك فرق في المعنى بين كلمتي «قطيع herd و flock»، إلّا أن إحداهما تستخدم مع «cows» والأخرى مع «sheep». إن جزءاً من الصعوبة ينشأ من حقيقة أن الكلمة غالباً ما تصاحب عدداً من الكلمات الأخرى التي يكون بينهما شيء مشترك من الناحية الدلالية. إننا نجد على نحو لافت للنظر (لأن الأمثلة المنفية غالباً ما تجعل المسألة أكثر وضوحاً) نجد أن الكلمات الفردية أو تتابع الكلمات لا يضم مجموعة معينة من الكلمات. فمثلاً رغم أننا قد نقول: «مات نبات الرودودندرون The rhododendron died» لا

نقـــول: «The rhododendron passed away»، رغم حقيقــة أن «pass away» يبـدو لهـا معنى «die» نفسـه. لكننـا بـالـطبــع لن نستخـــدم «pass away»، مـع أسـمـــاء أي شجيــرات، حتى مـــع الشجيرة التي نسمع اسمهـا لأول مرة. وليس مقبـولاً أبداً أن نقـول إن «pass away» تشيـر إلى نوع محـدد من الموت لا يكـون صفـة مميزة للشجيرات. بـل الأصح أن هنـاك قيداً على استخـدامها مـع مجمـوعة من الكلمـات التي تـرتبط دلاليـاً. وزعم انتـوش A.Mc Intosh أن القيود هي مسألة «مجال Range» ـ إننا نعرف تقريباً نوع الأسمـاء nouns (بالنـظر إلى معناهـا) التي يستخدم معهـا فعـل أو صيغـة. ولذلـك لا نرفض تضـاماً معينـاً لمجرد أننـا لم نـسمعه من قبل، فنحن نعتمد على معرفتنا بالمجال.

وربمـا نستطيـع أن نعرض لثلاثـة أنـواع من قيـود التضـام: فـالأول، تلك القيود التي تـرتكـز كليـة على معنى المـادة كمـا في المثال بعيد الاحتمال: «بقرة خضـراء green cow». والثاني، تلك التي ترتكز على المجال؛ فالكلمة قد تستخدم مع مجموعة كـاملة من الكلمـات التي لها مـلامح دلاليـة مشتركـة. وهـذا يفسـر بُعـد احـــتـمـــال الـــجـمـــلة: «The rhododendron passed away»، والـجمـلة: «The pretty boy» على الـســـواء (فكـلمــة: pretty تستخـدم مع كلمـات ترمـز إلى إناث). أمـا النوع الثـالث فيختص بالقيود الخاصة بالتضام بالمعنى الضيق؛ حيث لا تتضمن معنى ولا مجـالاً، مثـل كلمـة «addled» مـع «brains, eggs». وقـد تكـون هنـاك ـ بالـطبع ـ حـالات مختلف فيها. فقـد يُظن أن كلمـة «زنـخ rancid» تستخدم مع منتجات حيوانية من نوع معين، وربمـا يكون بين «الزبد» «ولحم الخنـزير» شيء مشتـرك. لكن لماذا لا نقـول: «rancid cheese» ولا «rancid milk»؟

الفصل الثالث

التعبيرات

Idioms

تستخدم التعبيرات تضاماً من نوع خاص . فعلى سبيل المثال ، تأمل التعبيرات « يموت kick the bucket ، fly off the handle ، spill the beans ، red herring » . فليس لدينا هنا تضام بين كلمة «kick» وكلمة «the bucket» فقط ، بل لدينا أيضاً حقيقة أن معنى الائتلاف الناتج غامض (الفصل الخامس من الباب الثاني)، فهو لا يرتبط بمعنى الكلمات المفردة، بل يكون أحياناً (رغم أنه ليس دائماً) أقرب إلى معنى الكلمة المفردة (فالتعبير «kick the bucket» يساوي كلمة «die») .

وحتى إذا كان التعبير مثل الكلمة المفردة ـ من الناحية الدلالية ـ فإنه لا يؤدي وظيفة الكلمة المفردة. فمثلاً ليس لدينا زمنٍ ماضٍ حتى نقول : «kick the bucketed» . بل إنه يعمل ـ إلى درجةٍ ما ـ باعتباره تتابعاً طبيعياً لكلمات نحوية، فصيغة الزمن الماضي هي : «Kicked the bucket» . لكن هناك عدداً كبيراً من القيود النحوية؛ فعدد كبير من التعبيرات يحتوي على فعل واسم، ولكن رغم أن الفعل قد يُبدل في الزمن الماضي، فلا يمكن أن يتغير «عدد» الاسم. فلدينا «spilled the beans»، وليس «spill the bean» ، وبالمثل ليس لدينا «fly of the handles» ، ولا «kick the buckets» ، ولا «put on good faces» ، ولا «blow one's tops» . . إلخ، والاسم في التعبير: «red herring» قد يكون جمعاً، لكن الصفة لا يمكن أن تكون تفضيلية (صيغة er ـ). وبالتالي نجد «red herrings» ولا نجد «redder

herring». وهناك أيضاً كثير من القيود التركيبية؛ فبعض التعبيرات لها صيغ للبناء المجهول، وبعضها ليس كذلك. فالتعبيران «The law was laid down» و «The beans have been spilled» صحيحان (رغم أن البعض قد يعترض على الأخير)، لكن قول: «The bucket was kicked» ليس صحيحاً. غير أننا لا نستطيع أن نقول: «beans that were spilled» ـ «It was the ، ولا «law that was laid down» ـ، ولا «bucket that was kicked» ـ . إلخ، في أي حالة؛ فالقيود تختلف من تعبير إلى آخر. وبعض التعبيرات يكون أكثر تقييداً أو «جموداً» من تعبيرات أخرى.

وفي الإنجليزية نوع من التعبير شائع جداً هو ما يسمى عادة «phrasal verb» ويعني ائتلاف فعل مع ظرف مثل: «يخترع make up، يستسلم give in، يقمع put down». فمعنى هذه الائتلافات لا يمكن التنبؤ به من الفعل وحده أو الظرف وحده. وفي حالات كثيرة يكون هناك فعل بالمعنى نفسه، أو بمعنى قريب جداً مثل: «invent، yield، quell». وبالطبع ليست الائتلافات التي تكون من هذا النوع كلها متعلقة بتعبير؛ فالتركيب «يخفض put down» له معنى حرفي أيضاً. وهناك تراكيب أخرى كثيرة قد تكون تعبيرية وقد لا تكون مثل: «take in» في جملة: «يخدع The conjuror took the audience in»، وجملة: «The woman took the homeless children in». بل إنّ هناك درجات للتعبيرية idiomaticity؛ فالشخص يمكن أن: «يؤلف make up a story»، أو «يشعل make up a fire»، أو «يجمّل بالمساحيق make up one's face». من ناحية أخرى، فإن التعبير لا يتعلق بتتابع الفعل والظرف فقط، وإنما قد يتعلق بتتابع الفعل وحرف الجر، preposition، مثل: «يعتني بـ look after»، «يؤيد go for»، وبتتابع الفعل مع الظرف وحرف الجر مثل: «يتحمل Put up with (tolerate)»، أو «يقتل do away with (kill)».

وهناك أيضاً ما قد نسميه «تعبيرات جزئية partial idioms»؛ حيث

يكـون لإحدى الكلمتين معنـاها العـادي، وللأخـرى المعنى الخاص بتتـابـع معين. فمثلاً التركيب «red hair» يشير إلى الشعر، لكنـه ليس الشعر الأحمـر الذي تعنيه «حدود اللون» الدقيقـة. وممثلو الكوميـديا يقـدمون صـوراً مازحـة بتعبيرات جزئية من هذا النـوع؛ فمثلاً عنـدما يؤمـرون بإعـداد سريـر make a bad يُظهرون مجموعة من أدوات النجارة. وهناك مجموعة هامة تتضمن كلمة «أبيض white »، لأن «white coffee» هي بنيّـة اللون، و «خمر white wine» هي عـادة صفراء، و «white people» هم قـرنفليون. ومـع هذا، ربمـا تكون كلمة «white» تعبيريـة فقط إلى درجة مـا، ويمكن تأويلهـا إلى «أكثر حـالات اللون ضياء». وليس مثيراً للدهشة أن كلمة «أسود black» تستخدم بـاعتبارهـا «ضـداً antonym» لها عنـد إطلاقهـا على القهوة وعلى النـاس (رغم أنه ليس واحد منهما أسود بالمعنى الذي يشير إليـه حد اللون)، ومـع هذا لا يستخـدم في الخمر. وهكذا يمكن أن نرى أنه حتى «التعبيرية الجزئية» يمكن أن تكون مسألة درجة، وفي بعض الحالات تكون أكثر قليـلاً من مسألـة قيود للتضـام. وفي المستوى الأكثر هزلاً تعبيرات جزئية مثل عبارة «تمطر قططاً وكـلاباً rain-ing cats and dogs» (في لغـة ويـلز يقـولـون: «It rains old women and sticks»). إذن فما يكون تعبيراً وما لا يكون هو غالباً مسألة درجة. ومع ذلك، فمن الصعب أن نقـرر ما إذا كـانت الكلمة أو تتـابع الكلمـات مبهماً. وربمـا نستطيع أن نعـرّف التعبيرات بـالنظر إلى عـدم التكافؤ في لغـات أخرى، فـإن «kick the bucket» و «red herring». . إلخ. هي تعبيرات لأنها لا يمكن أن تترجم مباشرة إلى الفرنسيـة أو الألمانيـة. لكن هذا لا يحـلّ المشكلة حقيقة. فالكلمة الفرنسية الدالة على «الممـرضة nurse» هي «garde-malade»، لكن في حين أن هذه لا يمكن ترجمتها مباشـرة إلى الإنجليزيـة واضح تمـاماً أنهـا تعني الشخص الذي يعتني بالمريض. من ناحية أخرى، فـإن «يعتني بـ look after» تبدو تعبيرية تماماً، ومع ذلك يمكن ترجمتها مباشرة إلى لغة إقليم ويلز (edrych ar ôl).

الفصل الرابع

التضام وعلم النحو

Collocation and grammar

نـظر فيـرث إلى «التضـام» بـاعتبـاره مستـوى من مستـويـات المعنى أو صياغاته. وحاول آخرون أن يدمجوه في مستويات التحليل اللغـوي الأخرى، فـزعموا أنـه قد يُتنـاول ـ على سبيل المثـال ـ داخـل مستـوى «القـوالب ذات الوظيفة lexis»، الذي يرتبط ـ من الناحية النظرية ـ بالنحو ارتباطاً تاماً.

وهناك محاولـة لتناول التضـام داخل علم النحـو (أو علم بناء الجملة أو النظم syntax)، باعتباره متميزاً عن علم الأصوات وعلم الدلالة، نجدها عند تشومسكر في كتابه:

«Aspects of the theory of syntax». وتشومسكر معنيّ بـالنحو الـذي لو أُعطي مجموعة من القواعد الملائمة، لأنتج الجمل النحـوية المـوجودة في اللغة فقط. أما مـا يهمّ علم الدلالـة فهو أنـه معنيّ بقيود «الـوقوع المشتـرك» داخل الجملة، فإننا لن نسمح بقـول: «الفكرة قـطعت الشجرة The idea cut the tree»، ولا «أنا شربت الخبز I drank the gread»، ولا «He frightened يخيف that he was coming»، ولا «the man انقضى He elapsed». ففي هذه الأمثلة كلها، واصح أن لدينا كلمات مختـارة لا «تناسب» الأفعـال. والمسألة هنا مسألة قواعد نحوية؛ فإن كلمة «frightened» لا تأتي معهـا عبارة «that -»، في حين أن كلمة «elapse» هي فعل لازم لا يحتاج إلى أي مفعول على الإطلاق. أما المثـالان الآخران فـالمسألـة معهما ـ مسـألة تنـافر المـواد

المعجمية الخاصة بأسماء nouns معينة (كالفاعل والمفعول) مع أفعال معينة.

وعند الإشارة إلى الفرق بين هذين الصنفين اقترح تشومسكر أن نعالجهما بطرق مماثلة. وفي كلتا الحالين يقرر ـ باعتباره جزءاً من مواصفات الفعل ـ المحيط الذي قد يظهر فيه. فمثلاً الفعل «elapse» يُرى أنه لا يقع مع جملة ذات مفعول، وكلمة «frighten» لا تقع مع عبارة «- that» التالية (أو على الأصح لا يُرى أنهما يمكن أن يقعا هكذا، لأن المواصفات سوف تقرر ما هو ممكن، وليس ما هو ممكن). وبالمثل فالفعل «cut» سوف يُرى أنه يحتاج إلى فاعل «عينيّ concrete» والفعل «drink» يحتاج إلى مفعول «مادة سائلة». ويمكن الوصول إلى هذا بالنظر إلى المكونات؛ بتقرير أن الفاعل والمفعول الملائمين يجب أن يكون فيهما المكونان: (عينيّ) و (مادة سائلة). وهذه «قيود انتقائية Selectional Ristrictions». وأي جملة لا تستجيب لها فلا مجال للبحث فيها، ولن تنتجها قواعد النحو (انظر أيضاً إلى الفصل الأول من الباب السابع).

ورغم أن هذا يبدو محكماً جداً، فهو غير مقنع، وذلك لعدد من الأسباب: فأولاً، هنا ـ للمرة الثانية ـ مشكلة العدد غير المحدد من المكونات المطلوبة (انظر إلى الفصل السابع من الباب الرابع، وأيضاً الفصل الثاني من الباب السادس). لأننا لو أعلنّا أن لا مجال للبحث في الجمل الخارجة عن القياس، لاضطررنا إلى حصر المعلومات الوثيقة الصلة كلها، وهذا شيء لا نهاية له. وثانياً، تعجز النظرية عن التفريق بين ما هو نحوي وما هو معجمي، وسوف نناقش هذا بتفصيل أكثر في الفصل الأول من الباب السابع. وثالثاً، لا يمكن أن يُعلّل للمناسبات الكثيرة التي تكون فيها مثل هذه القيود الانتقائية غير سليمة منطقياً دون تعقيدات ملحوظة. إنَّ هذا ممكن مع أفعال القول، والظن.. إلخ، كما في جملة:

«John thought we could drink bread»، أو مع بعض المنفيات مثل

جملة: «You can't drink bread». وواضح أننا معنيّون هنا بالإفهام making sense، وهذه مسألة دلالة أكثر من كونها مسألة نحو. فإننا يمكن أن نأتي بكلام صحيح نحوياً، لكن نظل غير مفهومين. ووضح تشومسكر نفسه هذا بجملته الشهيرة: «الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة Colourless green ideas sleep furiously». إذن فمن الخطأ أن نحاول تناول هذه العلاقات الدلالية الأساسية بين المواد المعجمية داخل القواعد النحوية (رغم أنه ليس مؤكداً على الإطلاق إمكان تناولها بأي طريقة كاملة ومتسقة في أي جزء من التحليل اللغوي).

وأخيراً، قد نشير إلى أن تراكيب نحوية مختلفة تستبقي ما يشبه قيود التضام داخلها، فنجد مثلاً إلى جانب «مناقشة حادة a strong argument»: «the strenght of the argument»، «he argued strongly»، «his argument was strengthened» (هاليداي Halliday ١٩٦٦). بمعنى أن التضام لا ينعقد بسهولة بين كلمتي «strong» و«argument»، لكن بين الكلمات المترابطة كلها: «strong، strength، strongly، strenghten» و«argue، argument». وينتج عن هذا أن لو كانت قيود التضام تُتناول في المعجم، لما كانت المادة المعجمية الأساسية هي الكلمات (المواد اللغوية lexemes) strong، strengthen.. إلخ، وإنما بعض المواد الأعم التي تشملها كلها. ولقد أشار فيرث إلى مجموعات من الكلمات المرتبطة باعتبارها «العدد القليل المتناثر الصوري Formal Scatter». إن ما ينبغي أن نعنى به هو التضام بين الأعداد القليلة المتناثرة، وليس الكلمات.

الباب السادس
المعنى والجملة

ويتضمن الفصول التالية :

الباب السادس
المعنى والجملة

دارت أكثر مناقشاتنا حول معنى الكلمات، رغم أن علينا أن نسلّم بأن للجمل أيضاً معنى ولذلك سوف نتأمل ـ في هذا الباب ـ تحليل معنى الجمل، وكيفية ارتباطه بمعنى الكلمات على وجه الخصوص .

الفصل الأول

الكلمة والجملة

بداية، واضح أن الجمل لا يكون لها معنى بالطريقة التي يكون بها للكلمات معنى. فلو تأملنا المعنى بالنظر إلى «الإشارة reference»، بالمعنى الواسع للكلمة، مثلما نقول شيئاً عن الحياة حولنا، لكان مقبولاً أن نعتقد أن الجمل فقط هي التي يمكن أن يكون لها معنى. ولمّا كان للكلمات معانٍ إشارية فإنها تكتسبها إما من خلال كونها أجزاء من جمل، وإما ـ بتحديد أكثر ـ من خلال التعريفات الظاهرية (الفصل الثالث من الباب الثاني). غير أن التعريفات الظاهرية تكتسب أيضاً عن طريق معاني جمل من نوع: «هذا يكون ....this is a». إذن فالمعنى الإشاري يبدو أنه خصيصة للجمل. من ناحية أخرى فالمعنى بالنظر إلى «الحس sense» يظهر أنه ينتمي ـ جزئياً على الأقل ـ الكلمات. وقد رأينا لهذا بعض الأمثلة: خروف / شاة، أب / ابن، واسع / ضيق، مذكر / مؤنث، إلخ. وبالطبع فإن المعجمات معنيّة أساساً بالكلمات، وبالتالي بالارتباطات الحسية sense relations (لكن انظر إلى الفصل الخامس من الباب الثاني).

ولا يمكن إنكار أن الكلام المنطوق يتكون أحياناً من كلمات مفردة. فمن السهل أن نتصور موقفاً فيه شخص ينطق بمجرد كلمة: «خيل Horses». لكن حتى في مثل هذه الحالات من المعقول أن نعامل هذه المنطوقات على أنها جمل، لكنها جمل غير تامة تتكون من كلمة واحدة (يشير بعض علماء

النحو إليها باعتبارها جملاً «صغرى minor»). ومعالجتها باعتبارها جملاً غير تامة تبرّره حقيقة أنها لو أعطيت سياقاً لأمكن أن تصبح دائماً تامة. فمثلاً قد تكون كلمة «خيل» إجابة على سؤال: «ما هذه الحيوانات؟» وعندئذٍ ننظر إليها على أنها رواية غير كاملة للتعبير: «هي خيل». إذن فنحن نستطيع أن نعرّف الجمل بمثل هذه الطريقة، بحيث نسمح لها بأن تتكون - في حالات معينة - من كلمات مفردة. ولسنا نتلاعب بالألفاظ عندما نتحدث عن جمل ذات كلمة واحدة. إنَّ النقطة الأساسية هي أن المحادثات لا تتألف - بصورة طبيعية - من مجرد كلمات، إلاَّ عندما تصاغ مثل هذه الكلمات في جمل، وبهذا المعنى قد تقال الجمل - لا الكلمات - فتصبح ذات معنى.

ولو وضعنا فرقاً بين معنى الجملة ومعنى الكلمة، لبرزت لنا مشكلة رئيسية هي إقامة علاقة بين المعنيين. ولقد اعتقد بعض العلماء أن معنى الجملة يمكن أن يُستمد من مجموع معاني الكلمة، وسوف نناقش معنى الجملة بالنظر إلى هذا المفهوم في الفصل التالي. ومع هذا فأي إنسان يعتبر الإشارة هامة قد يزعم - بحماس ظاهر - أن هذه عودة إلى ما سبق قوله من أن الجمل لمّا كان لها معنى إشاري فإن معنى الكلمات يستمد من معنى الجمل التي تظهر فيها، وليس العكس بالعكس.

الفصل الثاني

قواعد التخطيط

Projection rules

ناقشنا التحليل بالنظر إلى المكونات، وناقشنا تمييز كاتز وفودور للجمل الخارجة عن القياس والجمل الغامضة (الفصل السابع من الباب الرابع) كما استعرضنا وظيفتها في «قيود» تشومسكي «الانتقائية» (الفصل الرابع من الباب الخامس). وفي هذا الفصل سأحاول أن أشرح ـ بإيجاز ـ الطريقة التي يتصور فيها أن النظرية قد تأخذنا من معنى الكلمات إلى معنى الجمل.

بكلمات بسيطة، إن ما يقترحونه هو مجموعة من القواعد لربط معاني مواد معجمية مفردة. وتسمى هذه القواعد بـ «قواعد التخطيط Projection Rules»، ويشار إلى الربط باعتباره «إدماجاً Amalgamation»، أما المعاني فتسمى «خطوطاً Paths». والخطوط ليست أكثر من التحليل التركيبي للمعنى كما ظهر في الرسم التخطيطي في الفصل الثالث من الباب الرابع. إذن فالإدماج هو ربط المحدّدات markers والمميزات distinguishers. إننا نحتاج إلى قواعد التخطيط لأن من الضروري أن نقرّر ما الذي قد يكون مندمجاً، ومع ماذا يندمج، وبأي ترتيب. وهذا سوف يحدّده الوضع النحوي للعناصر. فسوف نربط الصفة بالاسم، والجملة الاسمية بالفعل، وهكذا.

وقد اختار كاتز وفودور المثال التالي لتوضيح كيفية تطبيق التخطيط: «The man hit the colorful ball»، (وما دمت أستخدم مثالهما سأبقى على الهجاء الأمريكي).

إنَّ علينا أولاً أن نحدِّد الوضع النحوي للمواد المعجمية؛ فكلمة «colorful» صفة وكلمة «ball» اسم، وأنهما مع أداة التعريف «the» يشكلان جملة اسمية. . .، وهكذا. غير أننا لسنا في حاجة إلى جلبة التفاصيل هنا. بعد ذلك علينا أن ندمج خطوط المواد المعجمية المتنوعة. ولنبدأ بكلمتي «colorful» و«ball». ففي خط من خطوط كلمة «colorful» نجد محدّداً (هو color) يشير إلى لون فعلي، لكن هناك خطاً آخر فيه يكون المحدّد (تقييمياً evaluative) ليتعامل مع معنى «colorful» فيشير إلى طبيعة «ذات لون» لأي شيء جماليّ. وكلمة «ball» لها خطوط ثلاثة، خط مع المحدّد (نشاط اجتماعي)، والخطان الآخران مع المحدِّد (شيء فيزيائي)، لكن الفرق فيهما ملحوظ بالمميزات: [له شكل كروي] و[قذيفة صلبة تقذفها آلة حرب]. أي إننا معنيّون بالحفل الراقص ball الذي يرقص الناس فيه، والكرة المستديرة «العادية»، وقذائف المدفع. (وهناك معلومات أكثر لكنها غير وثيقة الصلة بغرضنا). غير أن هناك جزءاً إضافياً وأساسياً من المعلومات: فكلمة «colorful» تحدَّد أولاً بوقوعها إما في محيط (الشيء الفيزيائي) وإما في محيط (النشاط الاجتماعي)، وثانياً بوقوعها إما في محيط (الشيء الجماليّ) ـ وهذا في الواقع لا صلة له هنا ـ وإما في محيط (النشاط الاجتماعي). ورغم أن لدينا ثلاثة خطوط لكلمة «ball» وخطين لكلمة «colorful»، فعندما ندمج خطوطهما لننتج: «colorful ball» فلن يكون لدينا ستة خطوط مندمجة (خطان ثلاث مرات)، بل أربعة حسب. والسبب هو ـ بالطبع ـ أن الخط الثاني لكلمة «colorful» (خط تقييمي) لا يندمج مع خط «ball» بالمحدِّد (شيء فيزيائي). وفي كلمات عامة نقول إن «balls» الثلاثة كلها يمكن أن تكون «ذات لون» بالمعنى الحرفي للكلمة، غير أن الحفل الراقص «ball» الذي فيه الناس يرقصون يمكن أن يكون ذا لون بالمعنى التقييمي ـ أما الاثنان الآخران من «ball» فلا يمكن. (ولست معنيّاً بالدقة الواقعية لهذه العبارات، بل باعتبارها أمثلة). والآن لندمج عبارة «colorful

«ball» مع كلمة «hit». إنَّ كلمة «Hit» لها خطّان، أحدهما يشير إلى «التصادم»، والآخر يشير إلى «الضرب»، وكلاهما يقع في محيط (الشيء الفيزيائي). لكننا لن يكن لدينا ثمانية خطوط منتجة (خطان أربع مرات)، لأنه لن يندمج شيء مع «colorful ball» بالمحدِّد (نشاط اجتماعي)، ما دام هذا النوع من «ball» لا يمكن أن «be hit» في أي معنى من معاني «hit». وبدلاً من ثمانية خطوط سيكون لدينا أربع إمكانات. وأخيراً نستطيع أن ندمج خط «the man» (خط واحد فقط)، وفي آخر الأمر تنتج أربع قراءات فقط للجملة (يتصادم مع، أو يقذف إما كرة عادية، وإما قذيفة مدفع).

ولقد رأينا في مناقشة سابقة (في الفصل السابع من الباب الرابع، والفصل الرابع من الباب الخامس) كيف يُستخدم التحليل بالنظر إلى المكونات في معالجة الخروج عن القياس، والقيود الانتقائية. أما قواعد التخطيط فهي تتناول على وجه التحديد جملاً مثل: «The idea cut the tree» أو «John drank the bread» بوصفها «ليست قراءات» على الإطلاق. ومثلما يقرر أن بعض الخطوط المندمجةُ لا مجال للبحث فيها كما في حالة «The man hit the colorful ball»، يقرر كذلك أن الخطوط كلها لا مجال للبحث فيها بالنسبة للجمل الخارجة عن القياس، ولا تنتج قراءات. حقاً إن الجملة الخارجة عن القياس تعرَّف بأنها الجملة التي ليست لها قراءات. وقد رأينا بعض مشكلات التحليل بالنظر إلى المكونات بوجه عام، واستخدامه في معالجة القيود الانتقائية. لكن هناك صعوبات أخرى في محاولة استخدامه في الانتقال من الكلمة إلى الجملة:

أولاً : لو أننا نضيف مكونات على نحو متصل حسب، مثلما نستخدم قواعد التخطيط، فسوف ينتج عن هذا حينئذٍ أن الجملتين: «القطط تطارد الفئران cats chase mice» و «Mice chase cats» لهما معنى متماثل تماماً. والقضية واضحة فكلمة «chase» أساساً ذات ارتباط relational ، تماماً مثل المقابلات، ذات الارتباط

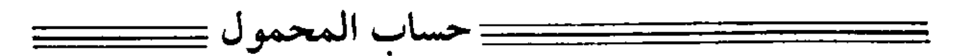
relational opposites التي ناقشناها في الفصل السادس من الباب الرابع. حقاً إنَّ علاقة المبني للمعلوم / المبني للمجهول هي أساساً واحدة من المقابلات ذات الارتباط لأن جملة: «cats chase mice» تستلزم جملة «Mice are chased by cats».

واتجاه «direction» العلاقة هام ويجب تحديده. ومثلما رأينا (في الفصل السابع من الباب الرابع) من الممكن أن «نقحم» الاتجاه في المكونات، كي نعالجها أساساً باعتبارها علاقات، لا مكونات.

ثانياً : هناك مشكلة تنتج عن أن المكون نفسه في أوقات قد يوفّر فقط المحيط للإدماج، وفي أوقات أخرى يصبح جزءاً من الخط المنتج (أعني جزءاً من معنى الربط الناتج). تأمل كلمة «حبلى Pregnant» فلو اتبعنا نهج «colorful ball» لرغبنا في القول بأن هذا سوف يقع فقط في محيط (ـ مذكر)، وبالتالي نسمح بقول: «pregnant woman»، ولا نسمح بقول: «pregnant man». لكننا نستطيع أيضاً أن نقول «pregnant horse»، رغم أن «horse» (بخلاف الفرس mare) ليس له المحدِّد (ـ مذكر) ومع هذا يشير قولنا «pregnant horse» على نحو واضح إلى مخلوق مؤنث، ويمكن أن يرتبط مع «. . . ولدت gave birth». وفي مثال كهذا فإن المكوِّن (ـ مذكر) يأتي من الصفة وليس من الاسم. وفوق ذلك لا تحتاط القواعد لهذا (ولا تستطيع أن تفعل بطريقة سهلة، لو رغبنا في معالجة كلمة «pregnant» باعتبارها تنسجم فقط مع الأسماء المؤنثة). وهناك أمثلة مشابهة أخرى كثيرة كما في عبارة: طفلة جميلة «pretty child»، وعبارة «جارة ناهد buxom neighbour»؛ حيث من المسلم أن العبارة الاسمية هي (ـ مذكر)، لكن الاسمين «child» و «neighbour» ليسا كذلك. وبالطبع

يمكن إيجاد طرق لمعالجة مثل هذه المشكلة. ولقد اقترح ويزيسن أن نتحدث عن قاعدة تحويل «transference rule»، خاصة، «تحوّل» المكون الملائم. لكن مثل هذه الأمثلة تظهر أن التحليل بالنظر إلى المكونات لا يوفّر طريقة بسيطة للمضي قدماً من معنى المواد المعجمية إلى معنى الجمل عن طريق عملية الإضافة المستمرة للمكونات من خلال الإدماج.

الفصل الثالث



حساب المحمول

Predicate calculus

أشرنا حالاً إلى أن الفعل في الجملة يرى أحسن ما يرى باعتباره ملمحاً ذا ارتباط، وأن الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية للمجهول يمكن تناولها حقاً كما لو كانت مقابلات ذات ارتباط (الفصل السادس من الباب الرابع). ويبدو أن التحليل بالحدود ذات الارتباط يقدم حلاً أكثر قبولاً ـ لمشكلة معنى الجملة ـ من التحليل بالنظر إلى المكونات. ومثل هذا التحليل يشترك ـ في أشياء كثيرة ـ مع حساب المحمول الذي يستخدمه المناطقة. لكن استخدام المناطقة لهذا يتم كلية بتقرير العلاقات المنطقية بين الجمل أكثر من اهتمامه بتقرير معنى الجمل في حد ذاته. ولهذا فلن أحاول أن أشرح حساب المحمول بمصطلحات المناطقة، لكن سأتّبع اقتراحات بيرويسن، رغم أنني لن أستخدم مجموعة رموزه، ولا أمثلته. إنَّ معنى جملة هو «خبر proposition» (واضح أننا نتعامل فقط مع المعنى الخبري أو المعنى الإدراكي، ويجب أن نوافق على تجاهل الصعوبات المثارة في الباب الثاني). والأخبار تتكون من «حدود terms» ذات نوعين، المحمول predicate والموضوع Argument. فالمحمولات هي الحدود ذات الارتباط وهي عادة تماثل الأفعال في الجمل. أما الموضوعات فهي الحدود التي ترتبط بالأسماء وتماثلها عادة. فعلى سبيل المثال، في جملة «John loves Mary» علاقة (محمول) يعبر عنها بالفعل «loves» وحدّان (موضوعان) يعبر عنهما بـ «John» و «Mary». ولو كتبنا المحمول في أقواس معقوفة (المناطقة

يستخدمون أقواساً هلالية، لكنني سوف أحتاج هذه في غرض آخر، ولهذا سوف أتبع بيرويش، فأستخدم أقواساً معقوفة) لوصلنا إلى الصيغة: John و Mary [Love]. لكن هناك نقطة هامة وواضحة هي أن الموضوعات «المرتبة» في الصيغة: John و Mary [Love] سوف تكون صيغة لشيء مختلف مقل «Mary loves Mary». فمثلاً باستخدام أ ، ب باعتبارهما متغيرين «variables» نستطيع أن نقول إن [love] أ ، ب متميزة عن [love] ب ، أ. كما وكما رأينا في الفصل السادس من الباب الرابع صحيح أن بعض العلاقات تكون متناسقة Symmetrical. ومثال ذلك في الإنجليزية «be married to» لأن القول بأن «John is married to Mary» يستلزم القول بأن: «Mary is married to John». ومن ثم نجد أن علينا أن نقول إن [Married to] أ ، ب تستلزم [Married to] ب ، أ. لكن هذه خاصية لهذا المحمول المحدّد (ومحمولات قليلة أخرى)، وليست أحد المحمولات بوجه عام.

إنَّ ميزة هذا الاتجاه إمكان تناوله للمكوِّنات «شديدة الصغر»، بالإضافة إلى المكونات ذات الارتباط. فقد ننظر إلى مثل هذه المكونات باعتبارها علاقة تتضمن موضوعاً واحداً حسب. ودعنا نأخذ مثالاً مثل هذا: « Bill is Harry's father». فنحن هنا نريد أن نعبر عن كل من علاقة «parent of» والمكون (+ مذكر). ونستطيع أن نستخدم الرمز فنقول: Harry و Bill [Parent]. Bill [Male] (النقطة ترمز إلى «و»)، أي Bill is the parent of Harry « و Bill is male ».

إنَّ هذا المثال يظهر أنه قد يكون لدينا موضوع أو موضوعان. ويجعل الفرق عادة بالنظر إلى المحمولات «ذات المكان الواحد» و«ذات المكانين». وقد تكون هناك محمولات ذات ثلاثة أماكن؛ محمولات مع ثلاثة موضوعات. ومثال ذلك كلمة «give» في المثال «John gave Bill a book». فمثلاً بالنسبة لكلمة «give» لدينا صيغة: [give] أ ، ب ، جـ. وقد تكون

هناك أيضاً محمولات ذات أربعة أماكن، أو خمسة. . وهكـذا. ومع هـذا لن نحتاج إلى هذه في التـطبيق. حقاً، يمكن الـزعم بأن من الممكن اختصـارها إلى تراكيب من محمولات ذات مكان واحد، ومحمولات ذات مكانين (انـظر إلى أسفل الصفحة).

وحساب المحمول يوفر لنا منهجاً بسيطاً للتعامـل مع مـا يعرف في علم النحـو «بـالإتبـاع Subordination»؛ أي السمـاح للخبـر بـأن يؤدي وظيفـة الموضوع. فمثلاً قد نرغب في تحليل جملة:

«Fred thinks that John loves Mary» بالقول إن المحمول [think] له موضوعان هما: «Fred» والخبر «John loves Mary». ومن الضـروري أن نشير إلى أن الخبر كله (John loves Mary)؛ Mary و John [love] هـو أحد مـوضـوعي [Think]. وعلينـا أن نستخـدم الـرمـز فنقـول: (Mary و John [love]) و Fred [think]. (إنني أستخدم الأقواس الهلالية لغـرض واضح هـو إظهار أنـه فيمـا يتعلق بكلمـة [think]، فـإن (Mary و John [love]) وحدة مفردة، أي موضوع واحـد.) وهكذا يمكن أن يصبـح الخبر ـ بمحمـوله وموضوعاته ـ موضوعاً لخبر آخر «أعلى» وبالـطبع هنـاك أكثر من هـذا. فنحن نريد أيضاً أن نكون قادرين على تعليل المقيدات النحويـة modifiers من مثل كلمة «brave» في عبارة «brave man». لكننا ـ لكي نفعل هـذا ـ نحتاج إلى فكـرة مـا عن « who is»، « who are»، «which is». . إلـخ. وعـلاوة على هـذا، فنحن نريـد أن نميـز بين «The brave man» و «brave man»، أو بين «the brave man» و «A brave man». إن المنـاطقة يفـرقـون بين «كـل all» و «بعض Some» بـالعلامتين ∀ (all) و ∃ («هنـا يوجـد واحد على الأقـل»). لكننـا ـ باعتبـارنا لغـويـين ـ نحتاج إلى مجمـوعـة مختلفـة من الفـروق. إننـا ـ بـالتـأكيـد ـ نحتـاج إلى أن نميّـز بين «the» و «a» في قـولنـا: «the dog» و «a dog». لكن قول «a dog» غامض مثلما نراه في جملة: «I'm looking for a dog». لأننـا نستـطيـع أن نـواصـل فنقـول: «and when I fing it» أو

«and when I find one». فنحن في الحالة الأولى نبحث عن كلب محدَّد على وجه الخصوص، وفي الثانية نبحث عن «أي» كلب. وكلتاهما ـ بالطبع ـ تختلفان عن «I'm looking for the dog». إذن فلا بدَّ أن نعدِّل تحليل المناطقة، ونطالب بثلاث علامات هي: (معرَّف Def)، (محدَّد spec)، و (منكَّر ind) لنشير إلى «the dog»، و «a dog» (كلب مخصوص) و «a dog» (أي كلب) في الأمثلة التي كنا نتأملها. ويمكن ترجمة هذه العلامات إلى «الكائن مثل the entity such that»، «كائن محدَّد مثل a particular such that»، «أي كائن مثل any entity such that». والآن نرمز إلى «الكلب the dog» بأنه (معرَّف أ) ([كلب] أ) أي «الكائن أ مثل الكائن أ هو كلب». وبالمثل سيصبح رمز «كلب a dog» إما (محدداً) ([كلب] أ) وإما (منكَّر أ) ([كلب] أ)، وهذا يعتمد على ما إذا كنا نعني كلباً محدَّداً، أوْ لا.

والآن دعنا نتأمَّل «the brave man». إنَّ صيغة هذا سوف تكون: (معرَّف أ) ([رجل] أ. [شجاع] أ). أي «الكائن أ مثل الكائن أ هو رجل و أ هو شجاع». لاحظ ـ مرة ثانية ـ استخدام الأقواس الهلالية، فإن «أ هو رجل، أ هو شجاع» هو جزء من كفاءة «مثل الكائن such that». (أو بالاصطلاح الفني هو داخل مجال (معرَّف أ)). ونستطيع الآن أن نمضي قدماً إلى موادّ أكثر تعقيداً. فعلى سبيل المثال، صيغة الجملة «فرَّ the brave man ran away» سوف تكون [فر] (معرَّف أ) ([رجل] أ)، أي «الكائن أ مثل الكائن أ هو رجل، أو هو شجاع فرّ». أما جملة «the young boy loves the beautiful girl» فنزعم أن صيغتها ستكون على النحو التالي: [يحب] (معرَّف أ) ([ولد] أ. [شاب] أ)، (معرَّف ب) ([فتاة] ب. [جميلة] ب). ومع هذا يجب التأكيد على أن هذا وصف مبسّط؛ فهناك مشكلات كثيرة تبرز لا يمكن أن نتأملها هنا. فإحدى هذه المشكلات تقابلنا عند جمع الجملة:

«the young boys love the beautiful girls»؛ فالصيغة ـ مثلما رأيناها ـ سوف تعني أن كل شاب يحب كل فتاة (فالمحمول يربط كل أ بكل

ب)، ومع ذلك فليس هذا هو التفسير الطبيعي للجملة الإنجليزية التي تقول ببساطة إنه كانت هناك علاقة حب بين المجموعتين، لكنها من نواحٍ أخرى غامضة تماماً.

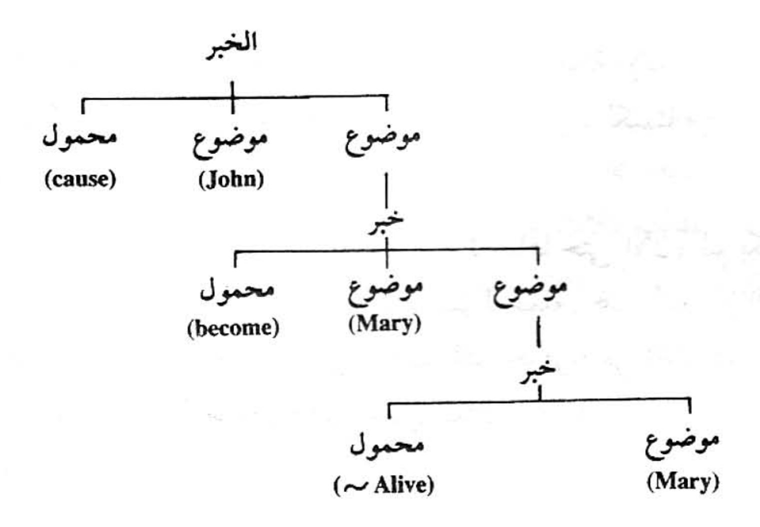
إنَّ التفسير الدلالي في الأمثلة التي تأملناها حتى الآن، لم يكن مختلفاً عن ذلك التفسير الذي قدمه علم النحو للجملة. غير أنه من الممكن أن نحلّل الأخبار Propositions إلى عناصر أكثر جوهرية من تلك التي تشير إليها الكلمات الفعلية للجملة. وعلى سبيل المثال، إننا قد نفكر في معالجة جملة مثل:

« Bill gave Harry a book » بالنظر إلى المحمول ذي الأماكن الثلاثية: [give] - [Give] أ، ب، جـ. لكننا نستطيع - بدلاً - أن نفسّر الجملة على النحو التالي:

« Bill caused Harry to have a book» ويصبح الوصف عندئذٍ [cause] أ، ([Have] ب، جـ) حيث تكون موضوعات كلمة [cause] هي أ («Bill») والخبر [have] ب، جـ («Harry have a book»). وبالمثل قد نعالج كلمة «Bill» على أنها «cause to be dead» أو «cause to be not alive». والأخيرة هي أكثر استحساناً، غير أنها تتضمن استعمال علامة منطقية أخرى هي «not» ترمز إلى ~. وصيغة الجملة «John cilled Mary» سوف تكون إذن [cause] أ، ([Become] ب، ([~alive] ب). أي «John caused Mary become Mary not alive».

لاحظ أن لكل من [caused] و [become] خبر هو موضوع ثانٍ لهما.

وغالباً ما يسجل هذا النوع من التحليل في «الرسوم التخطيطية الشجرية» التي تستخدم في بناء الجملة. فمثلاً بالنسبة لمثالنا الأخير، انظر إلى الرسم التخطيطي التالي:



ومع ذلك فمن الخطأ أن نخلط بين مثل هذا التمثيل الدلالي وتركيب الجملة. فجملة «John killed Mary» - على وجه الخصوص - لا تطابق جملة «John caused Mary to become dead»، لأن من الممكن أن تقول فقط: «On thursday John caused Mary to become dead on Saturday». لكن ليس من الممكن أن تقول: «On Thursday John killed Mary on Saturday». ويمكن الفرق - بالطبع - في الترتيب الزمني للمحمولات، ولو كان في الجملة الأصلية فعل واحد فقط لما وجدنا أكثر من دلالة زمنية واحدة. إننا لم نناقش الزمن والوقت، ولن نستطيع أن نفعل ذلك الآن، لكنهما (بالإضافة إلى دلالة المكان، والأسلوب.. إلخ) لا بدَّ - في آخر الأمر - أن يفسّرا. إن حساب المحمول، باعتباره وسيلة لإظهار معنى الجملة (لو استطعنا أن نقصر المعنى على المعنى الخبري أو الإدراكي)، يبدو أكثر إقناعاً. فهو يسمح لنا بأن ننتقل من الكلمة إلى الجملة؛ فإن صيغة كل كلمة سوف تشكل عادة - جزءاً من صيغة الجملة كلها - رغم أنه قد يكون لدينا أكثر من محمول واحد أو موضوع واحد مثلما رأينا في كلمتي «give» و «kill». غير أنه من الواضح أن هذا سيكون أكثر تعقيداً مما ناقشناه حتى الآن.

الفصل الرابع

التحليلي والتركيبي

Analytic and Synthetic

ذهبت المناقشات ـ في كثير من هذا الباب، **وفي الباب الرابع، إلى أننا** نستطيع أن نعزل العلاقات المنطقية التي تنعقد بين الكلمات، **وأن هذه يمكن** تناولها ـ بل يجب ـ داخل نظرية دلالية. وهذا يفترض أننا نستطيع أن نميّز بين نـوعين من الصحـة truth؛ أحـدهمـا «ضـروري Necessary» يعتمـد على العـلاقات المنـطقية، والآخـر «عارض Contingent» يعتمـد على حقائق عن الحياة. ويتضح الفرق في الجملتين:

«All bachelors الأعزاب are unmarried».

«All bachelors are miserable تعساء».

فصحـة أولاهمـا صحّـة منـطقيّـة؛ فهي تعتمـد على تعـريف كلمـة «bachelor» وعـلاقتها بكلمـة «unmarried». وهذه هي الصحـة التحليليـة، فـالجملة صحيحة تحليليـاً. أما صحـة الجملة الثانيـة (لو، أنهـا صحيحة في الواقع!) فتعتمد كلية على واقع ملحوظ حـول الأعزاب bachelors، ولا تنتـج عن تعـريف الكلمات المستخـدمة. وهـذه هي الصحـة التـركيبيـة، فـالجملة صحيحة تركيبياً.

وواضح تماماً أن الارتباطات الحسية sense relations التي ناقشناها في الباب الرابع مرتبطة بالصحة التحليلية ـ حيث تتضمنها علاقـة التضام (التـام) بين «مذكر» و «مؤنث» وعلاقات الاشتمـال كلها ـ فـإن قول: «قـرمزي this is

«scarlet» يستلزم منطقياً قول: «this is red». ويبدو أن العلاقات التي قد يتناولها التحليل بالنظر إلى المكونات كلها تتضمنها أيضاً. وفي الواقع الفعلي إنَّ كاتز وفودور لم يعيّنا (Unmarried) محدّداً Marker لكلمة «bachelor»، لكنها يجب أن تكون محدّداً لأن «unmarried» هي جزء من تعريف كلمة «bachelor» (بمعنى واحد)، ونستطيع ـ بسهولة ـ أن نبرّر وجود مثل هذا المحدد مع جملة: «the bachelor was unhappy when his wife dead». وهذا لا يمكن أن يشير إلى «bachelor» بالمعنى المطلوب (إنه لا بدَّ أن يشير إلى «حامل البكالوريا»، B.Sc. . . إلخ. ونستطيع بالتالي أن نعيّن المحدد (Unmarried) لكلمة «bachelor» حتى نرفع غموضها.

ومما يؤسف له أن اللغة ليست دقيقة كما قد يوحي هذا، وليس واضحاً دائماً ما إذا كانت الجملة صحيحة تحليلياً أو تركيبياً. ويمكن توضيح هذا حين لا تكون الفصيلة المعنية محددة على نحوٍ دقيق. تأمل مثلاً الجملتين:

«All carnivores أكلة اللحوم eat meat»

«All Mammals الثدييات produce live young».

فقد يظن أن هاتين الجملتين صحيحتان تحليلياً؛ أنَّ جزءاً من تعريف carnivore أنه يأكل اللحم، وأن جزءاً من تعريف «mammals» أنها تنتج صغاراً أحياء. من ناحية ثانية، فإن حيوان البَنْدَة Panda العملاق، الذي يضعه علماء الحيوان ضمن أكلة اللحوم يقتصر طعامه تقريباً على براعم نبات الخيزران، في حين أن حيوان البلاتيبوس platypus، الذي يصنفونه ضمن الثدييات، يبيض. في ضوء هذا فإن الجمل المذكورة آنفاً ليست صحيحة تحليلياً كما أنها ليست صحيحة تركيبياً. إننا بالطبع نستطيع أن نُعيد تعريف كل من «carnivore» و «mammal» لنستبعد حيوان البندة وحيوان البلاتيبوس، ونبقى على الصحة التحليلية. لكن سواء أكنا مستغرقين في الصحة التحلبلية أو التركيبية فإن الحكم يعتمد على تعريف كل من «carnivore» و «mammal». إنَّ العالم يُخوّل لتعديل تعريفاته حتى يضمن

أنها تعريفات جامعة مانعة. فلو التقى مصادفة بنبات جديد، أو بمخلوق يبدو أنه سيُبطل تعريفاته، يستطيع أن يغيرها. وعلى سبيل المثال، فإن خصيصة «أكل اللحوم» يمكن أن يتضمنها التعريف الأصلي لحيوان «carnivore»، غير أنها تسقط متى وجد حيوان البندة العملاق، لأن لهذا المخلوق خصائص أخرى، تشترك مع خصائص حيوان «carnivore»، لكنه لا يأكل اللحم. إذن يستطيع العالم - بإسقاط الخصيصة الواضحة - أن يحتفظ ببقية نظامه التصنيفي.

وبناء على هذا يستطيع العالم أن يقرر تحديد تعريفاته بالطريقة التي يعرف بها ما إذا كانت الجملة صحيحة تحليلياً أو تركيبياً. لكن المتكلمين العاديين للغة لا يستطيعون أن يفعلوا هذا، لأن تعريف الكلمة ليس في قدرة الشخص. وبالتالي فقد تواجهنا مشكلات من نوع: «متى لا يكون الكرسيّ كرسياً؟» لأنه ليس مؤكداً عندي ما إذا كانت جملة «كرسي المرحاض هذا له مسند مكسور this stoal has a broken back» هي خارجة عن القياس (هل جزء من تعريف كرسي المرحاض أن ليس له مسند؟)، أو ما إذا كانت جملة «كل الفطائر في أعلاها معجنات All pies have pastry on top» هي حقيقية تحليلياً (هل جزء من تعريف الفطيرة أن لها علوّاً ؟).

وعندما ننتقل إلى مجموعة أشياء مثل «كرسي» chair، كرسي ذي ذراعين arm-chair، مقعد طويل settee، مضجع كالسرير couch، أريكة divan، سرير في عيادة chaise-longue... إلخ، سوف نجد أنفسنا أمام مشكلات عدة من هذا النوع. فليس مؤكداً عندي ما إذا كان قول «كرسي بذراعين بدون ذراعين arm chair without arms» يشكل تناقضاً في الحدود لأن «the lady's chair» في جناح a suite يستخدم فيكون أضخم من الباقي (باستثناء «the gentleman's chair»)، لكن ليس له أذرع. والمشكلات مع الأفعال أكثر صعوبة. فهل يمكن لإنسان أن يهرول trot نحو خمسة عشر ميلاً في الساعة أو يمشي بخطى واسعة take strides ذات ثماني عشرة بوصة؟ إنّ

الإجـابة ليست مؤكـدة على الإطلاق، وعـلاوة على ذلك فـإن تقـديـر خـروج الجملة عن القياس أو عدم خروجها سوف يعتمد على مثل هذه الإجابات .

أما التطبيق فليس فيه صعوبـة . فمشكلة التحليلي / التركيبي لا تمنعنا من الاتصـال أو من تصنيف المعجمـات . لكن حقيقـة وجـود مثـل هـذه المشكلات سوف تثنينا عن البحث عن إجابـات من النوع المنـطقي الصرف . حقـاً من الواضـح أو يجب أن يكـون واضحـاً أن دراسـة علم الـدلالـة ليست مقدمة لكونها «خاضعة» للمنـطق ، فالعـلاقات المنـطقية ليست هي العـلاقات التي تشكل أساس اللغـة الإنسانيـة على نحوٍ غـامض . بل هي وسيلة منـاسبة لتقرير بعض الملامح الـدلالية للغـة بطريقـةٍ وصفية . لكن وقتهـا ليست دائماً مزية كما يفترض غالباً ، لأنها تخفي تحت قناعها تعقيدات وصعوبات .

الباب السابع
علم الدلالة والنحو

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ النحو والمعجم

٢ ـ النحو الصوري.

٣ ـ الجنس والعدد.

٤ ـ الذات واستخدام الكلمات الأسيّة.

٥ ـ التعدي والسببية.

الباب السابع
علم الدلالة والنحو

تجاهل حديثنا في الأبواب السابقة معنى العناصر النحوية، غير أن بعض كتب الدلالة تخصِّص مساحة كبيرة لبحث الخصائص النحوية للّغة. ولا مكان في كتاب مثل هذا لتحليل دلالي مفصَّل للفصائل النحوية الكائنة في اللغة الإنجليزية أو في لغات أخرى. (مثلما لم يكن هناك مكان لمناقشة مفصَّلة لمعنى الموادّ المعجمية كلها!) غير أن هناك نقاطاً ثلاثاً تبدو جديرة بالمناقشة. النقطة الأولى تتعلق بوضع النحو بالنظر إلى المعجم وعلم الدلالة. وسوف يستغرق هذا ـ مع ضرب الأمثلة ـ الفصول الثلاثة الأولى. ومن ثم سوف ننتقل إلى بعض الفصائل النحوية التي تظهر مرتبطة بصورة مباشرة بسياق الحال (الفصل الرابع من الباب السابع)، وفي النهاية سنستعرض بعض الأفكار التي يظن البعض أنها وثيقة الصلة بالتركيب النحوي المرتبط بالتركيب الدلالي للجملة (الفصل الخامس من الباب السابع).

الفصل الأول

النحو والمعجم

Grammar and Lexicon

أشرنا ـ في الفصل الخامس من الباب الثاني ـ إلى الفرق الذي وضعه هنري سويت فيما يتعلق بالكلمات التامة والكلمات الصورية. فالكلمات التامة أساساً هي تلك التي يمكن التعامل معها ـ على نحوٍ مرضٍ ـ في المعجم، في حين أن الكلمات الصورية (رغم أنها تُسجل دائماً في المعجمات) تناقش في نحو اللغة. فالفرق بالنسبة للغويين المحدثين هو بين المعجم والنحو. غير أن علماء آخرين وضعوا فروقاً مماثلة. فقد ميَّز اللغوي الأمريكي فرايز C.C.Fries، من أجزاء الكلام أربعة فقط، ومن «الكلمات الوظيفية Function words خمس عشرة مجموعة. أما أجزاء الكلام فكانت ـ في الواقع ـ الاسم، والفعل، والصفة، والظرف، رغم أن فرايز رفض ـ عن عمد ـ تسميتها بهذه الأسماء التقليدية؛ وأما الكلمات الوظيفية فمن أمثلتها: the, may, not, very, and, at, do, there, why, although, oh, yes!, listen, please, let's.

ومع ذلك فالنحو ليس قاصراً على دراسة الكلمات الصورية أو الوظيفية، بل إنه معنيّ ـ إلى حدٍّ بعيد ـ بفصائل مثل: الزمن، والجنس، والعدد، وبالوظائف التركيبية مثل الفاعل والمفعول. وقد يشار إلى بعض هذه الفصائل في اللغة بالكلمات الصورية، مثلما قد يشار إليها بأصغر الوحدات الصرفية ذات المعنى Morphemes على حد سواء (على فرض أننا نقبل

الادعاءات الموجودة في الفصل الخامس من الباب الثاني)، أو حتى بترتيب الكلمات. وفي حين أن في تحديد الفصائل النحوية المعنيّة في أي لغة مشكلة (انظر الفصل التالي)؛ فليس لعلم الدلالة صلة بما إذا كانت الفصيلة النحوية يشار إليها بكلمة صورية، أو مورفيم أو بترتيب الكلمات. وعلى سبيل المثال، تشير الإنجليزية إلى الزمن الماضي بمورفيم الزمن الماضي (عادة باستخدام اللاحقة «ed» ـ). لكن ليس هناك مورفيم مماثل للدلالة على المستقبل، الذي يشار إليه بالفعلين «shall» و«will» أو باستخدام «be going to» (وقد يشار إليه أيضاً بصيغ فعلية أخرى مع الظروف الملائمة مثلما في جملة «I'm flying to cairo tomorrow» وجملة: «I fly to cairo tomorrow»). وقد تستخدم لغات أخرى تغيير درجة الصوت، في حين تستخدم الإنجليزية ومعظم اللغات المألوفة الكلمات الصورية. فمثلاً تترجم أدوات الربط after، when، while، if في لغة بيلين Bilin (لغة الحبشة الكوشية)، بوضع لواحق للفعل. ولنمثل بهدف أقرب: إنَّ للّغة الفنلندية نظاماً معقداً جداً للتعليم عن طريق القضايا البارزة case system، لا يتضمن حسبُ دلالة الرفع nominative، والنصب accusative، ودلالة الـ ablative. إلخ، المألوفة في اللغة اللاتينية، إنما يتضمن أيضاً دلالة الفخر eletive، والدلالة الاستنتاجية illative، والدلالة الـ adessive، والـ essive، ودلالات أخرى. هذه الأنماط الأخيرة سوف تترجم الكلمات الإنجليزية «out of»، «into»، «on»، «as».

إنَّ مشكلة الفرق بين النحو والمعجم غالباً ما تطرح في علم اللغة الحديث بالنظر إلى الفرق بين الجمل غير المقبولة أو المنحرفة deviant لأسباب نحوية، والجمل المستبعدة من الساحات المعجمية. وليس في التعرف على الجملة المنحرفة نحوياً صعوبة. ومثال ذلك الجملة: «the boys is in the garden» فهي تخرق قاعدة نحوية فقط، لكننا نستطيع ـ بسهولة ـ أن نبتكر جملاً لا تطابق أي قاعدة على الإطلاق مثل: «I when a Been

«tomato». وفي المقابل سوف نخرج من البحث على ساحات مختلفة الجملتين: «قابل للكسر the water is fragile»، «سارت بعيداً the flower walked away». فالقضية بالنسبة لهما قضية إمكانات التضام أو القيود الانتقائية (انظر الفصل الثاني من الباب الخامس، والفصل الرابع من الباب الخامس)، التي تحدّد الوقوع المشترك للمواد المعجمية. فهنا لا مجال للبحث في الوقوع المشترك لكلمة «water» مع كلمة «fragile» وكلمة «flower» مع كلمة «walk».

ومع ذلك فهناك وجهات نظر أخرى حول سؤال ما إذا كان هذان النوعان من التقييد ـ أحدهما نحوي، والآخر معجمي ـ من حيث المبدأ مختلفين. ومما يعزز هذا الاختلاف أن الجملة يمكن أن تكون صحيحة نحوياً، وفي الوقت نفسه منحرفة تماماً في حدودها المعجمية. فمثلاً ابتكر تشومسكي الجملة: «الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة Colouriess green ideas sleep furiously» التي تبدو نحوياً لا خطأ فيها، ومع ذلك هي غير مقبولة معجمياً. وبالمثل لو أمكن لجملة أن تطابق النحو، لكن تنحرف معجمياً، فسوف يظهر أن النحو والمعجم متميّزان. ومنذ وقت مبكر، وبالمصادفة، أثار كارناب Carnape القضية نفسها بابتكار جملة لا تحتوي على أي كلمة إنجليزية على الإطلاق، مع أنها تبدو صحيحة نحوياً بالنظر إلى الإنجليزية، هذه الجملة هي: «pirots carulize elatically».

ورغم هذا حاول تشومسكي أن يتناول القيود الانتقائية على أنها جزء من النحو، وعندئذ سوف تصبح الجملة التي ذكرت في الفصل الرابع من الباب الخامس وهي: «Colourless green ideas sleep furiously» غير نحوية. وقد رأينا هناك بعض الصعوبات التي يثيرها هذا. غير أن السؤال المهم ليس عن إمكان تناول مثل هذه القيود على أنها جزء من النحو، إنما هو بالأحرى عن إمكان وجود تبرير لفعل هذا. فمن المؤكد أننا لا نرغب في القول بأن جملة «John drank the meat» غير نحوية بالطريقة التي تكون فيها

جملة «the boys is in the garden» غير نحوية. فالفرق يبدو واضحاً لنا باعتبارنا متكلمين فطريين للّغة، ولو أننا ووجهنا بجمل منحرفة من هذين النوعين، فإن ردود أفعالنا ستكون مختلفة. فلو خرقت قاعدة نحوية، فإننا نستطيع أن نصحّح الجملة فنقول: «The boys are in the garden»، في حين أن الجملة لو لم تكن مطابقة للقواعد النحوية فسوف نخرجها من البحث باعتبار أنها ثرثرة غير مفهومة. ومع هذا حين يقع الانحراف في قيود النظام (الانتقائية)، أي يكون معجمياً، نحاول عادةً أن «نفهم» الجملة عن طريق البحث عن السياق الذي قد تستخدم فيه. فعلى سبيل المثال، جملة: «John drinks fish» قد تبدو منحرفة، إلى أن نفكّر في حساء السمك، وليس صعباً على الإطلاق أن نجد تفسيراً شعرياً (أو حتى علمياً) لجملة «قابل للكسر The water is fragile». ويمكن حتى لجملة تشومسكي «الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة» أن تعطى (وأعطيت بالفعل) تفسيراً، ولو أنه مختلف.

ولقد زعم (هاس W. Haas)، أن القيود المعجمية ليست مسألة قواعد، إنما مسألة نزعات؛ ليست مسألة نعم / لا، إنما مسألة أكثر / أقل، عندما يحكم عليها بالنظر إلى الانحراف. ومما يؤسف له أن هذا يقودنا إلى مشكلة «متى تكون القاعدة قاعدة؟»، فليس بين الانحراف النحوي والانحراف المعجمي حد فاصل واضح. فهناك جمل تكون غير نحوية فتخرج من مجال البحث أو تُصحّح، في حين أن جملاً أخرى تكون غريبة فقط من الناحية المعجمية فيمكن بنوع من التخيل ربطها بسياق contextualised غير أن هناك جملاً أخرى تتوسط بين الحالين، ولا يتأكد لنا ما إذا كان انحرافها معجمياً أو نحوياً.

تأمّل، على سبيل المثال، جملة «انتثر The dog scattered». فهذه ليست مجرد مسألة تضام كلمة «dog» مع كلمة «scatter»، لأن الفعل «scatter» يستخدم حسب مع الأسماء في صيغة الجمع مثل: (The dogs scattered)، أو مع أسماء الجمع collective nouns مثل: (scattered

القطيع The herd). وبالتالي سوف يبدو أن قاعدة نحوية خرقت، وأننا لا بدَّ أن نـصـحّـحـهـا إلـى: «The dogs scattered» (أو إلـى: The dog was scattered»). لكن ألا نستطيع أن نتخيل كلباً لـه قوة سحرية، وطريقته في تجنب أعدائه أن يتجزّأ إلى قطع كثيرة ويتناثر فوق مساحة واسعة؟ حقاً إننا نستطيع، ولذلك نربط جملة «The dog scattered» بسياق، ولو أنه مختلف. وبناء على هذا فإن الانحراف سوف يبدو معجمياً أكثر منه نحوياً. لكن ليس مؤكداً عندي حقيقة ما إذا كنا نستطيع أن نقول: «the dog scattered» حتى في مثل هذا السياق، أو أن قول: «the dog scattered itself» يصير أكثر ١
ملاءمة. إن حيرتي هنا تظهر أننا في الحدّ الفاصل بين النحو والمعجم.

لقد قلت آنفاً إننا في حين نحاول أن نربط معنى منحرف ممكن بسياق فإن هذه محاولة «لفهمه». ولنقل إن السؤال عمّا إذا كان التضام ممكناً هو في الغالب مسألة معنى. ويتعلق الفصل التالي بالنحو والمعنى وتدور بعض الأمثلة التي استشهدنا بها في الجزء الأخير منه حول النقطة نفسها.

الفصل الثاني

النحو الصوري

Formal grammar

زعم معظم النحويين التقليديين أن الفصائل النحوية كانت أساساً دلالية، فالأسماء nouns كانت تُعرّف بأنها أسماء أشياء، والجنس كان معنياً بالنوع، في حين أن الجمع كان يفيد معنى «أكثر من واحد».

ومع هذا ذهب كثير من اللغويين إلى القول بأن النحو يجب أن يبقى متميّزاً عن علم الدلالة، وأن الفصائل النحوية يجب أن تُعرَّف كليةً بالنظر إلى «صورة اللغة Form »، أي الملامح الملحوظة بالفعل. (مما يؤسف له أن مصطلح «form» أيضاً يُستخدم في الكلمات الصورية التي تقابل الكلمات التامة. وهذا استخدام مختلف تماماً وأكثر تحديداً للكلمة، ويجب ألّا يختلط مع استخدامه هنا). إنّ من أقدم الصياغات ما نجده عند سابير، غير أننا نتذكر أن سابير اعتقد في النسبية اللغوية (الفصل الرابع من الباب الثالث)، وكان رأيه أساساً أنه ما دام لكل لغة تركيب صوري مختلف، فإنها تتمثل عالماً مختلفاً. وقد أخذ بلومفيلد خطّاً مماثلاً لسبب مختلف (الفصل الثالث من الباب الثالث) ـ هو أننا يجب أن نكون «علميّين»، وأن دراسة المعنى كانت مسألة واهية في النظرية اللغوية. ولهذا أكّد أن الملامح الصورية ـ لا المعنى ـ لا بدّ أن تكون نقطة البدء في المناقشة اللغوية.

إنّ هناك حُجّتين حسنتين لإبعاد المعنى عن النحو، أعني فيما يخص «النحو الصوري»: الحجة الأولى أن المعنى يكون غالباً غامضاً، وفضائل المعنى ليست مصوّرة على نحوٍ دقيق. وفوق هذا، فبسبب هذا الغموض،

فإن ما قد يبدو فضائل دلالية واضحة يمكن في الواقع تعريفه بالنظر إلى الملامح الصورية للغة حسب (إلى هذا المدى هورف كان مصيباً). وبناء على هذا لو كانت للفصائل النحوية تعريفات دلالية، لكانت التعريفات تدور في حلقة مفرغة. وأروع مثال على هذا ما نجده غالباً في كتب النحو عن تعريف الاسم noun بأنه «كلمة تستخدم لتسمية أي شيء». فالصعوبة تتمثل في أننا ليست لدينا طريقة نقرر بها ما تعنيه كلمة «أي شيء». وحتى تكون للتعريف قيمة فإنه يجب أن يحدّد على نحوٍ مستقل عن اللغة ما «الأشياء» التي قد تُسمّى. إننا نجد أن مثل هذه الأشياء في الإنجليزية تشمل: النار، والسرعة، والمكان، والذكاء، والمعاناة، بالإضافة إلى أشياء مثل المناضد، والكراسّ. وفوق ذلك، تشمل «الحمرة» و «السواد»، لكنها لا تشمل «أحمر» و «أسود». فأيّ سبب يحملنا على اعتقاد أن هذه كلها «أشياء»؟ وكيف نعرف على وجه الخصوص أن «الحمرة» و «السواد» اسمان «لشيئين»، في حين أن «أحمر» و «أسود» ليسا كذلك؟ وبالمثل، لماذا تشير كلمة «مطر» إلى «شيء»، في حين أن قول «إنها ممطرة» لا يشير؟ من المقرر أن الكلمات الدالة على نهر «river»، نبع «spring»، إلخ، في بعض اللغات هي أساساً أفعال؛ فترجمتها الحرفية هي «It's rivering»، لا «There's river» (انظر الفصل الرابع من الباب الثالث). إذن فكيف نتعرّف على «الأشياء»؟ من المؤلم أن الإجابة بسيطة ـ «فالأشياء» هي ما يرمز إليه بالأسماء. إذن فتعريف الاسم بالنظر إلى «تسمية أي شيء» يدور في حلقة مفرغة تماماً؛ ودورانه ينشأ من أننا ليس لدينا طريقة غير لغوية لنعرّف بها «الأشياء».

الحجة الثانية أننا، حتى عندما نستطيع أن نحدد الفصائل الدلالية والنحوية على نحوٍ مستقل، فإنهما غالباً لا يتوافقان. ومن أشهر الأمثلة (أو من أسوأها) ما نجده في مقارنة العدد النحوي ـ المفرد، والجمع ـ بالمقدار العددي numerical quantity؛ مثل كلمة «القمح wheat» و «نبات الشوفان oats». فهذان على التوالي مفرد وجمع لا يرى كثيراً باللاحقة «S -» كما في

كلمة «oats» مثلما يرى متفقاً مع الفعل كما في جملة: «The wheat is in the barn» وجملة «the oats are in the barn». وفوق ذلك فإن الكلمتين لا يمكن أن يتميّزا بالنظر إلى «واحد» و«أكثر من واحد» فمن المؤكد أن لا أحد سوف يزعم جاداً بأن «wheat» كتلة مفردة، في حين أن «oats» تتكوّن من مجموعة من الحبوب الفردية. وهناك أمثلة أخرى كثيرة. «فالشعر Hair» مفرد في الإنجليزية، لكنه في الفرنسية والإيطالية جمع: «cheveux»، «capelli»؛ ولا يفترض وجود أي فرق في الطريقة التي ننظر بها إلى الشعر. وبالمثل يتميز الجنس والنوع في الألمانية والفرنسية. فالكلمات الألمانية الدالة على «المرأة الشابة young woman» كلمات حيادية: «Mädchen» و«Fräulein»، في حين أن الكلمة المؤنثة «la sentinelle» في الفرنسية قد تشير إلى «مذكر صغير ضخم البنية». والزمن في الإنجليزية لا يرتبط مباشرة بالوقت لأن الزمن الماضي past tense يستخدم في المستقبل من الوقت كما في: «If he came tomorrow»...

(انظر الفصل الرابع من الباب الثالث).

واضح من مثل هذه الأمثلة أن الفصائل النحوية الأساسية للغة يجب أن تحدد على نحوٍ مستقل عن معناها. وينتج عن هذا أنه قد تكون هناك نظم مختلفة في لغات مختلفة، وأن وجودها حقيقة يعرفها دارسو اللغة كلهم. ورغم ذلك فمتى حدّدنا الفصائل الصورية، استطعنا أن نمضي قدماً لنناقش معناها (وهذا ما سوف نفعله في الفصول الثلاثة التالية). ومن ثم سوف نجد علاقة متبادلة بين الجنس والنوع، الزمن والوقت، العدد النحوي والتعداد enumeration، رغم أن العلاقة لن تكون مضبوطة. فمثلاً الأسماء التي تشير بالتحديد إلى الإناث في الفرنسية هي دائماً كلمات مؤنثة، حتى رغم أن الأسماء المؤنثة قد تشير إلى الذكور، وإحدى وظائف الزمن في الإنجليزية الإشارة إلى الوقت. حقاً إنَّ للنعوت: «جنس»، «زمن».. إلخ، فائدة بسبب وجود العلاقة المتبادلة حسب، ويتمثل الخطر في أننا سوف نظن أن مثل هذه

النعوت هي تعريفات دلالية.

ومع ذلك فمن الخطأ، أن نرسم خطاً فاصلاً، وكذا الحال في علم الدلالة. وعندما نـدخل في علم تفصيليّ للنحو، نجد العلاقة المتبادلة بين النحو وعلم الدلالة تصبح أضيق فأضيق، حتى نصل إلى مرحلة من الصعب فيها - إن لم يكن من المستحيل - أن نعلن ما إذا كانت الفصائل صورية أو دلالية. ولذا تأمّل جملة: «John slept coming every day». وهناك أفعال مثل «keep» تتبعها صيغة «ing»، مثل قولنا: «John kept coming every day»، وأفعال أخرى مثل «hope» لا تتبعها فلا تقول: «John hoped coming every day». فالخطأ مع كلمة «hope» خطأ نحوي ونستطيع أن نصحّح الجملة لتكون «John hoped to come every day». وبالمثل قد نرى خطأ نحوياً في جملة: «John slept coming every day» هو أن كلمة «sleep» لا تقع مع صيغة «ing». ومع ذلك قد يحتج بأن الخروج عن القياس ينتج من حقيقة أن كلمة «sleep» لا يمكن أن تشير إلى حالة «coming» مثلما تتقابل مع كلمة «keep» أو كلمة «begins» اللتين تشيران إلى الاستمرار والاستهلال initiation، وأن الجملة مستحيلة لأسباب دلالية؛ لكونها ببساطة شديدة لا «تفيد معنى». لكن لو قلنا هذه الحجة ماذا نقول عن جملة «John ran coming every day»؟ هل تفيد معنى؟ فإن لم تفعل كان التقييد دلالياً، وإن فعلت كان التقييد نحوياً. لكن من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - أن نقرر ما إذا كانت تفيد معنى أو لا تفيد.

وهناك مثال آخر لحالة التوسُّط هو جملة: «John is seeming happy». فإننا نستطيع أن نقول إن هذه غير نحوية على أساس أن الفعل «seem» لا يقع في صيغة التوالي (الاستمرار) «is seeming». لكن هل هذا في الواقع قاعدة نحوية؟ أو هل القضية هي أن جون - لأسباب دلالية - لا يستطيع أن يكون في حالة seeming الاستمرارية؟ ليست هناك إجابة واضحة؛ فالحد الفاصل بين النحو وعلم الدلالة ليس حداً واضحاً. وترتبط المشكلة التي

ناقشها على نحوٍ واضح بمشكلة النحو والمعجم التي ناقشناها في الفصل السابق؛ لأن القيود المعجمية يحددها أساساً (لكن انظر إلى الفصل الثاني من الباب الخامس) علم الدلالة.

ولذلك فإن استحالة رسم خط واضح بين النحو والمعجم هي نتيجة طبيعية لاستحالة رسم مثل هذا الخط بين النحو وعلم الدلالة.

ومن ثم نجد أن هناك نقطتين مميزتين أخريين للعلاقة بين النحو والمعنى: الأولى، رغم أننا نستطيع ـ بل يجب ـ أن نعيِّن فضائل صورية، فسوف نجد لها علاقة متبادلة، وليست متطابقة one - to - one، مع علم الدلالة. الثانية، أننا نجد أن هناك منطقة متوسّطة صعبة. وهناك نقطة ثالثة هي أن بعض الفصائل البارزة تبدو موجودة في اللغات كلها. فعلى قدر علمنا، ليست هناك لغة لا تميز ـ إلى حدٍّ ما ـ الأسماء والأفعال، حتى رغم أن البعض قد لا يكون لديه أصناف كلمات مختلفة (أجزاء الكلام). أعتقد أن النقط الثلاث يمكن لأن يشرحها مظهران من اللغة: الأول أن لها وظيفة تقوم بها، فلا بدَّ أن ترتبط بعالم التطبيق، ولذلك لو لم تفعل لكان هذا شاذاً حتى في نظامها النحوي، فهي تعكس إلى مدى معين الملامح الملحوظة لمثل: النوع، والمقدار، والوقت، وتهتم أكثر بالفرق بين الأحداث والأشياء. والثاني، أن الأجيال اللاحقة تعلمتها وصارت بالتالي ـ لدرجةٍ ما ـ مسألة عرف. وهذا يفسّر شذوذ كلمة «oats» وكلمة «wheat» وغرابة الأسماء المحايدة «المؤنثة» في الألمانية. لكنها خصيصة من خصائص اللغة ـ في المستويات كلها ـ أن يكون هناك شذوذ واستثناءات؛ ففي الأصوات ـ على سبيل المثال ـ شذوذ غريب في النظم الصوتية؛ فمثلاً بالنسبة لطريقة التلفظ المعترف بصحتها في الإنجليزية، فإن الصوت [u] (صوت اللين في كلمة put) لا يقع أبداً قبل الصوت [n] (عادة يكتب هجائياً ng)، وهجاء الحرف u قبل الحرفين ng دائماً يمثل (٨)، صوت اللين في «cut». ومثل هذا الشذوذ هو آثار للتطور التاريخي والمصادفة حسب.

الفصل الثالث

الجنس والعدد:

Gender and number

دعنا الآن ننظر بإيجاز إلى فصيلتين نحويتين مألوفتين، الجنس والعدد.

إننا لن نتوقع أن نجد علاقة متبادلة دقيقة بين الجنس والنوع. حقاً قد يكون لدينا أحياناً تناقض عجيب مثلما يحدث في المقابل الفرنسي «للفار الذكر» الذي هو «la souris mâle» (الفأر المذكر «المؤنث»)، لأن كلمة «souris» هي اسم مؤنث. وبالمثل ذكرنا الكلمات «Mädchen» و «Fräulein»، و «la sentinelle» في الفصل السابق. ومع ذلك فرغم أن بعض الحالات يكون الجنس فيها ذا اتجاه سلوكي خاص idiosyncratic، قد نرى في أوقات أخرى بعض الاطراد. فالكلمتان الألمانيتان محايدتان لأن كل كلمة تنتهي بالنهاية الدالة على التصغير: «chen» و «lein» تكون محايدة، في حين أن في الفرنسية أسماء مهنيّة مثل «sentinelle» هي كلها مؤنثة. إذن فالتفسير يكمن في الحقائق التاريخية، التي تفرض سلطانها على الاحتمال الدلالي الواضح بأن المخلوقات المذكرة سوف تشير إليها أسماء مذكرة والمخلوقات المؤنثة سوف تشير إليها أسماء مؤنثة .

وليست هناك مشكلة حقيقية في الإنجليزية، لأنها ليسَ فيها ـ على نحوٍ دقيق ـ جنس نحوي على الإطلاق. إنَّ فيها بالطبع الضمائر: هو، هي، it، لكن هذه أساساً محدّدات للنوع. فيستخدم الضميران «هو وهي» إن كان النوعِ على وجه التخصيص بيّناً أو معروفاً؛ وإلا استخدم الضمير «it». ومع

ذلك هناك شرط. وبين استخدام الضمائر للحيوانات وللإنسان اختلاف. فالضمير «it» يمكن أن يستخدم للحيوانات، أعني للإشارة إلى كلب، وكذلك قد تستخدم «he» أو «she» لو كان النوع معروفاً. ومع ذلك، فلا يمكن أن تستخدم «it» مع الإنسان حتى لو لم يكن النوع معروفاً، فبالنسبة للإنسان غير المعروف وغير المحدَّد تستخدم الصيغ «they»، «them»، «their» في العامية الإنجليزية (حتى بالنسبة للمفرد) مثلما تقول: «Has any-one lost their hat?» وتقول: «If anyone comes tell them to go away». وهذا يجعل بعض النحويين يتجهمون، لكن هذا يبدو بالنسبة لي مفيداً، ويعتبر في جملته وسيلة مقبولة لتجنب الإشارة إلى النوع. فبالنسبة للإشارة إلى إنسانٍ ما نوعه غير معروف - مثل الرضيع - فإن الضمير «it» يستخدم أحياناً لكن من المحتمل أن يكون الأكثر حكمة هو أن نسأل الأم أولاً «Is it a boy or a girl?». إنَّ لغات كثيرة لديها فصائل أسماء تؤدي وظيفة نحوية مثل فصائل الجنس في اللغات الهندو أوروبية والسامية. فمثلاً في اللغة السواحلية swahili، فصائل للأحياء animates، وفصائل للأشياء الصغيرة، وفصائل للأشياء الكبيرة، ويشار إلى كل صنف - صورياً - عن طريق بادئة prefix ملائمة وتتطلب اتفاق مع الصفات والأفعال. وهذه يشار إليها غالباً بفصائل الجنس. ولو كنا نفكر في المقام الأول في الوظيفة النحوية؛ أنَّ هذه فصائل من الأسماء تتطلب اتفاقاً مع الصفات والأفعال، لكان مصطلح «جنس» مناسباً، لأن هذا - أساساً - هو الوظيفة النحوية للجنس في اللغات الأكثر إلفاً. لكن قد يذهب البعض بالطبع إلى ضرورة إيجاد بعض المصطلحات الأخرى التي لا توحي بعلاقة بالنوع (رغم أن الحريص على صفاء اللفظة purist قد يذكرنا بأن الجنس لا يرتبط من الناحية الاستقاقية بالنوع، وإنما له معنى «Rind» حسب). ولا نجد - حتى مع فصائل أسماء الصنف التي لا ترتبط بالنوع - تطابقاً دقيقاً بين الأصناف الصورية ومعناها. فليست أسماء فصيلة «الأشياء الصغيرة» كلها في اللغة

السواحلية صغيرة، في حين يروي بلومفيلد أن في لغات «Algonquian» بشمالي أمريكا فرقاً نحوياً بين الأسماء الحيّة enimate وغير الحيّة، غير أن كلا «الغلاية kettle» و «شجرة توت العليق raspberry» تنتميان إلى فصيْلة الأسماء الحيّة، رغم أن الفراولة «strawberry» تنتمي إلى الأسماء غير الحيّة.

ولقد أشرنا بالمثل إلى الخروج عن القياس مع العدد. فسؤال التعداد enumeration ـ من الناحية الدلالية ـ لا يبدو هاماً. فكثير من اللغات لديها نظم عدد نحوية، في حين أن لغات أخرى في أجزاء متنوعة من العالم (مثل جنوبي شرقي آسيا، وغربي أفريقيا) ليس لديها مثل هذه النظم. ومع ذلك من الصعب أن نرى لماذا يجب أن يكون الفرق الأساس ـ من الناحية الدلالية ـ بين المفرد (واحد) والجمع (أكثر من واحد). إنّ لغات كثيرة تضع هذا الفرق في نحوها، وليست اللغات كلها. فبعض اللغات الكلاسيكية ـ مثل السنسكريتية، واليونانية، والعربية ـ لديها، بالإضافة إلى ذلك، مثنى dual ـ يشير إلى شيئين ـ ولغات أخرى، مثل: «Fijyan» و «Tigre» (الحبشة)، لديها فروق «لجمع القلة» و «جمع الكثرة» أيضاً. ولو نظرنا إلى مشكلة العدّ counting موضوعياً لما وجدنا على الإطلاق أية فصائل عددية «طبيعية» نتوقع رؤيتها في «نحو» اللغات كلها أو معظمها.

وربما يكون الأكثر أهمية هو حاجتنا إلى التمييز بين الفرد individual والمقدار mass. وهذا ما توضحه الإنجليزية على نحوٍ تام. رغم أنه غالباً ما يتجاهل في كتب النحو. وهذه الفصيلة يشار إليها «بقابلية العدّ countability»، مع فصائل الأسماء «القابلة للعدّ» و «غير القابلة للعدّ»، أو العدد «count» و «المقدار». ومن أمثلة أسماء العدد: «قطة» و «كتاب»، في حين أن «الزبد» و «البترول» من أسماء المقادير.

والفصيلتان ـ صورياً ـ يتميزان بسهولة؛ فأسماء العدد تظهر في المفرد

حسب مع أداة التنكير «a» - مثل «a cat» (لكن ليس a butter)، في حين أن أسماء المقادير تظهر حسب دون أداة أو مع مقياس التنكر «some» (ليس «some» بمعنى «some or other») - فنقول. . . Butter is، و some butter (لكن ليس. . . cat is ولا some cat). غير أن بعض الأسماء مثل: «cake» و «Fish» تنتمي إلى الفصيلتين كلتيهما.

إنَّ الفرق الدلالي بين هاتين الفصيلتين واضح تماماً. فأسماء العدد «تفرد individuate» - فهي تشير إلى عيّنات فردية - في حين أن أسماء المقادير تشير إلى الكمية التي لا يكون لها شكل فردي بهذه الطريقة. غير أن الفرق لا يتطابق على نحوٍ تام مع أي فرق دلالي في عالم التطبيق، ويجب ألَّا يكون سبباً للدهشة. فحقيقي أن السوائل يشار إليها دائماً بأسماء المقادير لأنها لا يمكن أن تفرد. فليس هناك شيء واضح يمكن وصفه بأنه «a water». لكن ليس هناك تفسير بحدود دلالية لكون «الزبد butter» اسم مقدار في حين أن jelly هو اسم عدد بالإضافة إلى كونه اسم مقدار؛ ليس هناك سبب دلالي لكوننا نستطيع أن نشير إلى مقدار مفرد من الـ «Jelly» فنقول: «a jelly»، ولا نستطيع أن نشير إلى مقدار من الزبد فنقول: «a butter». ومن ناحية أخرى، في حين أن «الكعكة cake» اسم عدد بالإضافة إلى كونها اسم مقدار - لسبب واضح هو أن الكعك المفرد يمكن أن يميز - فإن «الخبز bread» هو مقدار - حسب - فلا نستطيع أن نتحدث عن «a bread»، بل علينا أن نستخدم كلمة مختلفة هي « رغيفloaf ». إذن فالأجنبي لا يستطيع أن يخمن ما إذا كانت كلمات مثل «صابون soap»، «كعكة منقوعة بالخمر trifle»، «جبنة cheese» هي أسماء عدد في الإنجليزية. وعليه أن يتعلم الأسماء التي تفرد: «رغيف خبز loaf of bread» «قطعة صابون cake of soap»، «قالب زبد Pat of butter » .

إنَّ فرق العدد / المقدار فرق واضح تماماً، إنه يصنف الأسماء الإنجليزية، رغم أن بعضها مثل كلمة «سمك fish»، ينتمي إلى الفصيلتين

كلتيهما. ومع ذلك يمكن أن تؤدي أسماء المقادير وظيفة أسماء العدد. فيمكن استخدامها تعبيرات مثل: «a butter»، «a petrol» فتعني «نوعاً من الزبد» أو «نوعاً من البنزين»، ومثل: «a coffe»، «a beer» فتعني «فنجان قهوة» و «كأس بيرة». ومن الأفضل أن نعامل هذه الأسماء أساساً باعتبارها أسماء مقادير وأن نعامل هذه الوظائف باعتبارها نماذج من التمييز الفردي الذي يمكن أن يطبّق عليها لأغراض محددة - كي يشير إلى أصناف وإلى كميات معتادة من السوائل. وبالمثل، قد تؤدي أسماء العدد - التي تشير إلى مخلوقات - وظيفة أسماء المقادير فتشير إلى اللحم؛ فلا نجد لها استخدامات معتادة مثل: «دجاجة»، و «أرنب» و «سمكة» حسب، وإنما يمكن أن تشكل أيضاً وبلا قيد أسماء مقادير مثل: «فيل» و «تمساح» وحتى « كلب » (فالصينيون يأكلون الكلاب) فتشير إلى اللحم. (غير أننا بالطبع لدينا كلمات خاصة من مثل: «beaf»، «mutton» ، و«pork»، و venison تطلق على لحم الماشية، والأغنام، والخنازير، والغزلان).

إنَّ أسماء المقادير من الناحيَة الدلالية أقرب إلى صيغ الجموع plurals منها إلى الصيغ المفردة الخاصة بأسماء العدد. وهذا يفسر خروج كلمتي «نبات الشوفان oats» و «القمح wheat» عن القياس - فهناك فرق ضئيل، ما لم يكن محدداً بوضوح، بين عدد كبير من الحبوب ومقدارها. وفي بعض اللغات ليست السوائل أسماء مقادير بل صيغ جموع، مثل الكلمة الخاصة «بالماء» في لغة «Bilin».

إنَّ مصطلح «عدد count» ويثق بحقيقة أن معظم أسماء العدد يمكن أن تُعدّ فنقول: «كتاب واحد»، كتابان / ثلاثة كتب / أربعة كتب. لكن هناك تحفظين اثنين: الأول أن الإنجليزية لديها الكلمات: «مقص scissors»، « سروال trousers »، «مقص كبير shears»، «ملقط tongs». . ، إلخ، التي هي - صورياً - جمع، لكن لا يمكن عدها إلاّ باستخدام اسم آخر هو: «زوج من a pair of»؛ وهذا - صورياً - يشبه إفرادات individuators أسماء

المقادير: «قطعة صابون a cake of soap»، «قالب زبد a pat of butter».

الثاني أنه رغم أن الإنجليزية تستخدم صيغة الجمع مع الأعداد فوق الواحد، فليست اللغات كلها تفعل هذا. ففي لغة إقليم ويلز - على سبيل المثال - «أربعة كلاب» هي: «pedwar ci»، مع أنه «كلب» هو «ci» و «كلاب» هي «cun». وفي لغة «tigre» أسماء مقادير كثيرة لديها صيغة (تمييز فردي) عن طريق اللاحقة، فكلمة «nahab» تعني «النحل»، لكن كلمة «nahbät» تعني «النحلة». غير أن صيغة التمييز الفردي هي الصيغة المستخدمة مع الأعداد كلها - فليس فقط «نحلة واحدة» «hätte nahbät»، بل «ثلاث نحلات» «sätäs nahbät». . ، إلخ. إن ما يبدو هاماً هنا ليس هو الجمع، بل التمييز الفردي.

الفصل الرابع

الذات واستخدام الكلمات الأُسّيّة

Person and deixis

ترتبط فصيلة الذات (الذات الأولى صيغة المتكلم: أنا، نحن؛ والذات الثانية صيغة المخاطب: أنت؛ والذات الثالثة صيغة الغائب: هو، هي، they, it) إلى حد بعيد بالعدد وبالجنس في الصيغ الفعلية للغات. (في اللغات الهندوأوربية الغربية يبرز العدد والذات في الفعل، أما في اللغات السامية واللغات الهندو أوربية الشرقية فيرتبط الجنس أيضاً به). لكن الذات دائماً لها وظيفة دلالية واضحة (تختلف عن الجنس، وإلى مدى أقل عن العدد)؛ هذه الوظيفة تختلف في أنها كلمات أسية Deictic (انظر الفصل الثالث من الباب الثاني)، لا تشير إلى أي ملامح دلالية عامة مثل المقدار أو النوع، بل تشير إلى مادة مماثلة في السياق. فمثلاً ترتبط الذات الأولى بالمتكلم والذات الثانية بالسامع. وينشأ عن هذا أن الضميرين «أنا» و «أنت» فيهما باستمرار إشارة تغيير تعتمد على من يحضر المحادثة، ولا يفسران بالنظر إلى أي صفات دلالية مستقراة.

إن الوظيفة الدقيقة لأي مجموعة من محددات الذات ـ وهي عادة الضمائر، وأيضاً نهايات الأفعال في بعض اللغات ـ قد تختلف من لغة إلى أخرى، لكن المحددات كلها يمكن أن تفسر أساساً بالنظر إلى حدود المتكلم، والسامع، وأولئك الذين لا يشتركون في المحادثة أو الرسالة المكتوبة، وهذا هو أساس صيغ المتكلم، والمخاطب، والغائب.

وهنـاك بعض التعقيدات: فـأولاً، اللغات لـديهـا محـددات لجمـع الـذات، ويمكن أن يفتـرض أن هـذه تشير إلى متكلمين عـدة، وسـامعين عـدة وغيـر مشتـركين عدة. غيـر أن هذا ليس دائمـاً هكـذا. فمن النـادر وجـود متكلمين عدة، إلا في مجموعـة المنشدين «الكـورس» مثلما يكـون هناك ـ على سبيـل المثـال ـ حشد من النـاس في مباراة كـرة قدم يصيحـون «نـريـد أخـرى»؛ أو مجموعة من الناس نافذي الصبر يقولون «لماذا ننتظر؟» إننـا لا نشير عـادة إلى جمـع المتكلمين («أنا وأنـا و. . .») بـل إلى متكلم وسـامـع («أنـا وأنت»)، متكلم وغير مشترك («أنـا وهو/هي») أو متكلم، وسـامع، وغيـر مشترك («أنـا وأنت وهو/هي»). بالإضافة إلى مجموعات أخـرى تستغرق أكثـر من متكلم، أو سامع أو غير مشترك. فالضمير «You» قد يشير إلى سامعين عدة، لكنـه قد يستخدم أيضاً في الإشارة إلى سامع أو (سامعين) بالإضافـة إلى غير مشتـرك (أو غيـر مشتركين) («أنت» وهـو/هي»، إلخ) . أمـا الضميـر «they» فسـوف يشير وحده دائماً إلى عدد من غير المشتركين حسب. وفي الواقع هناك قاعدة بسيطة مع الجمع. فالضمير يحدده الذات «الأعلى» منزلة المتضمنة فلو كـان الضمير «أنا» متضـمناً لاستخدمنا الضمير «نحن»؛ ولو لم يكن متضـمناً وكـان الضمير «أنت» هو المتضمن، لاستخدمنا الضمير «أنتم you»، وإلا استخدمنا الضميـر «they» لكن بعض اللغات تضـع فروقـاً أخرى. فمن الشـائع وجـود صيـغ متميـزة للجمــع المتضمن inclusive «أنـا وأنت» وللجمــع المـانــع exclusive «أنا وهو/هي».

وثانياً، بعض اللغات فيها صيغة مخاطبة أكثر تهذيباً وأقـل تهذيبـاً على حد سواء. ولو أخذنا الصيغة الأقل تهذيباً أساساً لاستطعنـا أن نقول أن جمـع صيغة المخاطب يستخـدم في الصيغة الأكثـر تهذيبـاً، بدلاً من مفـردها مثلمـا نستخـدم الكلمـة الفـرنسيـة «vous» بـــدلاً من «tu»، أو أن صيغـة الغـائب تستخدم بدلاً من صيغة المخاطب مثلما نستخدم الكلمـة الإيطاليـة «lei» بدلاً من «tu». ولو كنا نعامل هذه الصيغ بـاعتبارهـا أساليب مختلفـة للّغة لـوجب

علينا أن نقول إن كلمة «vous» في الأسلوب المهذب مفرد بالإضافة إلى كونها جمعاً وأن كلمة «lei» هي صيغة مخاطب بالإضافة إلى كونها صيغة غائب. وفي بعض الحالات يصبح النظام «المهذب» هو النظام الوحيد؛ فمثلاً الإنجليزية لديها الضمير «you» حسب، للمفرد وللجمع. لكن الإنجليزية الحديثة لم تعد القضية فيها بالطبع أن «you» هي تهذيب «thou»؛ فالإنجليزية لا تضع فرقاً على الإطلاق بين مفرد صيغة المخاطب وجمع صيغة المخاطب (مع أن بعض اللهجات في أمريكا، أصبحت فيها «you all» صيغة للجمع، ولهجات أخرى، بالطبع، لا تزال فيها «thou» باقية). إذن فالذات فصيلة للكلمات الأسية deitic، تشير إلى مواد مماثلة في السياق. وهناك صيغ نحوية أخرى لها وظيفة مشابهة. فمثلاً أداة التعريف «the» تستخدم في الإشارة إلى مادة مفردة مماثلة في السياق، حيث إنه ظاهر للمتكلم والسامع على نحو دقيق ماذا تكون هذه المادة. فمثلاً، رغم أن كلمة «كتاب book» قد تشير إلى أي كتاب، فإن «the book» تشير إلى مخصوص يستطيع أن يعينه كل من المتكلم والسامع؛ إمّا الكتاب الذي يتحدث عنه أو الكتاب الذي يمكن تمييزه في السياق غير اللغوي، أعني الذي يريانه على المنضدة أمامهما. إن مطابقة المادة تكون غالباً بالنظر إلى الأكثر إلفاً ليس غير. فكلمة «الحكومة the Government» سوف تشير عادة إلى حكومتنا، وكلمة «القمر the moon» سوف تشير إلى القمر الذي نراه في الليل. وبالمثل فإن كلمة «المطبخ the kitchen» أو «الحديقة the garden» سوف تشيران إلى مطبخنا أو حديقتنا، ولو كنا في منزل أناس آخرين فسوف تشيران إلى مطبخهم وحديقتهم. لكن هذا يمكن أن يتغير - فقد يكون حديثنا عن حكومة أخرى، أو قمر كوكب آخر أو مطبخ منزل آخر وحديقته. فيما يهمّ هو أن المادة يمكن أن تعين في السياق دون إساءة فهم.

والأداة لا تظهر عادة بسبب وظيفتها مع الأسماء (أسماء الأعلام Proper nouns). فأسماء الأعلام مثل «Fred»، و«Professor Broun». . إلخ»،

تستخدم في تعيين شخص محدد ليس غيره، وبالتالي فإن الأداة سوف تصبح فائضاً زائداً عن الحاجة (رغم أنها تستخدم، بإسهاب، في بعض اللغات، مثل الإيطالية). ومع ذلك، حتى أسماء الأعلام تستخدم أحياناً في معنى غير مفرد؛ فمثلاً نستطيع أن نتحدث عن «The three freds»، لتعني ثلاثة أشخاص لهم اسم فريد. ونستطيع حتى أن نشير إلى واحد منهم بإحدى هيئاتهم، كأن يقول: إنه ليس فريد الذي عرفته «He's not the Fred I knew». إننا في مثل هذه الحالات نعين «فريد» خاصاً أو أنواعاً من «Fred» ولذلك تستخدم الأداة. ومع هذا فهناك بعض الخصوصيات حول استخدام الأداة. فمثلاً الأنهار تعين بالأداة فنقول: «the Severn»، «the Thames»، . . إلخ، لكن المدن لا تعين بها فنقول: «London»، «Bristol» . . . إلخ (ما عدا «The Hague»). وهذه نقطة نحوية صورية محضة وليس لها مغزى دلالي.

وقد تكون هذه النقطة مهمة لو أمكن تعيين مادة دون حاجة إلى الأداة، فحينئذٍ تسقط الأداة. فمثلاً لدينا الآن: «البرلمان «Parliament»، لا «The Parliament»، وربما يكون أكثر إثارة للدهشة أن لدينا «سعر الخصم Bank rate»، لا «The Bank rate» فما دام لكل واحدة اسم ليس غير، فالعبارة الاسمية تصبح، في الواقع، اسماً؛ اسم علم.

وهناك فصيلة مجدولة deictic أخرى هي أسماء الإشارة demonstratives: «هؤلاء «these» و «أولئك «those». وليس أقل أهمية منها ظروف المكان place adverbs: «هنا «here»، «هناك «there . . إلخ، وظروف الزمان time adverbs: «الآن «now» ، «حالاً «Soon»، . . إلخ فبالنسبة لهذه الظروف هي لا تشير إلى أي نوع محدد من المكان أو الزمان، وإنما تشير عادة إلى المكان أو الزمان الذي يمكن تعيينه بالنظر إلى المتكلم والسامع، وأقل اعتياداً بالنظر إلى الزمان والمكان المعينين في المحادثة.

إن المهم في الكلمات الأسية deictics هو أنها تستخدم في الإشارة إلى مواد في «السياق» بمعنييه، السياق اللغوي والسياق غير اللغوي. وبالتالي فصيغة الغائب «هو» قد تستخدم في الإشارة إلى شخص ما يتكلم عنه في السياق اللغوي أو قد تستخدم (بتهذيب أقل) في الإشارة إلى شخص ما حاضر بالفعل. ولقد أخبرني البعض بأن النساء في بعض أجزاء من بريطانيا يستخدمنها في الإشارة إلى أزواجهن - من أيضاً؟ who else! وبالمثل فإن أداة التعريف «the» قد تشير إلى شيء ما بعينه إما السياق اللغوي وإما السياق غير اللغوي، أو تعينه الحياة بصورة عامة، بشرط أن لا تكون هويته محل شك. وحتى علامات الزمان والمكان تستخدم هكذا. فالآن «now» و هنا «here» تشيران غالباً إلى «the now of the time of speaking» و «the here of the place of speaking»، غير أنه يمكن تعيينهما بالنظر إلى الأزمنة والأمكنة المشار إليها في المحادثة.

إن الافتراض واضح - إننا لو كنا نبحث عن سياقات لتقرير معنى فعلينا النظر إلى السياقين اللغوي وغير اللغوي كليهما.

الفصل الخامس

التعدي والسببية

Transitivity and causativity:

إن علينا عند مناقشة النحو الإنجليزي بالتفصيل أن نتعامل مع أربع فصائل مرتبطة بالفعل: الزمن tense، والهيئة aspect، والدور phase، والصيغة voice. ويمكن توضيح هذه الفصائل بمقارنة: «plays» بـ «played»، «is playing»، «has played»، «is played» على التوالي. ففصيلة الصيغة تختلف عن الفصائل الثلاثة الأخرى. ولو تأملنا جملة «جون يلعب على البيانو «John plays the piano» فإننا نستطيع أن نغير الزمن، والصورة، والهيئة فننتج الجمل John played the piano»، و «John has played the piano»، و «John is playing the piano». ومع الصيغة يختلف الموقف؛ فلو أردنا أن نبني الجملة للمجهول، لحصلنا على كلام سفساف هو «John is played (by) the piano» إلا إذا غيرنا ترتيب الكلمات لننتج جملة «the piano is played by John».

وهذا يوضح العملية النحوية التي تسمى الآن بالتحويل transformation؛ حيث إن الفصيلة النحوية لا تؤثر في عنصر واحد (هو الفعل) حسب، بل في الجملة كلها. وفضلاً عن هذا فالتحويل إلى صيغة المبني للمجهول ممكن فقط مع الأفعال التي لها مفاعيل، لأن مفعول الفعل المبني للمعلوم يصبح فاعل الفعل المبني للمجهول. ومع ذلك يجب أن نعرف حدّي «الفاعل» و «المفعول». في المستوى الصوري المحض هذا لا

يشكـل صعوبـة. ففي لغة تصـريفية inflected، مثـل اللاتينيـة، فإن الفـاعل والمفعـول ملحوظـان على نحو واضـح في التعليم الذي تتخـذ فيـه القضـايـا البارزة أساساً للدراسة، الفاعل بكونه في حالة رفع والمفعول في حـالة نصب (وهمـا يخضعان لقـواعد نحـوية معينـة). فمثـلاً في الجملة «مـاركـوس قتـل جـوليـوس Marcus Julium necavit » فـإن «مـاركـوس» في مـوضـع رفـع وجـوليوس في مـوضـع نصب. وفي الإنجليـزيـة ولغـات أخـرى كثيـرة نلحظ الفاعل والمفعول عن طريق الموقع position؛ فـالفاعـل متقدم على الفعـل، والمفعول تالٍ للفعل.

وهناك تعقيدات قليلة لا بد أن نتأملهـا: أولاً فبعض الأفعال يكـون فيها مفاعيل غير مباشرة، إضافـة إلى المفاعيـل المباشـرة كما في الجملة «جـون أعطى بيل كتاباً John gave Bill a book» حيث المفعـول المباشـر هو كتـاباً» والمفعول غير المباشر هو «بيل». (في اللاتينية المفعول غير المباشر يكون في حالة نصب «ماركوس أعـطى جوليـوس كتابـاً Marcus Julio librum dedit»، حيث يكون «جوليوس» في حالـة نصب). ومع هـذه قد يكـون المفعول غيـر المباشر فاعلاً في صيغـة المبنى للمجهول، كمـا في جملة «بيل أُعـطِيَ كتابـاً بواسطة جـون Bill was given a book by John»، وقد يكـون مفعـولاً مبـاشراً كما في جملة «كتاب أُعطِيَ لبيل بـواسطة جـون A book was given to Bill by John» (رغم أننا قد نـرى هذا صيغـة بناء للمجهـول لجملة John gave a book to Bill». لا جملة «John gave Bill a book»)، فضـلاً عن ذلك، قـد نجد جملاً مثل: «الرجل العجوز اعتُني به بواسـطة ابنته The old man was looked after by his daughter» لا يكـون فيهـا «الـرجـل العجـوز» مفعـولاً للجملة في صيغتها المبنية للمعلوم، لكنه مسبوق بـالحرف «after»، فـالحل هنـا أن ننظر إلى «look after» على أنهـا فعل مفـرد. وننـظر بـاتجـاه سلوكي خـاص إلى جملة: السـريـر لم ينم فيـه «The bed's not been slept in» التي تـظهر فيهـا كلمة «sleep in» بـاعتبارهـا وحدة (لكنهـا تغـايـر الجملة البعيـدة

الاحتمال: «المكتب لم يُعمل فيه the office's not been worked in»). ومع ذلك، يجب أن نضع صياغات خاصة للجمل التي تكون من هذا النوع. وبوجه عام، تبقى قاعدة التحويلات - التي تتضمن تغير الفاعل والمفعول - جيدة. والأفعال التي لها مفاعيل تسمى «متعدِّية»، رغم ضرورة التركيز على أن هذا استخدام نحوي للكلمة، يختلف تماماً عن المعنى المنطقي (الوارد في الفصل السادس من الباب الرابع).

إذن فالصيغة ترتبط على نحو دقيق بالتعدِّي النحوي مثلما لو نظرنا إلى الفعل على أنه يشير إلى علاقة «تعدّ» بين الفاعل والمفعول، تلك العلاقة تنعكس في البناء للمجهول. فالبناء للمعلوم والبناء للمجهول إذن يشبهان إلى أبعد حد المقابلات ذات الارتباط (التي ناقشناها في الفصل السادس من الباب الرابع). وعلاقات التعدي التي لها نوع مختلف بعض الشيء هي أيضاً متضمنة في نحو بعض الأفعال دون تضمن البناء للمجهول. فهناك كثير من الأفعال في الإنجليزية تظهر بكلا الأمرين: متعدية ولازمة intransitive، مثل كلمة «يدق ring» في الجملتين «جون دق الجرس John rang the bell»، و «دق الجرس the bell rang»، ومن الأفعال الأخرى «يفتح open، يغلق close، يبدأ start ، يقف stop، يطبخ cook، يغلي boil. يكسر break، يفرقع snap. . إلخ. ومع هذه فإن مفعول الفعل الواحد (الصيغة المتعدية) يطابق فاعل الفعل الآخر (الصيغة اللازمة). وسوف نقول أكثر عن هذا في الفصل الأول من الباب الثامن.

وهناك بعض اللغات فيها أفعال لازمة ومتعدية كما في الإنجليزية، لكنها تشير إلى هوية فاعل الفعل اللازم ومفعول الفعل المتعدي (الجرس في كلا المثالين) بطريقة صورية، عن طريق وضعهما في الحالة نفسها - الدالة على الرفع - أما الاسم الآخر، الذي يكون فاعل الفعل المتعدي فقط (جون في المثال)، فيكون في حالة أرجتية (أي الفاعل فيها فضيلة أو المفعول عمدة) ergative. وأكثر اللغات الأرجتية شهرة هي الباسكية Basque، وهناك

لغات أخرى مثل لغة الأسكيمو، والجورجية Georgian، وكثير من لغات الهند في بعض أنماطها الفعلية.

ونستطيع أن نعالج الإنجليزية بطريقة مماثلة لو ميَّزنا بين:

أ ـ الفاعل والمفعول النحويين اللذين يمكن أن نلحظهما بالموقع، ويتغيران مع الصيغة ومع الثنائيات المتعدية واللازمة.

ب ـ الفاعل والمفعول بمعنى «أعمق»، مثل أن كلا الفاعل النحوي للفعل المبني للمعلوم، والعامل (مسبوقاً بكلمة by) في الفعل المبني للمجهول يعرفان بأنهما «فاعل عميق deep»، في حين أن كلا المفعول النحوي للفعل المبني للمعلوم، والفاعل النحوي للفعل المبني للمجهول يعرفان بأنهما «مفعول عميق». فمثلاً «جون» فاعل عميق و «البيانو» مفعول عميق في كلتا الجملتين «John plays the piano»، و «The piano is played by John».

وما دام المصطلحان «فاعل عميق» و «مفعول عميق» يستخدمان في معالجة علاقات صورية من هذا النوع حسب، فلن تظهر مشاكل حقيقية. لكن قد يغرينا أن ننظر إلى الفاعل العميق باعتباره «الفاعل الذي يفعل شيئاً doer» وإلى المفعول العميق باعتباره «الخاضع لعملية ما sufferer»، وقد استخدم بعض اللغويين المصطلحين: «الفاعل Actor» والغاية Goal» ليوضح هذا الاختلاف. ومع ذلك ستواجهنا صعوبات لو حاولنا تعريفهما بحدود دلالية. لأنه ليس صحيحاً على الإطلاق أننا ننظر دائماً إلى فاعل الفعل المتعدي باعتباره الذي «يفعل» شيئاً. ففي الإنجليزية أفعال كثيرة ليست أفعال حدث action، بل أفعال حالة state ، مثل «الفعل يجب like» في الجملة «I like ice cream» أو حتى الفعل «يرى see» أو في «I saw the boys». صحيح إننا مع بعض هذه الأفعال لا ينبغي أن نسأل عادة «ماذا فعل؟ (رغم أن

هـذا على عكس ما زعم بعض اللغـويين ـ ليس اختياراً واضحـاً، مثلمـا يستطيع القارىء أن يقدر لنفسـه مع الفعلين «يحب» و «يـرى»). وفضلاً عن ذلـك فلدينـا مـع بعض أفعـال الإدراك الحسِّ ثنـائيـات من أفعـال «الحالة» و «الحـدث». فإلى جـانب الفعل «see» لـدينا «look at» وإلى جـانب الفعل «hear» لـدينـا «listen to». والفـاعـل مـع «look at»، و «listen to» فقط يفعل شيئاً. (الأفعال الأخرى الخاصة بـالإدراك الحسِّ وهي «يشم smell»، «يشـعـر feel»، و «يتـذوق taste». لـيس فيـهـا ثنائيات»، إنما تستخدم في معنى «الحالة» ومعنى «الحدث» كليهما.

إن أفعـالاً من هذا النـوع لا بد أن تثنينـا عن محاولـة تعريف «الفـاعـل actor» بحدود دلالية. لكن ليس واضحاً حتى مع أفعال الحدث أننـا نستطيـع أن نحـدد على نحو واضـح مـا يقصـد بكلمـة «فـاعـل actor»، وعلى سبيـل المثال، يستشهد هاليداي M. A. K. Halliday بعبارة «General Leathwell» بـاعتبارهـا فاعـلاً في الجملة: «General Leathwell won the battle» لكن بأي معنى يكون هو الفاعل؟ هل أطلق النار من أي مدفع، أو قتل أي عـدو؟ هـل تقدم إلى خـطوط الأعداء؟ أم أنـه جلس في مخبئه H Q وتـرك القوات تتقدم إلى المعركة حسب؟ من المؤكد أننا نستطيع أن نزعم بـأنه من النـاحية الـدلاليـة لم يكن هـو الفـاعـل، بـل «المـراقب»! إذن فصعب ـ إن لم يكن مستحيلاً ـ أن نعرّف «الفاعل actor» و «الغاية goal» بحـدود دلالية محضـة. وفي الواقع من المحتمل أن تكون التعريفات الدلالية الظاهرية تدور في حلقة مفـرغة ـ فهي تعتمـد أولاً، على اختيار المبني للمعلوم لأفعـال شـائعـة كثيـرة (أفعال «الحدث») لكونها نموذجية. وثانياً على أن هذه الأفعال يمكن أن يشار إليها عادة بالفعل «do». إذن فالفاعل والغايـة ليسا أكثـر من الفاعـل العميق، والمفعول العميق لمعظم الأفعال «النموذجية» في الإنجليزية.

ويرتبط التعدي إلى حـد بعيد بـالسببية causativity. وقـد أغرى بعض اللغويين بتحليل الجمل المتعدية باعتبارها في الأسـاس جملاً سببيـة. بمعنى

أن جملة «جـون دق الجـرس John rang the bell» تفسّـر على أنهـا «جـون تسبب في دق الجـرس John caused the bell to ring» وباستخـدام حسـاب المحمـول، قـد نفسّـر الجملة على أنهـا (Ring] bell]) و John [Cause] فضـلاً عن كونهـا bell و John [Ring]. وهـذا سـوف يـظهـر العـلاقـات بين الثنـائيات المتعـدية والـلازمة، عن طـريق جعل الأفعـال كلها لازمـة في هـذا التحليل الأكثر تجـريداً. لكن هنـاك اعتراضـات على هذا. أولاً، إننـا نحتاج إلى وضع فرق بين المتعدي من الأفعال واللازم منها. ولـذلك تـأمل الجملة: «الـرقيب سيّر المجنـدين The sergeant marched the recruits» . فرغم أن لدينا أيضاً جملة «المجندون سـاروا The recruits marched» هناك فـرق بين هاتين الجملتين وجملتي «يدق ring» في أن المجندين ـ بخلاف الجرس ـ هم من النـاحيـة الـدلاليـة فـاعلون أو عـاملون، يؤدون الحـدث بـإرادتهم الحـرة وبمجهـودهم. والرقيب هـو إذن «متسبّب» بمعنى مختلف وأكثـر وضـوحـاً من «جون» في جمْلة «جون دق الجِرس»[1]، ثانياً، هناك أفعال كثيرة لا تخضـع بسهولة للترجمة إلى حدود سببية. فـالفعل «دق Ring» قـد ننظر إليـه على أنه «تسبب في الدق» والفعل «قتل Kill» على أنه «تسبب في الـوفاة»؛ لكن مـاذا عن الفعـل «يضرب hit»؟ إننـا قد نـنظر إلى جملة «جون قتـل بيل». «John Killed Bill» على أنهـا مـطابقــة لجملة «جـون تسبب في مـوت بيـل John caused Bill to die» لكن هــل جملة «جـون ضــرب بيــل John hit Bill» مطابقة لجملة ـ John caused Bill to» إن هـذا لا يزعم أن هنـاك فرقـاً واضحاً بين التعـدي والسببية من النـاحيـة الـدلاليـة ـ والـدليـل على ذلـك يـأتي من الانحراف في اللغات المختلفة. فالكلمة الإنجليزية اللازمة والمتعدية «يطبـخ cook» تترجم في الفرنسيـة إلى «cuire» وإلى «faire cuire» (الذي هـو على نحو واضح سببيّ)، وهناك أفعال كثيرة أخرى مثل هذا: وهنـاك لغات تجعـل الفرق صورياً، فإلى جانب صيغتي المبنى للمعلوم، والمبني للمجهول، هناك

---

(١) انظر إلى التعريف الصحيح للفاعل في النحو العربي (المترجم).

صيغ سببية للفعل، لكن الفرق الصوري لا يبدو مرتبطاً بفرق دلالي، وعلى سبيل المثال، فالفعل «يقتل to Kill» في اللغات الحبشية فعل متعدّ مبنى للمعلوم، لكن الفعل «يثب to bounce» سببيّ للفعل اللازم «to bounce» أو «to jump». لكن لماذا لا يكون الفعل «to kill» سببياً للفعل يموت «to die»؟ ليس هناك سبب دلالي واضح. وربما يثير الدهشة أكثر أن الفعل «to die» في اليونانية الكلاسيكية يؤدي باعتباره صيغة بناء للمجهول للفعل «to kill» (فالإنسان يمكن أن يموت بواسطة شخص آخر»). فمن الناحية الصورية على الأقل يعامل اليونانيون الفعل «to kill» ـ وليس الفعل «to die» ـ على أنه الأكثر جوهرية.

وواضح من المناقشة في هذا الفصل أننا لا نستطيع أن نرى تطابقاً واضحاً بين علاقات التعدي المقررة صورياً وعلم الدلالة. لكننا سوف نعود إلى المشكلة حالاً في الفصل الأول من الباب الثامن.

الباب الثامن
إصدارات حديثة

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ علاقات الحالة .

٢ ـ الأدائيات والأحداث الكلامية

٣ ـ الموضوع والتعبير

٤ ـ الافتراض الضمني

٥ ـ علم الدلالة التوليدي

٦ ـ ملاحظات ختامية .

الباب الثامن
إصدارات حديثة

Recent issues

أريد أن أناقش في هذا الباب بعض الموضوعات التي صارت لها أهمية خاصة عند اللغويين في السنوات الأخيرة. وبعض هذه الموضوعات يتصل بموضوعات عالجناها في أبواب سابقة، لكن أهميتها تكمن في آنيّتها topicality فضلاً عن موقعها الذي تشغله من علم الدلالة. وبالطبع مستحيل أن نعالج هذه الإصدارات على نحوٍ دقيق في مساحة مختصرة من باب مفرد. ولا يسعنا إلاَّ أن نعرض لخطوط عامة موجزة ، ونشير إلى بعض الصعوبات.

الفصل الأول

علاقات الحالة

Case relations

ناقشنا مشكلة الفاعل والمفعول في الفصل الخامس من الباب السابع. غير أن هناك محاولة لمعالجة دلالة مثل هذه الفصائل نجدها في «نظرية الحالة Case theory» التي ارتبطت باسم فيلمور C.J.Filmore.

ولنبدأ بتأمل ثلاث من الجمل مثل: «جون فتح الباب بالمفتاح John opened the door with a key»، «المفتاح فتح الباب the key opened the door» و«الباب انفتح the door opened». فالفعل في الجمل الثلاث هو نفسه الفعل «يفتح»، والجمل كلها مبنية للمعلوم. وفوق ذلك فإن الفاعلين النحويين هم: «جون» و«المفتاح» و«الباب» على التوالي. أما فيلمور فيذهب إلى أن هذه الحقائق يمكن تفسيرها إذا تناولنا «جون» و«المفتاح» و«الباب» بالنظر إلى «علاقات الحالة» التي لا ترتبط مباشرة بالفاعل والمفعول النحويين، بل يكون كل اسم هو نفسه في الجمل الثلاث. فمثلاً «جون» هو العامل «A gentive» (= «actor») عبر هذا، و«المفتاح» «مساعد ـ آلة instrumental» و«الباب» هو «المستهدف objective». ونستطيع الآن أن نقرر أن الأسماء في أي من هذه الحالات الثلاث؛ العامل، أو المساعد، أو المستهدف قد يكون هو الفاعل النحوي. ومع ذلك فإن تقرير ما يؤدي وظيفة الفاعل مع الفعل المبني للمعلوم تحدده قاعدة للأسبقية التي تضع الحالات في ترتيب: عامل، مساعد، مستهدف. بمعنى أنه لو كان العامل موجوداً

(جون) فسوف يكون هو الفاعل دائماً فنقول «جون فتح الباب بمفتاح John opened the door with a key»، ولا نقول «المفتاح فتح الباب بواسطة جون The key opened the door by John» ولا «الباب انفتح بالمفتاح بواسطة جون The door opened with a key by John» . وبالمثل لو كان المساعد لا العامل هو الموجود، فإن المساعد سوف يكون هو الفاعل ـ فنقول: «المفتاح فتح الباب the key opened the door»، وليس «الباب انفتح بمفتاح the door opened with a key» . أما المستهدف فيمكن أن يصبح هو الفاعل وذلك لو كان وحده مثل قولنا: «الباب انفتح the door opened». إنَّ نحو «الحالة» يمكن أن يعتبر إلى حد بعيد وسيلة لربط مثل هذه الجمل. فنستطيع أن نكون بسهولة مجموعة مماثلة بالفعل «دق ring»: «جون دق الجرس بمطرقة John rang the bell with a hammer»، و «المطرقة دقت الجرس The hammer rang the bell»، و «الجرس دق the bell rang».
وعند تعيين العامل، والمساعد، والمستهدف علينا حسب أن نطور مفهومي «العامل actor» و «الغاية goal» (أو الفاعل «العميق» والمفعول «العميق») اللذين وردا في الفصل الخامس من الباب السابع. والجديد أننا لا نهتم بالجملتين المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول حسب، بل نهتم أيضاً بثلاثيات كتلك التي أوضحناها، وتحتاج إلى فصيلة إضافية هي «المساعد» (بالنسبة للعامل والمستهدف يمكن أن يعرف بالعامل والغاية). لكن الفصائل سوف تظل صورية ـ تعتمد فقط على علاقات من النوع التحويلي بين الجمل.

وتذهب مزاعم فيلمور إلى أكثر من هذا. فهو يزعم ـ إضافة إلى ذلك ـ أن مفاهيمه عن الحالة هي «مجموعة من المفاهيم العالمية، وربما الفطرية» ويستمر في تعريفها بحدود دلالية. فيبدأ بالقول بأن هناك ست حالات هي: «العامل A gentive» (وهو على نحو نموذجي كائن حيّ يُدرَك عن طريق الحواس مثيراً)، والمساعد Instrumental (وهو قوة ليست ذات حياة، أو شيء مستخدم لسبب)، وحالة تكون فيها الكلمة مفعولاً به غير مباشر Dative

(وهـو كائن حيّ يقـع عليه التـأثير)، و«نـاصب المفعـوليـن Factitive» (وهو مفعـول، أو كينونـة تنتج عن الحـدث أو الحالـة)، و«فعل المكان Locative» (وهو مكان أو اتجاه مكاني)، و«المستهدف Objective» (وهو الحـالة الأكثـر حياداً من الناحية الدلالية).

وعلى أسـاس مثل هـذه التعريفـات (وقد استشهـدت بالأجـزاء الوثيقـة الصلة حسب) يمضي فيلمور فيستعرض الحالات التي تتطلبها أفعال أخـرى. فمثلاً الفعل «يقتـل kill» يجب أن تكون لـه كلمة في حـالة المفعـول به غيـر المبـاشر وعـامل، أو مسـاعد أو كـلاهما معـاً. (الشخص المقتول تشيـر إليـه الكلمة التي تدل على المفعول به غير المباشـر، لأنه هـو الكائن الحيّ الـذي وقع عليه الفعل، والقتل قام به كائن حيّ (عامل) أو جماد (مساعد) أو كلاهما ـ كأن تقول «قتله الرجل»، أو «قتلته الصخرة»، أو «قتله الرجل بصخـرة». أما الفعـل «يموت die» فيتضمن فقط كلمـة في حالـة المفعول بـه غير المبـاشر. وبالمثل يحتاج الفعل «يرى show» إلى عامل، وإلى كلمة في حالة المفعـول به غير المباشر ومستهدف (شخص يُري شيئاً لشخص آخر)، في حين يتطلب الفعل «يرى see» كلمة تكون مفعولاً به غير مباشر ومستهدفـاً. وهناك تنـاقض بين «يرى see» وينظر إلى look at»، فالأخير يتضمن عـاملاً ومستهـدفاً (فمـع «look» يقوم الشخص بدور فعّال، أما مع «see» فيقع عليـه التأثيـر حسب). ورغم أن نظرية الحـالة تلقى القبـول الظاهـري المبدئي، فـإن فيها صعـوبات خطيرة. فمن البداية، لو كانت الحالات معرفة دلالياً، لبرزت أمامنا مشكلات غموض التعريف الدلالي المعتادة كلها.

ودعنا نتأمل أولاً الفرق بين العامل والمساعد. يـزعم فيلمور أن العـامل هـو (على نحـوٍ نمـوذجي: كـائن حيّ) لكننـا نستـطيـع أن نبتكـر دائمـاً أمثلة يستخدم منها اثنان من الأشياء الجامدة، كأن نقول «العاصفة كسـرت الزجـاج بحبّـات البـرد the storm broke the glass with the hailstones» وبنـاء على هذا يجب أن نزعم أنه رغم أن العامل عادة هو كائن حي، فإن كونه كائنـاً حياً

ليس جزءاً أساسياً من التعريف. لكن لو كان كذلك، لوجدنا فوراً حالات متوسطة. لأنه لو كان «جون» هو العامل من جملة «جون كسر النافذة»، وكانت «الصخرة» هي المساعد في جملة «الصخرة كسرت النافذة»، فليس من السهل أن نرى لماذا يجب أن تكون «الريح wind» هي المساعد فضلاً عن كونها العامل في جملتي «الريح كسرت النافذة» و«الريح حفّت الأوراق»، أو لماذا يجب أن يكون جون هو العامل لو كسر النافذة بالصدفة أو نتيجة لدفع أحدهم إياه. وبالمثل، هناك مشكلات مع حالات أخرى. وأذكّر القارىء بأن جزءاً من مناقشة فيلمور، تمثل في أن اختيار فاعل الجملة تقرره قواعد نحوية «صورية» معينة فضلاً عن «الحالة» التي هي «نظرية» أكثر. فهو يزعم أن الشيء نفسه صحيح بالنسبة للمفاعيل المباشرة، ويوضح هذا بمقارنة الجملتين «يقدم شيئاً إلى شخص ما present something to some one» و«يقدم شخصاً ما بشيء present some one with something». ويحتمل أنه يرغب في القول بأنه رغم أن المفعول المباشر direct object هو كلمة «something» في الجملة الأولى، وكلمة «someone» في الثانية، لا يرتبط هذا «بحالة»، لأن كلمة «something» هي مستهدف وكلمة «someone» تدل على مفعول به غير مباشر dative في كلتا الجملتين. وبالتالي يحتمل أن يكون هذا التحليل قد نتج عن اعتبار المثال الأول هو الأساس ـ حيث يتطابق المستهدف والكلمة التي تدل على مفعول به غير مباشر مع المفعول object والمفعول غير المباشر indirect object، ومن ثم تواصل الزعم بأن الحالات نفسها تحدث في المثال الثاني بسبب معناه المتشابه، ورغم اختلاف صيغته. لكن لماذا لا نزعم، بدلاً، أن المثال الثاني يجب أن يعالج بالنظر إلى المستهدف (someone) والمساعد (something) مثلما جاء في الصيغة السطحية؟ (أو بالنظر إلى المفعول به غير المباشر dative، والمساعد، ما دام «someone» كائناً حياً؟) لأننا إذا كنا نريد تحديد الدلالة فقد نسأل عمّا إذا كانت جملة «present someone with something» تشبه جملة «يكافىء re- ward someone with something» أو جملة «يعاقب punich someone with

«something» وأليست هـذه قـريبـة من جملة «يضـرب beat someone with something»؟ ومرة أخرى تواجهنا مشكلة علم الدلالة ـ وهي رسم خط بين ما بدا أولاً فصائل واضحة المعالم.

وهناك أيضاً فروق كثيرة لا يمكن لنحو «الحالـة» أن يتناولهـا. وسنأخـذ أمثلة فيلمـور مرة أخـرى: «جـون لـطّخ صبغـاً على الحـائط John smeared paint on the wall» / «جون لطّخ الحائط بالصبـغ John smeared the wall with paint». «النحــل يحتشـد في الحــديقـة Bees are swarming in the garden» / «الحـديقـة محتشــدة بـالنحــل the garden is swarming with bees». فالحالات في كل ثنائي لا بدَّ أن تكون هي نفسهـا بالنسبـة لـ «جون، وصبـغ، وحائط، ونحـل، وحديقـة»، لكن معاني الجمـل ليست هي نفسها. وبالمثل، يبدو أن الفعلين «يشتري buy»، و «يبيـع» يتضمنان الحـالات نفسها ـ وحقاً إن جزءاً من جاذبية نحـو الحالـة يتمثل في أنـه يفعل ـ ومـع ذلك فـإن جملة «جون اشترى كتاباً من ماري» لا تطابق جملة «ماري باعت جون كتابـاً» إنَّ هذه الأمثلة توحي بشكل حاد بأن للفاعل النحوي وظيفة الفاعـل يكون في استطاعتنا حسب، حين تتضـح لنا وظـائف «الحالـة». وهذا استنتـاج غريب. ألم تكن الحجة بالنسبة للحالة أن الفاعل النحوي ليست له وظيفة ثابتة؟

الفصل الثاني

الأدائيات
والأحداث الكلامية

Performatives and speech acts

ذكر فيلسوف أكسفورد أوستن J.L. Austin في كتابه الصغير المشهور «How to do things with words» (الذي طبع ونشر بعد وفاته)، ذكر أن هناك عدداً من العبارات المنطوقة لا يخبر ولا «يعرض» أي شيء، وبناء على هذا فهو ليس «صادقاً ولا كاذباً»، لكن النطق بالجملة هو حدث أو جزء من حدث. ومن أمثلة ذلك الجملتان: «أنا أسمّي name هذه السفينة الملكة إليزابيث»، و«أنا أراهنك bet بستة بنسات على أنها ستمطر غداً. فالمتكلم حين ينطق بمثل هذه الجمل يسمّي السفينة أو يقوم بالرهان بالفعل، لكنه لا يصوغ أي نوع من العبارات يمكن أن ينظر إليه باعتباره صادقاً أو كاذباً. إن الجمل التي يعني بها هنا هي ـ من الوجهة النحوية ـ عبارات، لكنها ليست توثيقية Constative، بل أدائية. ويضمن أوستن الجمل الأدائية (أو ببساطة الأدائيات) عبارة (أنا أعد. . I promise»)، ويزعم أننا يمكن أن نجد قائمة من الأفعال الأدائية تشمل: «يعتذر apologise»، ويشكر thank»، ويلوم censure، ويوافق approve، ويهنىء Congratulate». فمع هذه الأفعال كلها فإن الجملة التي تتكون من ضمير المتكلم وصيغة المضارع تصبح مثالاً للأدائيات.

ومن ذلك نراه يشرع في تمييز هذه الأدائيات بأنها أدائيات صريحة Explicitفي مقابل الأدائيات الضمنية implicit التي لا تحتوي على تعبير

يسمى «الحدث act». إننا نستطيع أن نصل إلى النتيجة نفسها مع الفعل «go» كما في جملة «أنا آمرك أن تذهب I order you to go». وبالمثل فإن جملة «في الحقل ثور There is a bull in the field» قد تكون تحذيراً وقد لا تكون، في حين أن جملة «سأكون هناك I shall be there»، قد تكون وعداً وقد لا تكون. وهذا يقودنا إلى الفرق بين «الحدث التعبيري Locutionary Act» و «الحدث غير التعبيري Illocutionary Act». فنحن في الحدث التعبيري «نقول شيئاً» لكننا قد نستخدم التعبير أيضاً في أغراض محدودة؛ كالإجابة عن سؤال، أو إعلان حكم، أو إصدار تحذير.. إلخ. إننا بهذا المفهوم نؤدي حدثاً غير تعبيري. وهذا قاد أوستن وآخرين ممن اتبعوه إلى التحدث عن الأحداث الكلامية؛ أي تصنيف العبارات المنطوقة بالنظر إلى الوعود، والتحذيرات.. إلخ، وقادهم في النهاية إلى التسليم بأن العبارات الناتجة (التوثيقية) هي مجرد نوع من الحدث الكلامي.

وهنا نجد شيئاً مشتركاً مع نظرة مالينوفسكي إلى اللغة باعتبارها «أسلوب عمل» (الفصل الثاني من الباب الثالث)، وإنه لشيء سار أن نتنبه إلى أن المعنى لا يحدده المعنى الإدراكي، لكن هناك بعض الفروق والصعوبات الواضحة. ففي مناقشة الأحداث الكلامية يزعم دائماً أن للجملة معنى خبرياً propositional (يكون حدثاً تعبيراً) بالإضافة إلى كونه حدثاً غير تعبيري لقيامه بمهمة العرض، والتحذير، والأمر، والاعتذار.. إلخ؛ وبالطبع يحتج مالينوفسكي بأن اللغة «أسلوب عمل وليست توثيق فكر». ومع ذلك فهناك فرق شاسع بين عبارة أدائية مثل: «أنا أسمّي name هذه السفينة الملكة إليزابيث» والحدث الكلامي الدال على التحذير المتضمن في جملة «في الحقل ثور»؛ فالعبارة الأولى يحكمها تماماً العرف والشعائر ـ فحدث التسمية لا يتم بغيرها. أما الحدث الأخير فليس جزءاً من أي سلوك عرفي، وليس واضحاً على الإطلاق الظروف التي يكون فيها تحذيراً. وعلى سبيل المثال، هل يكون تحذيراً لو نويته أنا دون أن يعي الآخرون أنه كذلك؟ إن

الحدث مع العبارات الأدائية الصادقة يكتسب عن طريق الكلمات وحدها، لكنه مع «حدث كلامي» مثل التحذير ليس بالضرورة كذلك.

وفي الواقع إننا نستطيع أن نميِّز عدداً من الأنواع المختلفة من الظواهر اللغوية التي تكون مرتبطة لكنها ليست هي نفسها تماماً. فإلى أي مدى يكون مصطلح «أدائي» قابلاً للتطبيق عليها هذا أمر مَحلّ خلاف:

فأوَّلاً : لدينا بعض الأمثلة التي بدأ بها أوستن، فجملة «أنا أُسمّي هذه السفينة الملكة إليزابيث» فيها اثنتان من الخصائص الواضحة. فبداية، هي جزء من حدث؛ هو إطلاق اسم على سفينة قبل إنزالها إلى البحر؛ وهي أيضاً تبدأ بضمير المتكلم «أنا» والفعل بعده في صيغة المضارع، الذي يُسمّي الحدث أثناء تأديته. وهناك مثال مشابه (في الكتابة، وليس في الكلام) هو جملة «أنا أُعطي وأُورِّث ساعتي لأخي I give and bequeath my watch to my brother».

وثانياً : كثير من العبارات المنطوقة لا يشتمل على الضمير «أنا» إضافة إلى وجود الفعل في صيغة المضارع ورغم ذلك نعتبره «عبارات أدائية» بمعنى أنها في أساسها جزء من حدث. ومن أمثلة ذلك صيحات لعبة البريدج: «three clubs»، و «No bid».. إلخ، أو صيحة لعبة الكريكيت «No ball». لأن نطق البريدج يربط المتكلم بهذا النوع من اللعب، في حين أن حكم «No ball» في لعبة الكريكيت يجعل الأداء «no ball» بمعنى أن ضارب الكرة لا يستطيع الآن أن يخرج لكونه شده بمفاجأة مذهلة؛ أُربك؛ أُمسك به أو l.b.w.

وثالثاً : من العبارات المنطوقة ما يبدأ بقول: «أنا أعد.. I promise، أنا أحذِّر...، كما في العبارتين: أنا أعد أن آتي غداً، و «أنا أحذرك أن في الحقل ثوراً». وهذه أدائية، لأننا ننظر إليها باعتبارها حدثاً

للوعد، والتحذير. . إلخ، ولأن الحدث يُسمِّيه الفعل (ومرة أخرى مع وجود الضمير «أنا» ومجيء الفعل في صيغة المضارع). غير أنها تختلف عن أدائيات النوع الأول في :

أ ـ أنها ليست جزءاً من أي سلوك عرفي أو شعيريّ.

ب ـ وأننا يمكن أن نحذف الحدث الأدائي دون أن نفقد القوة غير التعبيرية؛ فتسمية الحدث لا تبدو شرطاً جوهرياً (لكن انظر إلى المثال الخامس، أسفل). إننا نستطيع أن نعد دون أن نستخدم الفعل «يعد» لكننا لا نستطيع أن نطلق اسماً على سفينة قبل إنزالها إلى البحر دون أن نستخدم الفعل «يسمِّي». وبالمثل، قد نقارن كلمة «يحذر warm» بكلمة «يراهن bet» كما في جملة «أنا أراهن بست بنسات على أنها ستمطر غداً». فالرهان لا يكون «جارياً» ما لم تستخدم الكلمات «أنا أراهن. . .». ومن ثم فإن عبارة «أنا أراهن. .» هي أدائية بالمعنى الأضيق السابق، ذلك أن الفعل الأدائي عنصر أساسي، ولا يمكن حذفه.

رابعاً : تستخدم أفعال الشرط الشكلية modal : «shall» و «may»/ «Can» في الوعد أو إعطاء الإذن (ويستخدم الفعل يجب «must» في فرص إلزام). وقد ذكر أوستن جملة: «أنا سآتي غداً I shall come tomorrow» باعتبار أنها مثال لعبارة أدائية ضمنية، لكننا نستطيع أن نحتج بأن ليس هناك أي شيء ضمني في جملة: «ستملكه غداً You shall have it tomorrow»، وجملة «تستطيع أن تذهب الآن You can go now». فهاتان ـ على نحو واضح ودون غموض ـ «وعد» و «إعطاء إذن». وواضح أن المعنى يقرره الفعل الشكلي، رغم أنه ليس فعلاً أدائياً بالمعنى الدقيق.

خامساً : لدينا حقيقة أن جملة «في الحقل ثور» قد تكون تحذيراً، أو تفاخراً،

أو مجـرد إعطاء معلومة. وهذا النوع الآخر من العبارات المنطوقة هو ما اهتم بـه الفلاسفـة اهتماماً كبيراً. لكن هـذا النوع الخـامس يختلف عن الأنـواع الأخرى كلهـا، ويسبب من المشكـلات مـا لا تسببه الأنواع الأخرى. باديء ذي بدء ليست هناك إشـارة صريحـة إلى نوع الحدث الكـلامي المستخدم. وهـذا يعني أن من الصعب عنـد التطبيق تقـرير مـا إذا كان المنـطوق المعين يوصف بـأنه نـوع محدد من الحدث الكلامي. وحتى المتكلم قد لا تكون عنده فكرة واضحة عن مقاصـده الخاصـة. فهو قـد يقول: «في الحقـل ثور» لأنه يخاف قليلاً على رفاقه، لكن هل هـذا يكفي لتشكيل تحـذير؟ إن مقاصد النـاس وأغراضهم غـالباً مـا تكون بعيـدة عن الوضـوح حتى لأنفسهم ـ وفوق ذلك يبدو أن فكرة الحـدث الكلامي تتـطلب على الأقل معرفة الاستخدام الذي يوضـع فيه المنـطوق. ومن ثم يجب أن نقـرر كم نوع من أنـواع الأحداث الكـلامية نستـطيـع أن نعين. وقد يبدو معقولاً أن نميّز نـوعاً من الحـدث الكلامي لـو كان في اللغــة فعـل أدائي حقيقي، وهــذا هـو الافتــراض في غـالب المناقشة. إذن فنحن نميّز التحذيرات والوعود باعتبـار أنها أحـداث كلامية لأن لـدينا الفعلين: «يحـذر» و «يعد». وقـد زعم أوستن أن عدد الأفعال الأدائية كان في شكل أربع صـور (قال: القـوة الثالثـة من عشـرة). لكن المؤكد أننـا يجب أن نرتـاب فيما إذا كـان وجود قائمة بالأفعال في المعجم يمكن أن يمدّنا بقـائمة الأنـواع الممكنة من الأحـداث الكلاميـة. فلا يمكن إنكـار أن في إمكـان الشخص العادي أن يطلق وصف «الأحداث الكلاميـة» على تلك التي يكون لـديه فعـل مناسب لهـا حسب، لكن لا يبدو أن هـذا ينتج عنـه أن اللغوي أو الفيلسوف لا بد أن يعرّف «الأحداث الكلامية» فقط بأنها تلك التي تسمح اللغة بأن يصفها الشخص العادي. وفوق ذلـك، سـوف ينتج أن الفـرنسي لو كـانت عنده مجمـوعة مختلفـة من مثل

هذه الأفعال (لا تماثل الأفعال الواردة في الإنجليزية) لكان علينا أن نميز مجموعة مختلفة من الأحداث الكلامية.

ولا بد أن يلاحظ، أيضاً، أن الحدث الكلامي قد لا يتطابق مع وظيفة أدائية فعلية. فمثلاً لو قلت: «Double»، في لعبة البريدج، لألزمت نفسي أدائياً باتفاق محدد، لكنني قد أفعل هذا لمجرد أن أحذّر شريكي أو أدعوه للتقدم لمسافة أبعد. وقد استخدم فعلاً أدائياً كما في جملة «أنا أعد أن أفعله I promise to do it»، ومع ذلك يؤدي وظيفة الحدث الكلامي الخاص بالتحذير أو التهديد. ومع ذلك مما يلفت النظر أن فكرة الحدث الكلامي استمدت من فكرة الفعل الأدائي.

حقاً إننا هنا على أرض مجهولة.

ولقد جعل بعض اللغويين لفكرة أوستن الخاصة بالفعل الأدائي استخداماً مختلفة وأكثر تحديداً، لكني أعتقد أنه لم يصادف نجاحاً كبيراً. فمن المعتاد أن نرى للجملة في النحو ثلاثة أنواع، عبارات إخبارية وأسئلة وطلبات، أو بحدود فنية أكثر: جمل تقريرية declarative، وجمل استفهامية interrogative وجمل طلبية imperative. ولهذه الأنواع علامات صورية واضحة؛ فالاستفهامية يقلب فيها الفاعل والفعل، والطلبية يحذف فيها الفاعل (إضافة إلى عدم وجود الزمن). فمثلاً نحن لا نشك في وضع كل من:

جون أغلق الباب
هل جون أغلق الباب؟ . . . Did John
أغلقْ الباب.

ولقد ذكرنا أن الجمل الاستفهامية والجمل الطلبية على نحو خاص تُسبّب مشكلات للتفسير بالنظر إلى المعنى الإدراكي. وقد تجنب بعض اللغويين (أو أهمل) هذه المشكلة فعالج أنواع الجملة الثلاثة كلها باعتبار أنها

الشيء نفسه ما عدا العنصر الذي يوحي بوضعها الاستفهامي أو الطلبي فتقحم في الصيغة النحوية العلامات س (= سؤال)[1] وط (= طلبية)[2] وبذلك تحل المشكلة!

وهناك نظرة أخرى أكثر تطرفاً ترى الفرق بالنظر إلى أفعال أدائية مجردة (ضمنية)، فتفسر جملة: «هل جون أغلق الباب؟ Did John shut the door» بالنظر إلى «أنا أسألك ما إذا كان جون أغلق الباب I ask you whether John shut the door» ، وجملة: «أغلق الباب Shut the door» بالنظر إلى «أنا آمرك أن تغلق الباب I order you to shut the door» . (ولكي نكون منصفين فإن هذه صياغات جديدة فقط، تدل على ما تقصد التراكيب الضمنية أن تدل عليه). إنها فقط خطوة قصيرة ونتبين أن جملة «جون أغلق الباب John shut the door» يمكن أن تُرى باعتبارها» أنا أقرر أن جون أغلق الباب. I state that John shut the door» ؛ فالجمل كلها لديها فعل أدائي ضمني. ولن أناقش هذا بالتفصيل؛ فهو لا يضيف شيئاً إلى معرفتنا بعلم النحو أو علم الدلالة، وفي سبيله اعتراضات واضحة: فأولاً، هو يضع الأشياء في غير موضعها الصحيح. إذ الجمل التي تبدأ بقول: «أنا أقرر..، أنا اسأل..، أنا آمر..» هي روايات للعبارات الإخبارية، والأسئلة والطلبات. تنظر إليها كتب النحو التقليدي باعتبار أنها عبارات غير مباشرة، وأسئلة وطلبات؛ تشتق من الجمل المباشرة، وليس العكس بالعكس. وثانياً، واضح أن المعنى ليس مطابقاً؛ فمعنى أن تصدر أمراً لا يماثل معنى «أن تحدد أن شخصاً يصدر أمراً». وثالثاً، هذا كله في الواقع، من أجل تقليص الجمل كلها إلى نوع واحد ـ هو العبارات الإخبارية statements، لكن هذا لا ميزة فيه؛ فاللغة تتكون من أوامر، وأسئلة.. إلخ، إضافة إلى العبارات

---

(١) في الأصل الإنجليزي Q اختصاراً لكلمة question (المترجم).

(٢) في الأصل الإنجليزي Imp اختصاراً لكلمة Imperative (المترجم).

الإخبارية كما أشار أوستن وتابعوه على نحو واضح. فلا شيء يُستفاد بمحاولة إخفاء الأنواع المختلفة عن طريق تقليصها إلى نوع واحد.

وفوق ذلك هناك مشكلة تحديد العدد المطلوب من أنواع الجملة. لأنه قد يبدو معقولاً أن نعالج جملة «John's Coming ؟» بنغمة صاعدة باعتبار أنها استفهامية (لاحظ أن الترقيم يوحي بأنها كذلك). لكن ما إن نقدّم التنغيم على أنه دليل على نوع الجملة فلن نستطيع التوقف. فبإمكاننا أن نسأل أسئلة بنغمات مختلفة وبإمكاننا بالطبع أن نقترح، وأن نضع تضمينات، وافتراضات .. إلخ، مع درجة التنغيم الملائمة. وقد تبدو هناك حالة طيبة للقول بأننا لا بد أن نصنّف أنواع الجمل بالنظر إلى التنغيم، ما دام هذا سيتجه بنا إلى مشكلة الأحداث الكلامية من الجانب الصوري، لأن التنغيم جزء من صورة اللغة. لكننا لو فعلنا، لكان عندنا عدد وفير من الأنواع، لأن التنغيم أيضاً يختلف. ولو لم نفعل، لحصرنا أنفسنا في حدود الأنواع التقليدية الثلاثة الضيقة: الجمل التقريرية، والاستفهامية والطلبية، التي تميّزها فقط الملامح الصورية (ولا تتضمن ملامح التنغيم).

الفصــل الثالث

الموضوع والتعبير

Topic and comment

عُني اللغويون التشيكيـون Czech (وعلى رأسهم فيـربـاس J. Firbas) سنوات عدة بمنظور الجملة الوظيفي أو F S P (اختصاراً لعبارة Functional Sentence Perspective). وفـرقوا في الجملة بين مـوضـوع الكـلام Theme والتعبيـر Rheme، أو مـا تـطلق عليـه معـظم مـدارس علم اللغــة الأخـرى: «Topic» و «Comment». وقد نجم هذا عن فكرة مؤداها أننا نستطيع أن نميّز بين ما نتحدث عنه (أي الأفكار العـامة التي تتـألف منها مـوضوعـات الكلام، وما نقولـه فيه (أي التعبيـر). وبعض اللغات فيهـا وسـائل صوريـة للتمييز بين الموضوع والتعبير، وبالتـالي فإن الفصيلة صـورية. من هـذه الوسـائل تـرتيب الكلمات، وهذا حال اللغة التشيكية؛ حيث يوضع موضـوع الكلام ـ أي مـا يُحَدَّث عنه ـ في بداية الجملة.

ولـو كانت في اللغـة علامـات واضحة للمـوضـوع والتعبيـر، لما تسبب الـوصف اللغوي في مشـالات عدة؛ لأن الفصـائل حينئـذٍ تكون ـ من النـاحية الصورية ـ ملحوظة. ومن السهـل علينا دائمـاً نسبياً ـ أن نعـطي أوصافـاً دلالية للفصـائل الصـورية. لكن الإنجليـزية ولغـات أخـرى كثيـرة ليس فيهـا فصيلة صـورية. ومن ثم لا يتضـح المقصود من «المـوضـوع» و«التعبيـر». غيـر أن الإنجليزية فيها على الأقل أربعة ملامح يبدو أنها ترتبط بهذه الفكرة.

فأولاً: يمكننا في الإنجليزية أن نضع كلمة في بداية الجملة ولا يكـون

هذا هو موقعها النحوي المعتاد كما في جملة «The man over there I do not like very much» . وهذه حيلة للإيحاء أولاً بما سنتحدث عنه، وبالتالي نعتبر الجملة مثالاً للاستبداء topicalisation أي اشتقاق المبتدأ في البنية السطحية على أساس قاعدة تحويلية. غير أن هذه ظاهرة نادرة تماماً في الإنجليزية. فنحن عادة لا نضع الكلمات أو العبارات في البداية من أجل هذا الغرض. وعلاوة على ذلك، فإن هذا يُلحظ فقط حين لا تكون الكلمات أو العبارات في مواقعها المعتادة.

وثانياً: نحن في الغالب نستطيع أن نختار تراكيب نحوية بديلة يكمن الفرق الرئيسي بينها في ما يكون فاعلاً. ومن الأمثلة الواضحة لهذا: المبني للمعلوم والمبني للمجهول: «جون ضرب بيل» و «بيل ضُرب بواسطة جون». وهناك أمثلة أكثر تعقيداً منها «هذا الكمان من السهل أن تعزف عليه ألحان موسيقية This violin is easy to play sonatas on» ، «الألحان الموسيقية من السهل عزفها على هذا الكمان Sonatas are easy to play on this violin» . وقد نزعم أن الاختيار يقرره الاستبراء فالتركيب المختار هو التركيب الذي يجيء بالموضوع في موقع الفاعل. لكن ليس واضحاً على الإطلاق أن «جون» و «بيل»، و «الكمان» و «الألحان» الموسيقية» بأي معنى دلالي مستقل هي «الموضوع»، أي ما يُتحدَّث عنه. إننا ببساطة نعرّف «الموضوع» بالنظر إلى كونه الفاعل، وفي أي حالة تكون دلالات الاستبراء هي مجرد دلالات كونه الفاعل. وهل نستطيع حتى أن نجد بعض البواعث الواضحة لاختيار تركيب دون آخر مع إشارة خاصة لاختيار الفاعل؟ ربما يكون هناك سببان لاختيار صيغة المبني للمجهول هما:

أولاً : إن استبقاء الفاعل نفسه غالباً ما يكون بغرض «التحام» المحادثة؛ فجملة «الطفل وقع على الطريق وصدم بسيارة The child ran into the road and was hit by a car» فيها ارتباط أكثر من جملة

«الطفل وقع على الطريق وسيارة صدمته The child ran into the road and a car hit him».

ثانياً : إننا نستخدم المبني للمجهول حين لا يكون «الفاعل doer» معروفاً مثلما نقول «الطفل صُرع»، أو حين يترك عمداً. وهذه من خصائص التقارير العلمية؛ فالمحور يستخدم صيغة البناء للمجهول حتى يتجنب الإشارة إلى نفسه فيقول: «الماء ؟سخِّن إلى ثمانين درجة مئوية». لكن الأول هو أكثر قليلاً من حيلة أسلوبية، أما الثاني فنتيجة مباشرة لعلم النحو في الإنجليزية الذي يتطلب دائماً جملة فيها فاعل. ومن ثم فإن اختيار التركيب الذي يتضمن الفاعل هو بمعنى غامض مسألة استبراء فقط.

وثالثاً : في الإنجليزية حيل واضحة «المعطى the given» و «الجديد the new»، أي المعلومات التي تكون معروفة في المحادثة، والمعلومات التي تعرض حديثاً. وفي الإنجليزية وسائل عدة للتمييز بينهما، فنستطيع أن نتجنب التصريح بالتفصيل بما يُعطي باستخدام الضمائر ـ ضمائر الغيبة هو/هي/ it - they بدلاً من استخدام الكلمات المذكورة «الولد الصغير»، «والرجل الذي في المنعطف».. إلخ. وليس هناك ضمائر فقط بل هناك أيضاً الأفعال البديلة ـ pro؛ من مثل يفعل «do» «كما في المثال» جون أتى مبكراً وكذلك فعل فريداً John came early and so did Fred». وبالمثل هناك الصفات ذات الصيغ البديلة pro - from ، والظروف وأدوات الربط ـ مثل Such، هكذا So، إذن therefore. . إلخ. فهذه كلها تحيل إلى شيء قد عرض، وبناء على هذا، لا يعرض بتمامه مرة أخرى ـ ونحن نستخدم أيضاً توكيد الجملة أو النبر accent لفرض مماثل، فالقاعدة العامة هي أن النبر ـ أي الموضع الذي فيه هبوط أو صعود ـ سوف يقع على المادة الأخيرة التي هي

جديدة؛ وأي شيء يتبع فهو معطى، وبهذه الوسيلة لا يكون ذا أهمية خاصة، فمثلاً ـ فمثلاً في جملة «جون ضرب بيل وبعد ذلك فريد ضربه John hit Bill and then Fred hit him» يقع النبر على «فريد» ما دام هذا وحده هو الجديد، أما الفعل «ضرب» و «الضمير» «ـه» فهما جزء من المعطى. وفي المقابل في جملة «جون رأى بيل وبعد ذلك فريد ضربه John saw Bill and then Fred hit him» يقع النبر على «ضرب»؛ لأن «ضرب» هي الجديد الآن. وما يلفت أكثر أننا نستطيع أن نضع النبر على الضمير «ـه» في جملة «جون ضرب بيل وبعد ذلك فريد ضربه» لتعني أن «فريد» ضرب «جون» لا «بيل». وتفسير هذا أن «جون» ـ رغم أنه ليس هو الجديد على وجه التحديد ـ هو الجديد باعتباره الغاية gool لا العامل actor. وقد يصبح المعطى ـ عرضاً ـ معطى من السياق العام غير اللغوي، لا من المحادثة اللغوية؛ فالنبر من الجملة الغلاّية تغلي the kettle's boiling» يقع ببساطة على «الغلاّية» لأن «تغلي» ليست إخبارية. وليس هناك شيء «جديد»، لأنه ما الذي يمكن للغلاّية أن تقوم به غير هذا؟

ورابعاً : إننا غالباً ما نستخدم النبر للمغايرة Contrast. ففي جملة «جون ضرب بيل» قد يقع النبر على إحدى الكلمات الثلاث. فليس هذا للاستبراء فقط، بل للمغايرة. فإننا لا نتحدث عن جون، أو الضرب أو بيل حسب، لكننا نقول إنه كان «جون» وليس أحداً آخر، و «ضارباً» وليس فعلاً آخر، و «بيل» وليس أحداً آخر. وهناك استخدام مماثل ـ وإن كان أكثر إثارة للدهشة ـ مع كلمة النفي «not»؛ حيث إن النبر «ينتقي» ما أو من لا يكون «is not» ؛ في مقابل ما أو من يكون «is». وبالتالي فنحن نستطيع أن ننبر كلمات عدة في جملة «الأساتذة لم يوقعوا الالتماس The professors

«did'nt sign the patition» لنفترض أن آخرين وقعوا الالتماس، أو أنهم فعلوا شيئاً خلاف التوقيع، أو أنهم وقعوا شيئاً آخر. وغالباً ما نكتسب التأثير الدلالي نفسه باستخدام عبارة «إنه كان... It was» مثلما نقول «إنه جون الذي ضرب بيل It was John who hit Bill»، و «لم يكن الأساتذة هم الذين وقعوا الالتماس It was'nt the professors who signed the patition» و (بالنسبة للفعل علينا أن نقول «ما فعله جون كان ضرب بيل What John did was to hit Bill») لكن مثل هذه العبارات ليست في الإمكان دائماً، مثلما يحدث في الصفة أو الظرف المغاير، فنحن نقول «إنه ليس رجلاً قاسياً H's not a cruel man»، و «هو لم يجرِ بسرعة He didn't run fast»، لكن لا نستطيع أن نقول: «إنه ليس قاسياً إنه رجل It isn't cruel that he's a man»، ولا «إنه ليس سريعاً إنه جرى It isn't fast that he run». وفوق ذلك، فنحن نستطيع أن ننبر أجزاء من الكلمات فنقول: «إنهم لم يعيدوا الملكية They didn't denationalise» (إنهم يؤممون)، «هذه ليست لغة سامية This isn't a sémitic language» (إنها حامية). فهنا لا يمكن إيجاد صياغة جديدة Paraphrase أو جمل مماثلة على الإطلاق. لكن بعض العلماء يحاول أن يحلل الملامح النبرية بالنظر إلى الصياغة الجديدة، وواضح أن هذا ضال.

لدينا إذن أربع ظواهر مختلفة على الأقل، يمكن أن نتناولها في الموضوع Topic والتعبير Comment، وكلها ـ بوسائلها الخاصة ـ جزء من دلالة اللغة.

الفصل الرابع

الافتراض الضمني

Presupposition

عُني الفلاسفة زمناً طويلاً بالوضع الدلالي لتعبير مثل: «ملك فرنسا The King of France»، بمعنى أنه لو لم يكن لفرنسا ملك، لما أشار التعبير إلى شيء بالمعنى الدقيق لكلمة إشارة reference. وتساءلوا ـ على نحو خاص ـ عما إذا كان قولنا إن «ملك فرنسا أصلع The King of France is bald» هو عبارة كاذبة.

وحلاً لهذه المشكلة زعم ستروسن Strauson، أن المتكلم حين يستخدم مثل هذه التعبيرات، أعني «التعبيرات الإشارية» التي هي من الناحية النحوية عبارات اسمية لا لبس فيها، يفترض أن السامع يستطيع أن يعين الشخص أو الشيء المشار إليه. وهو بذلك لا «يؤكد» وجود المادة بل يفترض فقط أن السامع يعرفها. وبالتالي فإن هذا ليس جزءاً من «التوكيد»، بل جزءاً من الافتراض الضمني». وقد بدأ اللغويون منذ عهد قريب يهتمون بالافتراض الضمني. بيد أن المؤسف أن بعضهم قد أفسد القضية بالتكلم عن الافتراض الضمني بالنظر إلى «ما يعتقده المتكلم والسامع» مقارناً بما هو صادق أو كاذب. وهذا مضلل لسببين: أولهما، إننا يجب أن نفترض دائماً ـ ما لم يكن التضليل متعمداً ـ أن المتكلم يعتقد ما يؤكده بقدر ما يفترضه ضمنياً وثانيهما: إننا لا نهتم أبداً بالسلوك اللغوي للمتكلمين الفرديين. فلا يتصل بعملنا أن واحداً يعتقد أن كلمة «الغنم» تشير إلى

«البقر». ومن ثم يجب أن لا يكون وضع الافتراضات الضمنية مختلفاً عن وضع أي نوع من أنواع المعنى؛ إنه ليس معنياً بأكثر مما يعتقده، المتكلمون والسامعون الأفراد.

ولا شك في أننا يجب أن نبحث الفروق الموضوعية الواضحة في اللغة. ومثل هذه المجموعة نجدها في ما يُسمَّى «المحمولات الواقعية Factive predicates». فنحن قد نغاير جملة «من المفيد أن جون أتى مبكراً It is significant that John came early» بجملة «من المحتمل أن يكون جون أتى مبكراً It is likely that John came early»، وبالمثل قد نغاير جملة «آسف أنها قالته I regret that she said it» بجملة «افترض أنها قالته I suppose that she said it». ففي الجملة الأولى من كل ثنائي، العبارة الموجودة في الجملة التابعة Subordinate (وهي: أنَّ that) مفترضة ضمنياً: «جون أتى مبكراً»، و«هي قالته»، أما الجملة الثانية فليست كذلك.

وعلاوة على ذلك ادَّعى كينان E. Keenan أن المفترض ضمنياً يمكن أن تحدده حقيقة أن الافتراضات الضمنية تبقى «تحت النفي under negation»، بمعنى أنها من الناحية المنطقية تدل عليها ضمنياً الجملة المثبتة ونظيرها المنفي كلاهما. وبالتالي فإن جملة «ليس من المفيد أن جون أتى مبكراً».

وجملة «لا آسف أنها قالته» تظل تتضمن أنها قالته. إذن فما يتضمنه كل من الجملة المثبتة والجملة المنفية يعتبر افتراضاً ضمنياً.

وقد زعم البعض أن الافتراض الضمني يشغل أنواعاً مختلفة. فهو واضح مع أنواع العبارة الاسمية كلها فجملة «جون تزوج» (أو لم يتزوج) أخت فريد «تتضمن أن «فريد له أخت»؛ وجملة «جون كان (أو لم يكن) مهموماً بسبب خيانة زوجته «تتضمن أن» «زوجته كانت خائنة». وهناك نوعان آخران: فجملة «المحاضر واصل (أو لم يواصل) الكلام «تتضمن أن «المحاضر كان يتكلم». وجملة «هو شرب (أو لم يشرب) كأساً آخر من البيرة

«تتضمن أنه» شرب على الأقل كأساً واحدة». ووصل الأمر مع البعض إلى ادعاء أن جملة «هي نظفت (أو لم تنظف) الحجرة «تتضمن أن الحجرة كانت غير نظيفة».

غير أن اختبار النفي negation test ـ للأسف ـ لا يجدي؛ فقد زعموا أن الافتراض الضمني في جملة «جون كان (أو لم يكن) مهموماً بسبب خيانة زوجته» هو أن «زوجته كانت خائنة» لكن هذا ليس صحيحاً بالضرورة عند النفي: «جون لم يكن مهموماً بسبب خيانة زوجته»؛ فقد يؤخذ هذا على أنه يعني إما أنها «كانت خائنة لكنه لم يكن مهموماً»؛ وإما أنه «لم يكن مهموماً (لأنها) لم تكن خائنة». وبعبارة أخرى إن النفي يمكن أن يبطل ما يزعم أنه افتراض ضمني، مثلما يفعل التوكيد، وبهذا يفشل اختيار النفي.

إن حقيقة عدم وجود اختبار النفي تتضح لنا تماماً من قراءة مناقشات الفلاسفة حول الافتراض الضمني. ودعنا نعد إلى مثال «ملك فرنسا». لقد زعم البعض ـ من ناحية ـ أنه عندما يوجد «عجز إشاري» (فليس لفرنسا ملك) فقد يكون مناسباً أن نقول إن جملة «ملك فرنسا أصلع» ليست كاذبة، لكنها ليست صحيحة أيضاً؛ حيث إن فيها ببساطة «انقطاعاً في مدلول الحقيقة». ومع ذلك ـ من ناحية أخرى ـ فجملة «هذا المعرض زاره ملك فرنسا «يُنظر إليها باعتبارها كاذبة، وليس باعتبارها فاقدة مدلول الحقيقة؛ لأننا نستطيع أن نقول: «المعرض لم يزره ملك فرنسا لأن فرنسا ليس لها ملك». وعلاوة على ذلك فإن من السهل علينا أن نرى أن الجملتين لا تختلفان حقيقة، فإننا نستطيع أن نقول بالمثل «ليس ملك فرنسا بأصلع لأن فرنسا ليس لها ملك». وبعبارة أخرى، لو كان استخدام جملة «ملك فرنسا أصلع» يفترض ضمنياً أن لفرنسا ملكاً، فإن النفي: «ملك فرنسا ليس بأصلع» لا «يبقى» الافتراض الضمني بالضرورة، بل قد ينكره بالفعل. وفي الواقع يمكننا في كل حالة أن نبطل الجملة بإنكار الافتراض الضمني. وبالتالي ليس غريباً أن نقول: «إنه لم يواصل الكلام، لأنه لم يتكلم على الإطلاق»، أو «إنه لم يشرب كأساً

أخـرى من البيرة، لأنـه لم يشرب على الإطـلاق». إننا قـد نتذكـر دعوة بـائع القبعـات المخبول لأليس «Alice» أن تتنـاول مقداراً آخـر من الشـاي. فقـد كانت إجابتها إنكار الافتراض الضمني «أنها تنـاولت أي شيء»، حيث قالت: «أنـا لم أتناول شيئـاً بعد، ومن ثم لا أستـطيع أن أتنـاول مقداراً آخـر». وقد عرف كارول Lewis Carroll، أن الافتراضات الضمنية لا تبقى تحت النفي!

إن هذا يرينا أن ليس هناك طريقة للتمييز - بحدود منطقية دقيقـة - بين ما هو مؤكَّد وما يفترض ضمنياً. ومع ذلك فهي لا تبطل التمييز كلية. ففي العادة يتضح لنا تماماً ما المؤكد وما المفترض فإن «وجود» كل شيء تشير إليـه عبارة اسميـة - هو عـادة المفترض - فليس فقط «التعبيـرات الإشـاريـة» مثـل «ملك فرنسا»، لكن أيضاً الجمل الاسميـة nominal clauses (التي يكون لهـا وضع نحـوي كـالعبـارات الاسميـة) مثـل: «أن جـون أتى مبكـراً that John came early» (إلا إذا كان فعل مثل يعتقد believe - على وجه التحديد - يوحي بـأن هنـاك سؤالاً عن «وجوده»، أي عمـا إذا كان صـادقاً أو لا). وقـد فضل بعض العلمـاء (رغبة منـه في تجنب الدلالات المنـطقية «لـلافتـراض الضمني») ألا يتحـدث هنا عن «الافتـراض الضمني»، إنمـا عن ضمنيـات «implicatives». لكن لو لـم تكن هناك افتراضات ضمنية قابلة للتحديد منطقياً، فلا حاجة لأي اسم آخر.

الفصل الخامس

علم الدلالة التوليدي

Generative Semantics

في السنوات الأخيرة عاد الجدال حول النحو الصوري والدلالي ـ الذي ناقشناه في الفصل الثاني من الباب السابع ـ في ثوب جديد، فيما سمي بعلم الدلالة «التفسيري interpretive» و«التوليدي generative». ومن المستحيل أن نفي هذا قدره من المناقشة في مثل هذا الكتاب؛ ذلك لأنها مناقشة فنية داخل نظرية النحو التحويلي ـ التوليدي Transformational - generative.. لكننا ـ لما لها من أهمية في الاستبراء ـ يجب أن نقول شيئاً، رغم أن ما نقوله سوف يكون حتماً سطحياً.

إن علينا أن نتذكر ما قلناه (في الفصل الخامس من الباب السابع) من أنه عند مناقشة الجمل المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول يكون من الضروري أن نتحدث عن الفاعل والمفعول «العميقين» اللذين يبقيان هما أنفسهما حتى رغم أننا نغير ترتيب الكلمات عندما «نبني الجملة للمجهول» وفي الواقع ادعى تشوفسكي وجود تركيب نحوي عميق؛ في المستوى الذي نستطيع أن نربط فيه بين الجمل المبنية للمعلوم active والمبنية للمجهول passive، وأن الفرق الوحيد بين الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية للمجهول ـ المرتبطة بها ـ هو غياب عنصر «صيغة المجهول»، أو حضوره. فنحلل مثل: «جون عزف على البيانو John played the piano» بالنظر إلى «جون، يعزف، صيغة ماض، البيانو». في حين نحلل جملة مثل: «البيانو عزف عليه بواسطة جون The piano was played by John». بالنظر إلى «جون»، يعزف، صيغة

ماض، البيانو، وصيغة المجهول». (وهذا تفسير مبسط إلى حد قد يؤدي إلى التشويه أو الخطأ، لكنه يوضح النقاط المعنية هنا). ونستطيع بالمثل أن نربط بين جملة «جون آت» وسؤال: «هل جون آت؟» بالنظر إلى حضور السؤال أو غيابه. فالفرق في ترتيب الكلمات (بالإضافة إلى فروق أخرى) في الجمل الثنائية هو مسألة «تركيبها السطحي Surface Structure». إن التراكيب السطحية في الأمثلة التي تأملناها حتى الآن مختلفة تماماً، لكن التراكيب العميقة Deep structures متشابهة، وتختلف فقط في حضور عنصر مفرد أو غيابه. وهناك ثنائيات أخرى من الجمل تتشابه تراكيبها السطحية، لكن تراكيبها العميقة تختلف غاية الاختلاف، من هذه الثنائيات الثنائي المشهور: هو «جون تواق إلى أن يرضى John is eager to please» و «جون تواق إلى أن يرضى John is eager to please» و «جون سهل أن يُرضي John is easy to please». فالتراكيب العميقة تشير إلى أن «جون» هو فاعل عميق للفعل «Please» في الجملة الأولى، ومفعول له في الجملة الثانية، وتشير إيضاً إلى أنه في حين أن «جون» هو فاعل للفعل «ما» في الجملة الأولى، فإن فاعل «is» في الجملة الثانية هي «Please John» - . إننا قليلاً ما نحتاج إلى التراكيب العميقة لنوحي بأن «John is eager» (- John please)، و - (Please John) is easy (البياض المتروك يدل على فاعل ومفعول غير معينين).

- ويهتم جزء من علم النحو بالقواعد التي تحول التراكيب العميقة إلى تراكيب سطحية. وبالطبع فإن إعطاء التركيب العميق هذه القواعد سوف يولد التركيب السطحي الصحيح «بطريقة آلية». فقواعد التركيب العميق نفسها تتولد عن «أساس» يتألف من مكونين: «المكوِّن التصنيفي Categorial» و «المعجم»، يشمل الأول الأدوات النحوية apparatus كلها، ويشمل الأخير قائمة المواد المعجمية جميعها، وبناء على هذا فإن التراكيب العميقة تشمل المعلومات النحوية الضرورية كلها والمعلومات المعجمية الضرورية

جميعها. ولنعد إلى الثنائي الأول الذي مثلنا به، فنحن لسنا في حاجة إلى معرفة أن لدينا المواد المعجمية «جون، يعزف، البيانو» حسب، بل في حاجة أيضاً إلى معرفة الوضع النحوي لكل من «جون» و «البيانو» باعتبارهما عبارات اسمية، ولكلمة «يعرف» باعتبارها فعلاً (لأننا بغير هذا قد نولد كلاماً لا يصلح أن يكون جملة مثل: « The piano is Johnned by play » . ويوفر المعجم المجموعة الأولى من المعلومات، أما المجموعة الثانية فيوفرها المكوّن التصنيفي للأساس. وهناك ادعاء آخر خاص بالتركيب العميق وهو أنه يمدنا بمصدر التفسير الدلالي. بمعنى أننا إذا أعطينا المعلومات النحوية والمعجمية التي يزوِّدنا بها التركيب العميق، فإننا نستطيع - نظرياً - أن نقول ما الذي تعنيه تلك الجملة.

إن هذا نموذج دقيق لعلم بناء الجملة syntax، فلدينا في علم بناء الجملة مستوى تقودنا فيه المعلومات المعنية إلى كل من المعنى والتركيب السطحي للجملة (واستمر تشومسكي في تحسين تناسق النموذج فزعم أن التركيب السطحي يمدنا بالتفسير الصوتي)♦

ومع ذلك زعم علماء آخرون أننا لا نستطيع أن نعين مثل هذا المستوى - وبناء على هذا ليس هناك تركيب عميق، ولو كان هناك تركيب عميق، فهو ليس خاصاً ببناء الجملة، وإنما هو دلالي - أي إن التركيب العميق الوحيد هو علم الدلالة. والمناقشات كثيرة ومعقدة . وسوف أعرض بعضها.

المناقشة الأولى نجدها في «حالة» فيلمور. فالحجج التي تربط بين الجمل «الباب انفتح»، و «المفتاح فتح الباب» و «جون فتح الباب» تشبه تلك التي تربط بين الجمل المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول، وبناء على ذلك يبدو أن هذا يستتبع القول بأنه لو أمكن استخدام المبني للمعلوم والمبني للمجهول في تعيين التركيب العميق، لأمكن استخدام هذه الجمل بالطريقة

نفسها. وبناء على هذا، فإن التركيب العميق لا بد أن يكون بالنظر إلى علاقات «الحالة». لكن علاقات الحالة ـ كما رأينا ـ دلالية أكثر منها تركيبية، ولهذا يجب ألا يكون التركيب العميق «أعمق» مما افترضه تشومسكي حسب، بل يجب أن يكون أيضاً دلالياً بالإضافة إلى كونه تركيبياً.

أما المناقشة الثانية فنجدها عند كاولي J. Mc Cawley وهي فنية أكثر، لكنها بسيطة إلى حد ما. ففي النحو التحويلي ـ التوليدي يفترض دائماً أن جملاً مثل «جون وبيل يحبان الأيس كريم» تنشأ عن «الوصل conjoining أي ربط جملة «جون يحب الآيس كريم» بجملة «بيل يحب الآيس كريم». ومن ثم فإن الجملة المفردة في التركيب السطحي يجب أن تنشأ عن تركيب جملتين في التركيب العميق. (وهذا مرة ثانية تبسيط شديد لما قاله تشومسكي). وبالمثل فجملة «جون وبيل يحبان زوجتيهما الخاصتين respective». يجب تحليلها بالنظر إلى «جون يحب زوجته» و «بيل يحب زوجته». لكننا نستطيع أيضاً أن نقول «هذان الرجلان يحبان زوجتيهما الخاصتين». ومع هذا لا يمكن أن يتولد هذا بالطريقة نفسها لأنه سوف يتضمن عدداً غير محدد من الجمل ذات التركيب العميق ذلك الرجل يحب زوجته» و «ذلك الرجل يحب زوجته» و. . . وقد يكون عدد الجمل ذات التركيب العميق غير متناه كما في جملة «الأعداد الصحيحة أصغر من تربيعاتها squares الخاصة respective» وزعم البعض أننا لكي نفسّر جملة من هذا النوع، نحتاج إلى تركيب عميق يكون أقرب إلى التركيب المنطقي ـ التركيب الذي يقول مثلاً: «لأن كل ب مثل هذه الـ ب هي زوجة أ، فإن أ يحب ب. . .». لكننا في هذه الحالة سوف نكون قد تناولنا الظواهر مرتبطة بكلمة «الخاص respective» في مكانين في النحو، وقد ذهب البعض إلى أن دعوى التركيب العميق سوف «تجزىء» فيمكن حذف هذه الكلمة لكن الجدل ما يزال قائماً بشرط أن لا يكون المعنى متغيراً، أي أنه لا يزال مفهوماً أن كل رجل يحب زوجته الخاصة).

ثـالثاً، يبـدو أن تحليل التـركيب العميق لعـلاقـة البنـاء للمعلوم والبنـاء للمجهول يخفق مع الجملتين: «رجال كثيرون قرأوا كتباً قليلة» و «كتب قليلة تُقـرأ بـواسـطة رجـال كثيـرين»، لأن هـاتين الجملتين تختلفـان في المعنى. فالأولى تقول إن كثيراً من الرجال قرأوا قليلاً جداً، أما الثانيـة فتقول إن هنـاك كتباً قليلة (مثل الكتـاب المقدس، وشكسبيـر) تقرأ بـواسطة كثيـر من الناس. هنـاك فرق مشـابه بين «سهـام كثيرة لم تصب الهـدف» و «الهـدف لم يصب بواسطة سهام كثيرة». لكي نحلل ثنائيات من الجمل مثل هذه، باعتبار أن لها تركيباً عميقاً مطابقاً ما عـدا حضور عـلامة البنـاء للمجهول ـ فهـذا غير مـرض تمـاماً. ولقـد زعم لاكـوف G - Lakoff. إن التـراكيب العميقـة، يجب أن تكون التراكيب الدلالية، التي تقول في الواقع: «الرجال الذين قرأوا كتباً قليلة كثيرون» و «الكتب التي قرأها رجال كثيرون قليلة».

ويمكن الـرد على هذه الادعـاءات بوسـائل ثـلاث: فـأولاً: يمكننـا أن نلتفت إلى أن رؤيـة التراكيب الـدلالية لا تعني إثبـات عـدم وجـود التـراكيب العميقة الخاصـة ببناء الجملة. بـل على العكس، إن هذه التـراكيب الدلاليـة تمدنا حسب بالتفسير الدلالي للتراكيب العميقة. وهذا هـو الخط الذي يلتقي فيـه تشومسكي مـع «حالـة» فيلمور. وإلى هـذا الحـد مثلمـا تعين «حـالات» فيلمور دلالياً، إنه إجابة جيدة ـ إذ يمكننا أن ننظر إلى تفسير «الحالة» الخاص بكلمة «يقتل Kill» باعتبار أنه الدلالة الخاصة بهذه الكلمـة. أما كلمـة «يفتح open» فالإجابة فيها أقـل صحة مـع علاقـات «الحالـة» التي تعين على أرض أكثر صورية، وقد يكون معقولاً أن نقبل «الحالة» هنا باعتبار أنها تركيب عميق «أعمق» ـ وفوق ذلك سـوف يظل التـركيب العميق متعلقاً ببنـاء الجملة، لأن عـلاقات «الحـالة» هـذه ترتكـز على معاييـر خاصـة ببناء الجملة، وليس على معايير دلالته.

ثانياً: إننا قد نهمل بعض حلول التركيب العميق؛ فالوصل conjoining لا يبدو حلاً مرضياً بالنسبة للجمل التي تتضمن كلمة «خـاص respective».

وهذا يقلّص مجال التركيب العميق حسب، لكنه لا ينكر وجوده.

وثالثاً لقد اضطر تشومسكي إلى تغيير نموذجه فهو الآن يسلم بأن التركيب السطحي يمدنا بجزء من التفسير الدلالي. وقد جاء هذا نتيجة لتأمل جمل مثل «كتب قليلة تقرأ بواسطة رجال كثيرين». لأنه في حين أن التركيب العميق يمكن أن يعالج «كتب»، و«يقرأ» و«رجال» (بالنظر إلى «رجال يقرأون كتباً» وصيغة البناء للمجهول)، لا يستطيع أن يتناول «قليل» و«كثير» بالمستوى نفسه، لأن هذا سوف يوحي بأن هذه الجملة تماثل في المعنى جملة «رجال كثيرون قرأوا كتباً قليلة». ولهذا يزعم تشومسكي أن ترتيب التركيب السطحي هام بالنسبة لـ «مقاييس» مثل «كثير» و«قليل» وأن التفسير الدلالي لهذا يمكن اكتسابه من التركيب السطحي حسب. ويبدو أن هذا الحل للأسف ـ محاولة لـ «ترقيع» النموذج «لأن الحجج الأصلية الخاصة بالتركيب العميق تتطلب اختلاف الجملتين في التركيب العميق»

وهناك إصدار آخر هو جزء من الجدال التوليدي / التفسيري، لكنه معنيّ أكثر بوضع الجانب المعجمي من التركيب العميق. وسوف نتذكر أن «الأساس» يتكون من «مكون تصنيفي» و«مكون معجمي». وأن هذين يولدان التراكيب العميقة، وبعد هذا فقط يتم تحويل التراكيب العميقة إلى تراكيب سطحية عن طريق القواعد التحويلية. لكن إصدارات أخرى ذهبت إلى أن المواد المعجمية نفسها تشتق عن طريق القواعد التحويلية، وليست معروضة مباشرة في الأساس عن طريق المكون المعجمي. ولو كان هذا كذلك، لما أمكن أن يكون للتركيب العميق مستوى مستقل مفرد، لأن من الضروري ـ نظرياً ـ، أن تتبع التحويلات التراكيب العميقة ولا تسبقها.

ومثل هذا الزعم يرتكز على الفعل «يقتل Kill» الذي يفترض أنه يحلّل باعتبار أنه «يسبب... لأن يصبح غير حيّ». وهذا يؤيده الغموض الثلاثي لجملة «أنا تقريباً قتلته I almost killed him» ، حيث يمكن الزعم بأن كلمة «تقريباً»، قد تؤهل «يسبب»، أو «يصبح» أو «غير حيّ». فالمعنى

الأول ينطبق لو أطلقت عليه النار، فأخطأته الرمية (فأنا تقريباً تسبَّبت في الأحداث التالية، لكني لم أفعل). وينطبق الثاني لو ضربته وشُفي بعد تفادي الموت بشق النفس (أصبح تقريباً ميتاً). وينطبق الثالث لو أطلقت عليه النار وكان في حالة موت محقق (أصبح تقريباً ميتاً). وعلى أساس هذا زعم أن الفعل «يقتل» يجب تفسيره بالنظر إلى جمل ثلاث في التركيب العميق (وهذه سوف تماثل الافتراضات الثلاثة لحساب المحمول Predicate calculus). (انظر الفصل الثالث من الباب السادس).

ونرد على هذا ـ مرة أخرى ـ بأن إثبات وجود تعقيدات دلالية من هذا النوع مرتبطة بالمواد المعجمية لا يعني عدم وجود المكون المعجمي في الأساس ـ لأن هذه التراكيب الدلالية يمكن معالجتها باعتبار أنها تفسير دلالي للمواد المعجمية. وأكثر من هذا أهمية، أن من السهل أن نرى أن المواد المعجمية لها اتجاه سلوكي خاص في علاقاتها (وعلى سبيل المثال لاحظ أنني لا أستطيع أن أقول: «أنا قتلته يوم الخميس» لو كان قد مات من جرح أصابه يوم الثلاثاء، رغم أنني تسببت يوم الثلاثاء في أن يصبح غير حيّ يوم الخميس). ولأن المواد المعجمية لها اتجاهات سلوكية خاصة، فإنها تعالج أحسن ما تعالج في المعجم دون النحو، لأن المعجم هو بيان مفصّل بالمواد غير المرتبطة إلى حدٍ ما.

واضح أننا لا نستطيع أن نوسع المناقشة أكثر من هذا في مثل هذا الكتاب. وقد عالجتها بالتفصيل، وعند هذه المرحلة من الكتاب، لأنها تشير على نحو واضح إلى بعض المشكلات الأساسية في علم الدلالة. وقد أخذت المناظرات بين تشومسكي وخصومه إطار: نعم/لا، ومن ثم تقلصت حججهم إلى مستوى «نعم، إنه كذلك/لا، ليس كذلك» وهو قول نموذجي بالنسبة لشجار الأطفال، ذلك أن الخلافات لا يمكن حسمها باستخدام كلمات مثل: نعم/لا، وليس بين النحو وعلم الدلالة فرق جوهري، وليس في داخل علم الدلالة (أو حتى في علم النحو) حدود تصنيف دقيقة وغير مثيرة للجدل.

الفصل السادس

ملاحظات ختامية

نخلص من قراءة هذا الكتاب إلى استنتاج أن علم الدلالة ليس فرعاً من الدراسة مفرداً، ومندمجاً على نحو جيد. فهو ليس مستوى من مستويات علم اللغة معرّفاً بوضوح، وليس حتى مساوياً لعلم الأصوات أو علم النحو. بل إنه مجموعة من الدراسات تهدف إلى استخدام اللغة بالنظر إلى وجوه مختلفة وكثيرة من الممارسة، وإلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وبالنظر إلى المشتركين في المحادثة، ومعرفتهم وممارستهم، والحالات التي تكون فيها المعلومة المحددة وثيقة الصلة. حقاً إن هناك جانباً يرتبط فيه علم الدلالة - كما رأينا - بالمجموع الكلي للمعرفة الإنسانية، رغم أن مهمة اللغوي أن يحدّد مجال دراسته، ويجيء بترتيب للفوضى والتعقيد الظاهرين.

ومن المجازفة بالقول أن نحاول التنبؤ بالاتجاهات المستقبلية ومع ذلك آمل أن يشرع اللغويون مرة أخرى في قبول أن علم الدلالة لا يهتم بالنظم الصورية، وشبه المنطقية داخل اللغة حسب، بل يهتم بصورة أكبر بمسألة ارتباط اللغة بعالم التطبيق. فالإشارة (بمعناها الأوسع) أكثر جوهرية من الحس Sense. لأن تغيراً في الاهتمام قد حدث داخل الفرع الأوسع. من علم اللغة بعيداً عن النظرية المحضة، لموضوعات مثل علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics (أي دراسة دور اللغة في المجتمع) واكتساب الأطفال اللغة.

ومع ذلك يجب أن نقبل حقيقة أنه لن يحدث «تغيير مفاجىء كبير». فتعقُّد علم الدلالة هو وجه واحد حسب من تعقد اللغة الإنسانية. وما نستطيع أن نقوله لن يكون دقيقاً. وفي الغالب سيثير الجدل. فليست هناك إجابات سهلة.

معـجـم الـمـصـطلحـات الإنجليزية[1]

(A)

مجرّد	abstract:
منبور	accented:
دلالة النصب (المفعولية)	accusative:
سمعية	acoustic:
حدث	act:
الفاعل (فَعَلَ)	actor:
العامل	agentive: (: actor)
إدماج	amalgamation:
غامض	ambiguous:
قياس التمثيل	analogy:
التحليلي	analytic:
أسرة عليا	ancestor:
الخروج عن القياس	anomaly:
شاذ	anomalous:
الأضداد	antonyms:
التضاد	antonymy:
شبه الترادف	approximate synonymy:
عشوائي	arbitrary:
الفونيم الرئيسي	archiphoneme
الموضوع (× المحمول)	argument:
نطق	articulation:
علم الأصوات النطقي	articulatory phonetics:
الهيئة	aspect:
التوكيد	assertion:
متعلق بتداعي المعاني	associative:
صيغ الزيادة	augmentatives:
أفعال مساعدة	auxiliary verbs:

(١) المعجم من عمل المترجم.

(B)

behaviourism: السلوكية

big plural: جمع الكثرة

bilingualism: ازدواجية اللغة

binary apposites: مقابلات ثنائية

borderline حد فاصل

borrowing: اقتراض

bound morpheme: مورفيم متصل

(C)

case relations: علاقات الحالة

case system: التعليم عن طريق القضايا البارزة

categorialcomponent: المكون التصنيفي

categories: فصائل

causativity: السببية

circular: يدور في حلقة مفرغة

classifier: المصنِّف

clusters: تجمعات

cagnates: كلمات ذات أصل واحد

cognitive: الإدراكي

collective nouns: أسماء الجمع

collocation: التضام

combination: الربط

comment: التعبير

communication: الاتصال

comparative: المقارن

competence: القدرة

complementarity: التتام

complete synonymy: ترادف كامل

(: full -)

complex word: كلمة مركبة

componential analysis of meaning: التحليل بالنظر إلى مكونات المعنى

components: المكونات

composite expression: تعبير مركب

composition: تركيب

compound words: كلمات مركبة

concepts: التصورات

conjugational: اشتقاقي

conjoining: الوصل

conjunctions: حروف العطف والربط

connotational: التضميني

consonant: صوت ساكن (صامت)

constative: توثيقيّ

context of situation: سياق الحال

contextualisation: السياقية (ربط الجملة بسياق)

contradictoriness: تناقض

contrastiveness: مغايرة

convention: العُرف

converseness: القلب (تعكس)
co-occurence: الوقوع المشترك
count nouns: أسماء العدد
countability: قابلية العدّ
cyclical sets: مجموعات دورية

(D)

dative: حالة تكون فيها الكلمة مفعولاً به غير مباشر
dead: ميت (على سبيل المجاز)
declarative sentences: جمل تقديرية
declension: إعراب
deep structure: تركيب عميق
definite: معرَّف
definite article: أداة التعريف
definition: تعريف
degeneration: انحطاط الدلالة
deictic: الكلمات الأُمّيّة
deixis. استخدام الكلمات الأُمّيّة
demonstratives: أسماء الإشارة
denote: يرمز إلى
derivatives: مشتقات
deviance: الانحراف
diachronic (—): (علم اللغة) التاريخي
dialect: لهجة
dictionary word: كلمة قاموسية
diminutive: صيغة التصغير
directional opposition: تضاد اتجاهي
discourse: محادثة
distinguisher: المميِّز
distribution: التوزيع
domain: مجال
dualism: الثنائية

(E)

echoic: إيحائي
ego: الأنا
element: عنصر
elevation: رقي الدلالة
emotive: العاطفيّ
empirical: تجريبية
entailment: استلزام
entities: كيانات (موجودات)
enumeration: التعداد
environment: محيط ـ بيئة
equivalence: تكافؤ
ergative: أرجتية (أي الفاعل فضلة والمفعول عمدة)
etymology: علم الاشتقاق
expectancy: توقّع
experimental: تجريبي

صريح (ظاهر) explicit:
تلطف في التعبير euphemism:
تقييم evaluation:

(F)

ناصب المفعولين factitive:
(نغمة) هابطة falling:
مشاعر feelings:
صيغة المتكلم first person:
كلمات صورية form words:
صوري ـ شكلي formal:
مورفيم حر (- free :) formant:
صيغة (وصف) formula:
كلمات تامة full words:
وظيفي functional:

(G)

الجنس gender:
التعميم (القوانين العامة) generalisation:
توليدي generative:
ثرثرة غير مفهومة gibberish:
الغاية goal:
قابلية التدرج gradability:
علم النحو grammar:
أدوات نحوية grammatical apparatus:

(H)

تسلسل هرمي hierarchy:
علم الدلالة التاريخي historical semantics:
تماثل في الرسم واختلاف في المعنى homography:
كلمات عدة لها شكل مماثل homonymous:
تماثل في النطق واختلاف في المعنى homophony:
المبالغة hyperbole:
الفرع المتضمَّن hyponym:
الاشتمال hyponymy:

(I)

التصوري ideational:
التعرُّف identification:
تعبيريّ idiomatic:
التعبيرية idiomaticity:
تعبيرات idioms:
ذات اتجاه سلوكي معين idiosyncratic:
استنتاجية illative:
حدث غير تعبيري illocutionary act:
صور ذهنية images:
جملة طلبية imperative sentences:

implicatives: ضمنيّات
implicit: ضمنيّ (غير صريح)
inclusion: التضمن (انظر hyponymy)
inclusive: المتضمَّن
indefinite: منكَّر
individuate: يُفرد
inductive: استقرائية
inflectional: (لغة) تصريفية
informant: الراوي اللغوي
initiation: استهلال
innovation: ابتداع
input: الأصل
instrumental: المساعد ـ الآلة
interchangeability: قابلية التبادل
interlanguage: لغة وسيطة
interpretive: تفسيري
interrogative sentences: جمل استفهامية
intonation: التنغيم
intra-linguistic features: الملامح الواقعة داخل اللغة
introspection: استبطان
intuition: الحدس
isolating: (لغة) مُفردة

(K)

kunst : المعرفة

(L)

labels: نعوت
labial: شفوي
language: اللغة
legitimate: تقليدي
lexemes: المواد اللغوية
lexical structure: البنية المعجمية
lexicography: علم المعجم
lexicology: مفردات لغة
lexicon: المعجم
lexis: القوالب ذات الوظيفة
likeness: تشابه
linguistics: علم اللغة
list: لإمتاع
litotes: انحدار الدلالة
little plural: جمع القلة
living: حيّ (على سبيل المجاز)
loan: (كلمة) مقترضة
locative: ظرف المكان
locutionary act: حدث تعبيري

(M)

marker: المحدِّد
mass nouns: أسماء المقادير
material adequacy: الكفاية المادية
meaning: معنى

meaningful: ذات معنى

mentalism: العقلانية

metalinguistics: ما وراء علم اللغة

metaphor: استعارة

method: منهج

metonymy: كناية

minor: (جمل) صغرى

modal verbs: أفعال الشرط الشكلية

model: النموذج

modify: يكيّف ـ يعدل

modifiers: المقيّدات

monosemy: كلمة واحدة ـ معنى واحد

monotony: رتابة

morphemes: أصغر الوحدات الصرفية ذات المعنى

morphology: علم الصرف

multilingialism: التعدّد اللغوي

(N)

names: أسماء

naming: التسمية

narrowing: تضييق المعنى

native: أصلي

native speaker: متكلم فطري

nearness: قرب

noise: ضوضاء

nominalist: الاسمية

nominative: دلالة الرفع (الفاعلية)

non-linguistic context: سياق غير لغوي

nonsensical: كلام سفساق

norm: معيار

nouns: الأسماء (في النحو)

numerical quantity: المقدار العددي

(O)

object word: كلمة عيانية

objective: موضوعي (× ذاتي)

objective: المستهدف

observation: الملاحظة

ostensive definitions: تعريفات ظاهرية

opaque: (الكلمات) المبهمة

opposite: (الكلمة) المقابلة

overlapping: تداخل

(P)

pair: ثنائي (زوج)

paradigm: مثال (ميزان)

paradigmatic: (علاقات) استبدالية (رأسية)

para-linguistic features: الملامح التي يمكن تحديدها بجانب اللغة

paraphrase: صياغة جديدة (جملة مرادفة)
paraphrasing: إعادة الصياغة
part-whole relation: علاقة الجزء بالكل
partial idioms: تعبيرات جزئية
patch up: يرقّع
paths: خطوط
performance: الأداء
performatives: الأدائيات
person: الذات
phase: الدور
phatic communion: لغة المجاملات
philology: فقه اللغة
phonaesthetic: (الكلمات) ذات الفونيمات الموحية
phone: صوت مفرد
phonemes: أصغر الوحدات الصوتية
phonetic transcription: كتابة صوتية
phonetics: علم الأصوات
phonetics laboratory: معمل الأصوات
pitch: درجة الصوت
place adverbs: ظروف المكان
point of articulation: مخرج الصوت
polysemic: كلمة متعددة المعنى
polysynthetic: تركيبي متعدد
positivism: الوضعية

practical: تطبيقي
pragmatic: معنى فضولي
predicate: المحمول
predicate calculus: حساب المحمول
predisposing factors: عوامل مهيأة
prefix: سابقة
prepositions: حروف الجر
presupposition: الافتراض الضمني
projection rules: قواعد التخطيط
pronouns: ضمائر
pronunciation: طريقة التلفّظ
proper name: علم
proposition: خبر
prosodic features: ملامح النظم (التطريز الصوتي)
punctuation: (علامات) الترقيم

reaction: ردّ الفعل
realist: الواقعية
redundancy: الوفرة ـ الحشو
reference: الإشارة
reference failure: عجز (قصور) إشارة
referent: المشار إليه
referential: الإشارية
reflected: منعكس

reflexivity: ارتداد

registers: قدرات صوتية

reinforcement: التقوية

relational opposites: المقابلات ذات الارتباط

relativity: النسبية

replacement: الإبدال

reports: روايات (يروي)

response: استجابة

reversible: قابلة للانعكاس

rheme: (انظر:)

rhythm: إيقاع

round brackets: أقواس هلالية

(S)

sameness: تماثل

second person: صيغة المخاطب

segmentation: تجزئي

segments: جزئيات

selectional restrictions: قيود انتقائية

semantic structure: البنية الدلالية

semantics: علم الدلالة

semasiology: (انظر: semantics)

sememics: (انظر: semantics)

semics: (انظر: semantics)

semiotics: (انظر: semantics)

semology: (انظر: semantics)

sense: الحس

sense relationships: الارتباطات الحسيّة

sentence: الجملة

settings: الخلفيّات

sex: النوع

sign: علامة

significance: مغزى

signified: المدلول

signifier: الدال

significs: علم الإشارات

sociolinguistics: علم اللغة الاجتماعي

sound image: صورة صوتية

sound laws: قوانين صوتية

soundless: غير صوتي

specific: محدّد

speech acts: أحداث كلامية

speech sounds: أصوات كلامية

spelling: التهجيّ

spoken language: لغة منطوقة

square brackets: أقواس معقوفة

stand for: يرمز إلى

status: وضع (حالة)

stimulus: مثير

stress: النبر (انظر: accent)

styles: أساليب

subjective: ذاتي
subordination: الإتباع
substitute: (لغة) بديلة
superanalytical: فوق التحليلي
superordinate: اسم الجنس المتضمّن
supersynthetic: فوق التركيبي
surface structure: تركيب سطحي
symbol: رمز
symmetry: تناسق
synchronic: وصفي
synecdoche: المجاز المرسل
synonymous: المترادف
synonymy: الترادف
syntagmatic: (علاقات) تلاؤمية (أفقية)
syntax: علم بناء الجملة (النظم)
synthetic: التركيبي

(T)

taboa: الكلمات المحظورة
tense: الزمن
terms: حدود (مصطلحات)
theme: (انظر: topic)
third person: صيغة الغائب
thought: الفكرة
topic: الموضوع
topicalisation: الابتداء
transferred: المنقول
transformation: التحويل
transition: انتقال
transitivity: التعدّي
transparent: (الكلمات) الواضحة
trilingualism: ثلاثي اللغة
truth conditions: شروط الصحة
truth relations: علاقات الصحة

(U)

unit: وحدة
unitary complexe: تركيب موحد
universal: كلية
unvoiced: مهموس
utterances: الكلام المنطوق

(V)

variable: متغير
variations: تنوعات
verbal: لفظي
vocabulary: مفردات اللغة
vocal argans: أعضاء النطق
voice: الصيغة
voiced: مجهور
vowel: صوت ليّن

(W)

widening: توسيع المعنى
written language: لغة مكتوبة

(Z)

zeugma: العبارة الجامعة

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة